

الفرسان الثلاثة



المغامرات المثيرة

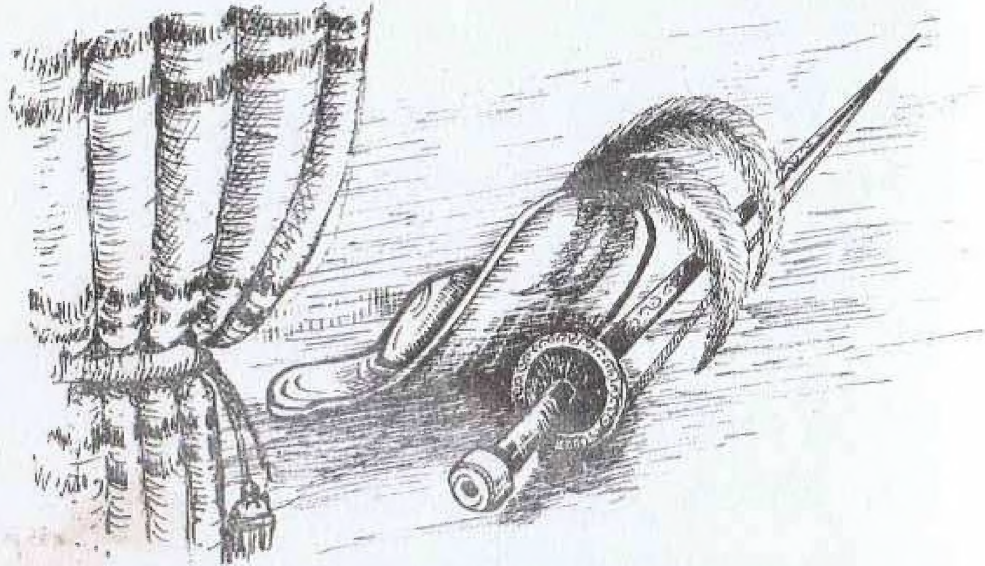




الفرسان الثلاثة



المغامرات الفتيمة



تأليف : ألكسندر ديماس

أعدّها بالعربية : أمين سلامة

رسوم : شكري هشام

مكتبة لبنان

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٦٠٧ / ١٩٩٢

التقديم الدولي : ٢ - ١٠٣ - ١٦ - ٩٧٧ - ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

دي تريفي الملك ، قَرَّرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَرَسُهُ ، هُوَ أَيْضًا ، مِثْلَمَا
لِلْمَلِكِ فُرْسَانُهُ . وَقَدْ تَنَافَسَ كُلُّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ ، فِي أَنْ يُضِيفَ إِلَى
مَجْمُوعَتِهِ أَمْهَرَ الرِّجَالِ وَأَشَجَعَهُمْ فِي اسْتِخْدَامِ السَّيْفِ .

وَكَانَتْ الْمَشَاجِرَاتُ وَالْمَعَارِكُ وَأَعْمَالُ الشَّغَبِ مِنَ الْأَحْدَاثِ
الْيَوْمِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَكَانَ النُّبْلَاءُ الْمَرْهُوونَ يَتَعَارَكُونَ مَعًا ، أَوْ
يَحِيكُ كُلُّ مِنْهُمُ الْمَكَائِدَ لِلْآخَرِ . وَكَانَ هُنَاكَ اللَّصُوصُ وَالْمُتَسَوِّلُونَ
الْمُحْتَرِفُونَ وَالْمُعَامِرُونَ وَالْأَوْغَادُ الَّذِينَ دَابُّوا عَلَى تَعْكِيرِ صَفْوِ حَيَاةِ
كُلِّ فَرْدٍ . وَكَانَ الْمَوَاطِنُونَ يَتَصَدَّقُونَ دَائِمًا لِأَوْلِيكَ الْمُتَجَوِّلِينَ لِلشَّرِّ ،
وَكَثِيرًا مَا قَاتَلُوا النُّبْلَاءَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقَاتِلُوا الْكَارْدِينَالَ قَطُّ .

إِذَا ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَثُورَ فُضُولُ شَعْبِ مِيُونِغَ ، حِينَ يَسْمَعُونَ
ضَجِيجًا عَالِيًا بِقُرْبِ فُنْدُقِ « جُولِي مِيلَر » ، وَأَنْ يَتَسَلَّحُوا بِكُلِّ مَا
يُمْكِنُهُمْ اسْتِخْدَامُهُ مِنْ أَسْلِحَةٍ ، وَيَنْدَفِعُوا نَحْوَ الْفُنْدُقِ ، حَيْثُ تَتَزَايَدُ
حَشُودُ النَّاسِ سَرِيعًا ، يَصِيحُونَ جَمِيعًا وَيَصْخَبُونَ . وَلَكِنْ يَكُنْ مِنَ
الصَّعْبِ اكْتِشَافُ سَبَبِ الاضطرابِ .

كَانَ سَبَبُ تِلْكَ الْمَتَاعِبِ رَجُلًا فِي الْحَلَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَلَا
شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهَالِي عَسْقُونِيَا ، فَمِنْ السَّهْلِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَيْنِهِ
الدَّكَيْتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ ، وَأَنْفِهِ الدَّقِيقِ . وَقَدْ يَظُنُّهُ ذُو الْعَيْنِ الْمُجَرَّبَةِ ابْنَ

الفصل الأول

هدايا الأب الثالث

كَانَ لُويسُ الثَّالِثُ عَشَرَ ، مَلِكُ فَرَنْسَا ، مِنْ أَبْرَعِ مَنْ اسْتَعْدَمُوا
السَّيْفَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَكْثِيرًا مَا سَمِعَ يَرْدُدُ : « لَوْ كَانَ
لِي صَدِيقٌ يُرِيدُ الْمُبَارَزَةَ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُبَارِزُهُ ، فَإِنِّي أَنْصَحُهُ بِأَنْ
يَخْتَارَنِي أَنَا أَوَّلًا ، ثُمَّ تَرِيفِي مِنْ بَعْدِي ، أَوْ رُبَّمَا تَرِيفِي أَوَّلًا » .

وَكَانَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي مِنْ أَوْفَى الْأَوْفِيَاءِ ، وَمِنْ أَعْظَمِهِمْ
إِخْلَاصًا لِلْمَلِكِ . وَكَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، أَنْ يُحَاطَ
الْمَرْءُ بِالْأَوْفِيَاءِ أَمْثَالِ تَرِيفِي ، وَلِذَلِكَ انْتَهَزَ الْمَلِكُ لُويسُ الثَّالِثُ عَشَرَ ،
أَوَّلَ فُرْصَةٍ ، فَجَعَلَهُ قَائِدًا لِحَرَسِهِ الْمَلِكِيَّةِ - الْفُرْسَانِ .

لَمْ يَكُنِ الْكَارْدِينَالُ رِيشْلِييه ، الَّذِي هُوَ رَئِيسُ وُزَرَاءِ الْمَلِكِ ،
وَالْمَرْهُوبُ الْجَانِبِ أَكْثَرَ مِنَ الْمَلِكِ ، بِأَقْلٍ جِدَارَةً بِالاحْتِرَامِ . وَلَكِنَّمَا
رَأَى الْمَجْمُوعَةَ الْقَوِيَّةَ مِنَ الرِّجَالِ الْمُخْتَارِينَ ، الَّذِينَ أَحَاطَ بِهِمُ السَّيِّدُ

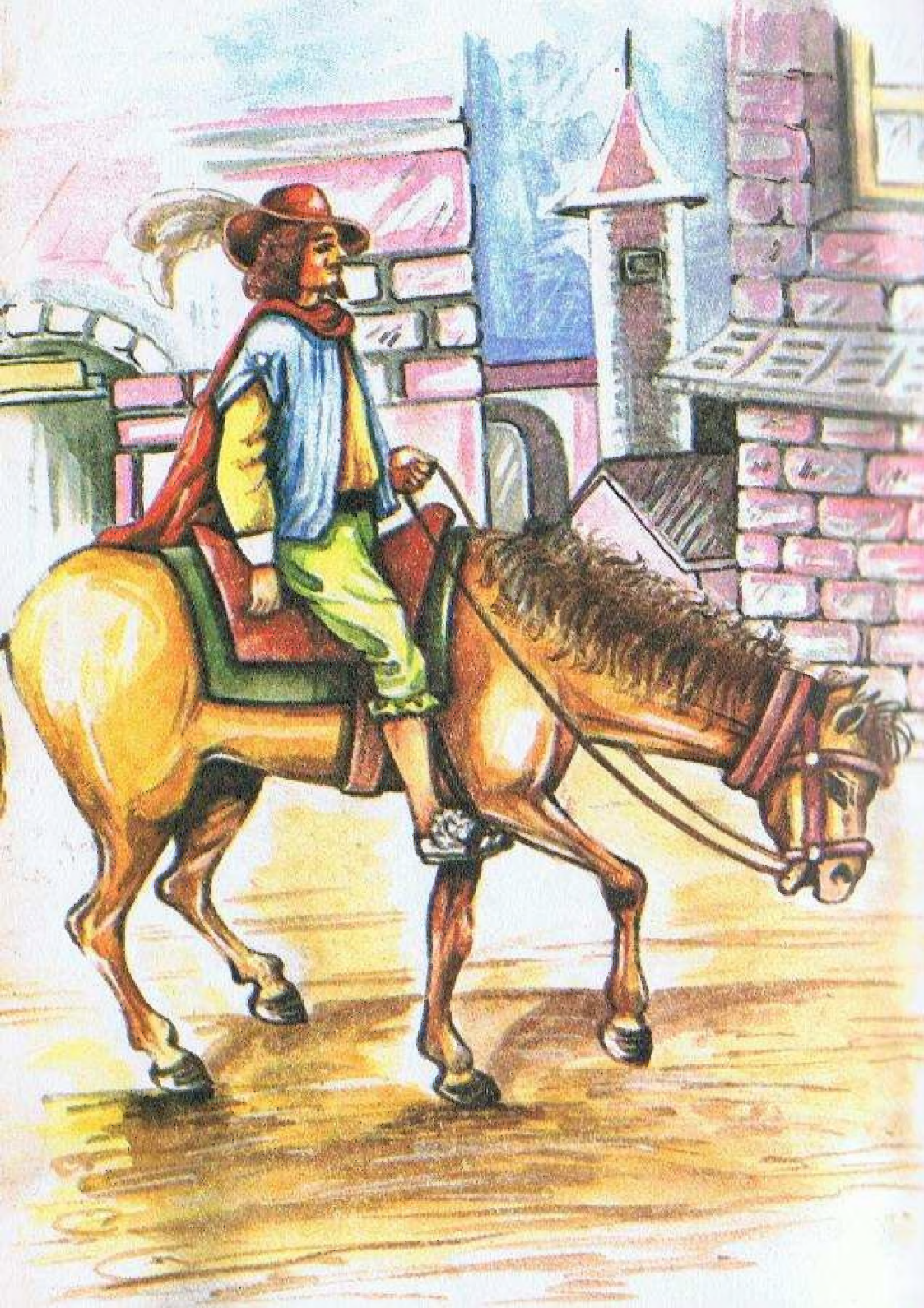
مَزَارِعَ يَقُومُ بِرَحْلَةٍ ، لَوْلَا السَّيْفُ الطَّوِيلُ الْمَتَدَلِّي إِلَى جَانِبِهِ .

وَقَدْ لَفَتَ حِصَانَهُ أَنْظَارَ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ . كَانَتْ سِنُهُ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ مُغَطَّى بِشَعْرِ أَصْفَرِ اللَّوْنِ ، وَذَيْلُهُ خَالِيًا تَمَامًا مِنَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ يَسِيرُ مُطَاطِئًا الرَّأْسَ لِأَسْفَلَ مِنْ مُسْتَوَى رُكْبَتَيْهِ ، وَرَعْمَ ذَلِكَ ، أَفْلَحَ فِي أَنْ يَسِيرَ الْمَسَافَاتِ الْمَقْرَّرَةَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

لَمْ يَسْتَطِعْ دَارْتَانِيَانِ ، وَهَذَا هُوَ اسْمُ الشَّابِّ ، أَنْ يُخْفِيَ مَنَظَرَهُ الْمُضْحِكَ وَهُوَ مُمْتَطٍ صَهْوَةً مِثْلَ ذَلِكَ الْحِصَانِ ، رَعْمَ كَوْنِهِ فَارِسًا مَاهِرًا . لِذَا فَقَدْ تَنَهَّدَ عَمِيقًا عِنْدَمَا قَبِلَهُ هَدِيَّةً مِنْ أَبِيهِ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ .

قَالَ السَّيِّدُ الْغَسْقُونِيُّ : « أَيُّ بَنِيَّ ، وَلَدَ هَذَا الْحِصَانُ فِي إِسْطَبْلِي مُنْذُ حَوَالِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا ، وَخَدَمَنِي بِإِخْلَاصٍ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ . وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَدْعَاةً لِسُرُورِكَ أَنْ يَكُونَ مِلْكًا لَكَ . »

اسْتَطَرَدَ وَالِدُ دَارْتَانِيَانِ قَائِلًا : « وَحَيْثُ إِنَّكَ ، يَا وَلَدِي ، سَتَشُقُّ طَرِيقَكَ فِي الْحَيَاةِ ، فَضَعْ نُصْبَ عَيْنَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى مَكَانَتِكَ ، وَلَا تَتَقَبَّلَ النَّدَى مِنْ أَيِّ شَخْصٍ ، بِاسْتِثْنَاءِ الْكَارْدِينَالِ وَالْمَلِكِ . وَلَا



تَخْشَ الْمَعَارِكَ أَبَدًا ، وَابْحَثْ عَنِ الْمَغَامِرَةِ . وَقَدْ عَلِمْتُكَ كَيْفَ
تَسْتَخْدِمُ السَّيْفَ . وَعَلَيْكَ بِالْقِتَالِ فِي جَمِيعِ الْمُنَاسِبَاتِ .»

وَأَضَافَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « بِمَجَرَّدِ أَنْ تَبْلُغَ بَارِيسَ ، اذْهَبْ بِهَذَا
الْخِطَابِ وَسَلِّمْهُ بِنَفْسِكَ لِلسَّيِّدِ تَرْيُفِي ؛ إِذْ كَانَ هَذَا السَّيِّدُ ، فِيمَا
مَضَى ، جَارِي ، وَحَظِّي بِشَرَفِ اخْتِيَارِهِ رَفِيقًا لِمَلِكِنَا قَبْلَ اغْتِلَائِهِ
الْعَرْشَ . إِنَّهُ الْآنَ قَائِدُ الْفُرْسَانِ ؛ أَيْ قَائِدُ حَرَسِ الْمَلِكِ
الشَّخْصِيِّ .

« عِلَاوَةً عَلَى هَذَا ، فَالسَّيِّدُ دِي تَرْيُفِي يَرْبِحُ عَشْرَةَ آلَافِ كِرَاوَنَ
رَاتِبًا سَنَوِيًّا لَهُ ، وَلِذَا فَهُوَ يُعَدُّ مِنَ النُّبَلَاءِ الْعُظْمَاءِ . لَقَدْ بَدَأَ حَيَاتَهُ
مِثْلَمَا تَبَدَّوْهَا أَنْتَ . اذْهَبْ إِلَيْهِ بِهَذَا الْخِطَابِ ، وَاتَّخِذْهُ قُدُوتَكَ حَتَّى
تَنْجَحَ مِثْلَهُ . لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُعْطِيكَهُ ، يَا بَنِي ، سِوَى خَمْسَةِ عَشَرَ
كِرَاوَنًا ، وَحِصَانِي ، وَالنَّصِيحَةِ الَّتِي سَمِعْتَهَا الْآنَ . انْتَهَزْ كُلَّ فُرْصَةٍ
سَانِحَةٍ ، وَعِشْ سَعِيدًا وَطَوِيلًا .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، عَلَّقَ السَّيِّدُ دَارْتَانِيَانِ سَيْفَهُ عَلَى حِمَالَةِ ابْنِهِ ، وَقَبْلَهُ
فِي وَجْهَتَيْهِ وَبَارَكَهُ .

الفصل الثاني إهانة وتحد

حِينَ وَصَلَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى مِيُونِغَ ، تَرَجَّلَ عِنْدَ بَابِ فُنْدُقِ جُولِي
مِيلِرَ . وَلَا حَظَّ أَثْنَاءَ تَرَجُّلِهِ ، رَجُلًا رَزِينَ الْمَنْظَرِ ، يَقِفُ عِنْدَ نَافِذَةٍ
نِصْفِ مَفْتُوحَةٍ بِالطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ، وَيَتَكَلَّمُ إِلَى شَخْصَيْنِ آخَرَيْنِ خَلْفَهُ
بِالْحُجْرَةِ ، وَيُصْغِيَانِ إِلَيْهِ بِاحْتِرَامٍ غَيْرِ عَادِيٍّ . وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، ظَنَّ
دَارْتَانِيَانِ أَنَّهُ مَوْضُوعُ الْحَدِيثِ ، خَاصَّةً وَأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ
بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى ، لِذَا أَصَاخَ دَارْتَانِيَانِ السَّمْعَ إِلَى مَا يُقَالُ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ كَانَ مُخْطِئًا بَعْضَ الشَّيْءِ ؛ إِذْ إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ
يَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ الْحِصَانِ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ
يُصْغِيَانِ إِلَيْهِ يَضْحَكَانِ بَيْنَ آوَةٍ وَآخَرَى . وَإِذَا كَانَتْ نِصْفُ ابْتِسَامَةٍ
تَكْفِي لِإِثَارَةِ طِبَاعِ ذَلِكَ الرَّجُلِ السَّرِيعِ الْغَضَبِ ، فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ
تَتَصَوَّرَ مَدَى الْأَثَرِ الَّذِي نَشَأَ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَيْنَهَا ، أَبْدَى الرَّجُلُ مَلَا حِظَةً دُعَائِيَّةً سَاخِرَةً
عَنِ الْحِصَانِ ؛ فَفَهَّمَهُ الْاِثْنَانِ الْآخَرَانِ بِصَوْتٍ يَعْلُو عَلَى صَوْتِ
ضَحِكِهِمَا السَّابِقِ . غَيْرَ أَنَّهُ ، هُوَ نَفْسَهُ ، لَمْ يَظْهَرْ أَكْثَرَ مِنْ
ابْتِسَامَةٍ بَسِيطَةٍ عَلَى وَجْهِهِ . وَهُنَا أَحَسَّ دَارْتَانِيَانِ ، فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ،
أَنَّهُ قَدْ أَهَيْنَ . وَإِذْ افْتَنَعَ بِهَذَا ، تَقَدَّمَ وَقَدْ وَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى
مِقْبِضِ سَيْفِهِ ، وَأَسْنَدَ الْآخَرَى عَلَى خَاصِرَتِهِ ، وَصَاحَ قَائِلًا :

« اَسْمَعْ ، يَا سَيِّدِي ، يَا مَنْ تُخْفِي نَفْسَكَ وَرَاءَ ذَلِكَ الْمِصْرَاعِ .
أَخْبِرْنِي عَمَّا يَضْحَكُكَ ، فَضُحِّكْ مَعًا . »

أَدَارَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ بِيْطَاءٍ ، مِنَ الْحِصَانِ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَأَنَّهُ
يَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الْوَقْتِ لِتَيَأَكَّدَ مِمَّا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَا حِظَاتُ
مُوجَّهَةً إِلَيْهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ، عِنْدَمَا لَمْ يَصْبِحْ لَدَيْهِ شَيْءٌ فِي هَذِهِ
الْحَقِيقَةِ ، قَطَّبَ جَبِينَهُ ، وَرَدَّ عَلَى دَارْتَانِيَانِ بِغَيْرِ اكْتِرَاثٍ ، قَائِلًا :

« لَمْ أَكُنْ أَتَحَدَّثُ عَنْكَ ! »

غَضِبَ دَارْتَانِيَانِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ ، مِنْ هَذِهِ السَّخَرِيَّةِ ، وَقَالَ :

« وَلَكِنِّي أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ . »

نَظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَعَلَى شَفَتَيْهِ شَبَحُ ابْتِسَامَةٍ بَاهِتَةٍ ،
وَعَادَرَ النَّافِذَةَ . وَلَمَّا عَادَرَ الْفُنْدُقَ ، تَقَدَّمَ نَحْوَ الْحِصَانِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ

دَارْتَانِيَانِ خُطُوتَانِ .

وَأَسْتَأْنَفَ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ كَلَامَهُ ، قَائِلًا : « مِنْ الْمُؤَكَّدِ ، أَوْ مِنْ
الْمَرْجَحِ أَنَّ هَذَا الْحِصَانِ كَانَ فِي شَبَابِهِ أَفْحْوَانَةً بَرِيَّةً صَفْرَاءَ ! »
وَتَوَجَّهَ بِكَلَامِهِ إِلَى الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا لَا يَزَالَانِ عِنْدَ النَّافِذَةِ ،
مُتَجَاهِلًا دَارْتَانِيَانِ تَمَامًا : « إِنَّهُ لَوْنٌ مَعْرُوفٌ جَيِّدٌ بَيْنَ الزُّهُورِ ، غَيْرَ
أَنَّهُ حَتَّى الْآنَ ، نَادِرٌ جِدًّا بَيْنَ الْخِيُولِ . »

صَاحَ الشَّابُّ : « هُنَاكَ مَنْ يَضْحَكُونَ مِنْ حِصَانٍ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا
يَتَجَاسَرُونَ عَلَى الضَّحِكِ مِنْ صَاحِبِهِ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ : « أَنَا لَا أَضْحَكُ كَثِيرًا ، يَا سَيِّدِي ، وَرَبَّمَا
تَكُونُ قَدْ لَاحِظْتَ ذَلِكَ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ ، فَأَنَا أَضْحَكُ عِنْدَمَا يَحُلُو لِي
أَنْ أَضْحَكَ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ : « وَأَنَا ، عِنْدَمَا يَحُلُو لِي ، لَنْ أَسْمَحَ لِأَيِّ رَجُلٍ
بِأَنْ يَضْحَكَ ! »

وَاصَلَ الرَّجُلُ الْوَقُورُ كَلَامَهُ فِي هُدُوءٍ : « أَهُوَ ذَاكَ ،
يَا سَيِّدِي ؟ » وَأَسْتَدَارَ لِيَدْخُلَ الْفُنْدُقَ .

« اسْتَدِرْ ! اسْتَدِرْ أَبْهَا الْمَهْرَجِ ، وَإِلَّا ضَرَبْتُكَ مِنَ الْخَلْفِ ! »
قَالَ الْآخَرُ وَهُوَ يَسْتَدِيرُ وَيَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ الشَّابِّ بِدَهْشَةٍ وَسُخْرِيَّةٍ :

« تَضْرِبُنِي ! لِمَاذَا ، يَا زَمِيلِي الْعَزِيزَ ؟ لَا بُدَّ أَنَّكَ مَجْنُونٌ ! » ثُمَّ أَضَافَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ ، وَكَأَنَّهُ يُحَادِثُ نَفْسَهُ : « هَذِهِ إِسَاءَةٌ بِالْغَةِ ! »

مَا كَادَ الرَّجُلُ يَنْتَهِي مِنْ قَوْلِهِ هَذَا ، حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ دَارْتَانِيَانِ نَائِرًا ، وَلَوْ لَمْ يَرْتُدَّ الرَّجُلُ إِلَى الْخَلْفِ سَرِيعًا ، لَكَانَتْ هَذِهِ آخِرَ مَرَّةٍ يَمْرُحُ فِيهَا . وَلَكَمَا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّابَّ كَانَ جَادًّا حَقِيقَةً ، اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَوَقَفَ فِي مَوْقِفٍ اسْتِعْدَادٍ . غَيْرَ أَنَّهُ ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ عَيْنِهَا ، خَرَجَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ كَانَا فِي الْفُنْدُقِ ، وَمَعَهُمَا صَاحِبُ الْفُنْدُقِ ، وَأَنْهَالُوا عَلَى دَارْتَانِيَانِ ضَرْبًا بِالْهَرَاوَاتِ . وَلَكَمَا اسْتَدَارَ دَارْتَانِيَانِ لِيُوجِهُ وَابِلَ الضَّرَبَاتِ هَذَا ، أَعَادَ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ سَيْفَهُ إِلَى غِمْدِهِ بِهَدْوٍ . وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُشَارِكَ فِي الْقِتَالِ بِحِمَاسٍ ، وَقَفَ مُتَفَرِّجًا .

ظَلَّ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ هَادِثًا غَيْرَ مُنْزَعَجٍ ، وَرَدَّدَ لِنَفْسِهِ : « اللَّعْنَةُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْغَسَقُونِيِّينَ ! ضَعُوه عَلَى حِصَانِهِ الْأَصْفَرِ ، وَأَرْسِلُوهُ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ بِشَجَاعَةٍ : « لَيْسَ قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَكَ أَيُّهَا الْجَبَانُ ! » وَوَقَفَ رَاسِخًا أَمَامَ مُهَاجِمِيهِ الَّذِينَ ظَلُّوا يُمَطِّرُونَهُ بِالضَّرَبَاتِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْوَقُورُ : « بِشَرَفِي ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْغَسَقُونِيِّينَ يَتَصَرَّفُونَ

بِدُونِ وَعْيٍ ! إِذَا ، اسْتَمِرُّوا فِيمَا تَفْعَلُونَ ، مَا دَامَ يُرِيدُ هَذَا . فَإِذَا مَا كَلَّ ، سَيَصْرُخُ مُعْلِنًا بِأَنَّهُ نَالَ كِفَايَتَهُ . »

بَيَّنَّ أَنَّ الرَّجُلَ الْمَجْهُولَ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْعَنِيدَ ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَاطَلَ مَعَهُ . فَلَمْ يَكُنْ دَارْتَانِيَانِ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَسْتَسْلِمُ أَوْ يَطْلُبُ الرَّحْمَةَ . وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَمَرَ الْقِتَالُ حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مَكْسُورًا بِضَرْبَةِ عَصَا هَائِلَةٍ ، وَطَرَحَتْهُ ضَرْبَةً أُخْرَى عَلَى رَأْسِهِ أَرْضًا مُضْرَجًا بِالدَّمِ ، فَاقْدَأَ الْوَعْيَ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوَّبَ إِلَى مَسْرَحِ الْقِتَالِ ؛ وَإِذْ خَشِيَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ الْعَوَاقِبَ ، حَمَلَ الرَّجُلَ الْجَرِيحَ إِلَى الْمَطْبَخِ ، حَيْثُ أَمَرَ بِغَسْلِ جِرَاحِهِ وَتَضْمِيدِهَا .

« وَلَكِنَّهُ اسْتَجْمَعَ كُلُّ قُوَاهُ ، قَبْلَ أَنْ يَفْقِدَ وَعْيَهُ مُبَاشَرَةً ، مُعَلِّناً
نِزَالَكَ وَتَحْدِيثَكَ ، قَائِلاً إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّيْءِ فِي بَارِيسَ ،
لَجَعَلَكَ تَنْدَمُ عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّدَمِ . »

قَالَ السَّيِّدُ : « إِذَا ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا مُتَنَكِّرًا . أَلَمْ يَذْكُرْ
اسْمَ أَحَدٍ ، أَتْنَاءَ غَضَبِهِ ؟ »

« بَلَى . تَحَسَّسَ جَيْبُهُ وَقَالَ سَنَرَى مَاذَا يَكُونُ رَدُّ فِعْلِ السَّيِّدِ دِي
تْرِيفِي عَنْ هَذِهِ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَحِقَتْ شَخْصًا فِي حِمَايَتِهِ . »

رَدَّدَ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ بِاهْتِمَامٍ : « السَّيِّدُ دِي تْرِيفِي ! » وَوَضَعَ
يَدَهُ عَلَى جَيْبِهِ وَهُوَ يَنْطِقُ بِاسْمِ السَّيِّدِ دِي تْرِيفِي ، ثُمَّ أَضَافَ :
« وَالْآنَ ، يَا عَزِيزِي ، مَا دَامَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّغِيرُ فَاقِدًا لِلْإِحْسَاسِ ،
فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّكَ لَمْ تَفْشَلْ فِي مَعْرِفَةِ مَا فِي جَيْبِهِ . مَاذَا كَانَ بِهِ ؟ »
« خِطَابٌ مُوجَّهٌ إِلَى السَّيِّدِ دِي تْرِيفِي قَائِدِ الْفُرْسَانِ . »

تَمَتَّمَ الرَّجُلُ قَائِلاً : « مَنْ يَدْرِي ، رُبَّمَا أُرْسِلَ تْرِيفِي هَذَا
الْفَسَقُونِيُّ الصَّغِيرَ لِيَعْتَدِيَ عَلَيَّ ! إِنَّهُ أَصْغَرُ مَنْ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا ،
وَلَكِنْ ضَرْبَةُ السَّيْفِ هِيَ ضَرْبَةُ السَّيْفِ ، مَهْمَا تَكُنْ سِنَّ الضَّارِبِ !
وَعِلَاوَةً عَلَى هَذَا ، فَإِنَّ الشَّابَّ أَقْلُ عُرْضَةً لِأَنْ يُشْتَبَهَ فِيهِ مِنَ الرَّجُلِ
الْكَبِيرِ . »

الفصل الثالث

ميلادي يُقابِلُ الرَّجُلَ الْمَجْهُولَ وَتَتَلَقَّى التَّعْلِيمَاتِ

عَادَ السَّيِّدُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَأَخَذَ يُرَاقِبُ الْجُمُوعَ مِنَ النَّافِذَةِ بِقَلْقٍ ،
إِذَا كَانَ مِنَ الْجَلِيِّ أَنْ عَدَمَ أَنْصِرَافِهِمْ ضَائِقَةً .

سَأَلَ الرَّجُلُ الْمَجْهُولُ صَاحِبَ الْفُنْدُقِ ، الَّذِي جَاءَ لِيَسْتَفْسِرَ عَمَّا
إِذَا كَانَ ضَيْفُهُ قَدْ لَحِقَهُ أَذَى : « كَيْفَ حَالُ هَذَا الْمَجْنُونِ ؟ »

أَجَابَ : « أَرْجُو أَنْ تَكُونَ فَخَامَتُكُمْ سَلِيمًا وَفِي مَأْمَنِ ! »

« نَعَمْ ! أَنَا بِخَيْرٍ تَمَامًا ، وَسَلِيمٌ تَمَامًا . مَاذَا صَارَتْ إِلَيْهِ حَالُ
ذَلِكَ الْمُتَهَوَّرِ الْأَرَعْنِ ؟ »

أَجَابَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « إِنَّهُ أَحْسَنُ حَالًا . أَغْمِيَ عَلَيْهِ
فَقَطُّ . »

قَالَ السَّيِّدُ : « أَصَحِّحْ مَا تَقُولُ ؟ »

بَعْدَ ذَلِكَ ، بَقِيَ يُفَكِّرُ مَلِيًّا لِبُضْعِ لِحَظَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا
يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا الْفَتَى الْمَجْنُونِ ؟ الْحَقِيقَةُ أَنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَلَكِنَّهُ يُضَايِقُنِي . أَيْنَ هُوَ ؟ »

« فِي حَجَرَةٍ بِالْأَوَّلِ ، حَيْثُ تُضَمَّدُ جِرَاحُهُ . »

« هَلْ مَعَهُ أَشْيَاؤُهُ وَحَقِيقَتُهُ ؟ هَلْ خَلَعَ صِدَارَهُ ؟ »

« كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَطْبَخِ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَ يُضَايِقُكَ هَذَا الْفَتَى
الْأَرْعَنُ ... ! »

« مِنَ الْمُؤَكَّدِ جِدًّا أَنَّهُ يُضَايِقُنِي ؛ فَقَدْ أَحْدَثَ اضْطِرَابًا فِي قُنْدُوقِكَ ،
وَالنَّاسُ الْمُحْتَرَمُونَ لَا يُجِبُونَ ذَلِكَ . اذْهَبْ ، وَأَعِدْ فَاتُورَتِي ، وَأَخْبِرْ
بِهَا خَادِمِي . »

« مَاذَا ، يَا صَاحِبَ الْفَخَامَةِ ؟ هَلْ سَتَرْتُكُنَا هَكَذَا سَرِيعًا ؟ »

« كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَنْصَرِفُ ؛ إِذْ أُعْطِيتُ الْأَوَامِرَ بِإِسْرَاجِ
حِصَانِي ، أَلَمْ تُنْفِذْ ؟ »

« نَفَّذْتُ أَوَامِرَكَ حَرْفِيًّا ، كَمَا قَدْ تَكُونُ فَخَامَتُكَ قَدْ لَاحَظَتْ ،
وَحِصَانُكَ فِي الْمَرِّ أَمَامَ الْبَابِ ، وَعَلَيْهِ السَّرَجُ . »

« إِذَا ، أَحْضِرْ فَاتُورَتِي . »

انْحَنَى صَاحِبُ الْقُنْدُوقِ بِتَوَاضُعٍ إِثْرَ لَمَحَةِ أَمْرٍ مِنَ السَّيِّدِ ، وَغَادَرَ
الْحَجَرَةَ .

تَمَتَّ الْغَرِيبُ لِنَفْسِهِ قَائِلًا : « لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَرَى هَذَا
الشَّخْصُ مِيلَادِي ، إِذْ سَرَّعَانَ مَا سَتَكُونُ هُنَا . لَقَدْ تَأَخَّرْتُ فِعْلًا .
مِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ أَمْتَطِيَ الْحِصَانَ وَأَسْرِعَ لِمُلَاقَاتِهَا . وَلَكِنِّي أَوَدُّ أَنْ
أَعْرِفَ مَاذَا يَحْوِيهِ الْخِطَابُ الْمَوْجَّهَ إِلَى السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي . » ثُمَّ سَارَ
بِطَّءٍ نَحْوَ الْمَطْبَخِ .

فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، صَعِدَ صَاحِبُ الْقُنْدُوقِ إِلَى دَارْتَانِيَانِ ، فَوَجَدَهُ
قَدْ اسْتَعَادَ وَعِيَهُ لِقَاؤُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الشَّرْطَةَ سَتُعَامِلُهُ بِقَسْوَةٍ لِعِرَاقِهِ مَعَ
لُورْدٍ عَظِيمٍ - إِذْ يَبْدُو مِنْ هَيْئَةِ الرَّجُلِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ سِوَى
لُورْدٍ عَظِيمٍ - وَأَصْرَّ عَلَى وُجُوبِ انْصِرَافِ دَارْتَانِيَانِ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ .
وَنَزَلَ دَارْتَانِيَانِ وَهُوَ لَا يَزَالُ شَبَّهَ فَاقِدَ لِلْوَعْيِ ، وَرَأْسُهُ مُضْمَدٌ ، إِلَى
الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ . وَلَمَّا أَطْلُ مِنَ النَّافِذَةِ ، أَبْصَرَ السَّيِّدَ الْمَجْهُولَ
يَتَحَدَّثُ بِهَدْوٍ إِلَى شَخْصٍ مَا فِي عَرَبَةٍ يَجْرُهَا حِصَانَانِ جَمِيلَانِ .

وَأَمَكَّنَهُ أَنْ يَرَى الشَّخْصَ الَّذِي كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ
الْمَجْهُولُ ، رَأَهُ بِوُضُوحٍ مِنْ خِلَالِ نَافِذَةِ الْعَرَبَةِ . كَانَتْ امْرَأَةً مِنَ
الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ ، فِي حَوَالِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا . رَأَى

دارتانيان ، في لحظة ، أن هذه المرأة شديدة الحسن ؛ بيضاء البشرة ،
تدلك على كتفيها خصلات شعر مسترسلة ، ذات عينيْن نجلاوين
زرقاوين حالمتين ، وشفتاها ورديتان ، وبداها بضتان ناعمتان . كانت
تحدث إلى الرجل المجهول بطريقة عصبية .

قالت السيدة : « إذا ، فإن فخامته يأمرني ... »

« بأن تعودني فوراً إلى إنجلترا ، يا ميلادي ، وتخطريه مباشرة بأن
يغادر دوق بكنجهام لندن . »

سألت المرتحلة الحسنة : « وفيما يختص بتعليماتي الأخرى ؟ »
« يضمها هذا الصندوق ، الذي يجب ألا تفتحيه حتى تصلي
إلى إنجلترا . »

« حسن جداً . وأنت ماذا ستفعل ؟ »

« سأعود إلى باريس . »

سألت السيدة : « ماذا ؟ أ لن تعاقب أولاً هذا الغلام الوقح ؟ »

في اللحظة نفسها ، التي كان الرجل المجهول سيحب عليها ،
اندفع دارتانيان خارجاً ، وقد سمع ما قالت ، فصاح قائلاً : « هذا
الغلام الوقح هو الذي يعاقب غيره ، وأمل في هذه المرة ، ألا يفلت

مثلما أفلت من قبل . »

رد الرجل المجهول عابساً : « لن يفلت منه ؟ »

« لن يفلت ؛ إذ اعتقد أنه لن يجرؤ على الفرار أمام امرأة ! »

قالت ميلادي للرجل المجهول ، وهو يضع يده على مقبض
سيفه : « تذكر أن أقل تأخير سيفسد كل شيء . »

صاح الرجل : « أنت على حق . انصرفي الآن في طريقك ،
وسأذهب أنا في طريقي بأسرع ما يمكنني . » وأنحى للسيدة ، ثم
ففر إلى سرجه ، فانصرفت عربتها على الفور .

وهكذا افرق المتكلمان متخذين جهتين متضادتين بأسرع ما في
مكنتهما .

صاح صاحب الفندق ، الذي تغير رأيه في ذلك المرتحل عندما
أبصره يتصرف دون أن يسدد حسابه ، قائلاً : « الحساب ! »

قال الرجل المجهول لخدمته : « ادفع له ! »

و ألقى الخادم بيعة قطع من النقود الفضية إلى صاحب
الفندق ، وأسرع يركض بحصانه خلف سيده .

صاح دارتانيان وهو يقفز إلى الأمام : « أيها الجبان ! أيها السيد

الزَّائِفُ !» وَعِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُكَ جَرَحَهُ ، فَمَا كَادَ يَسِيرُ عَشْرَ خُطَوَاتٍ حَتَّى أَعْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَقَطَ فِي الشَّارِعِ وَهُوَ لَا يَزَالُ يَصِيحُ : « أَيُّهَا الْجَبَانُ ! أَيُّهَا الْجَبَانُ ! »

عَقَّبَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ قَائِلًا : « الْحَقُّ مَعَكَ ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ جَبَانٌ ! » ، ظَانًّا أَنَّ قَلِيلًا مِنَ التَّمَلُّقِ لَنْ يُضِيرَهُ شَيْئًا .

وَهَمَسَ دَارْتَانِيَانُ : « نَعَمْ ، إِنَّهُ لَجَبَانٌ ، وَلَكِنَّهَا - هِيَ جَمِيلَةٌ جِدًّا ! »

سَأَلَهُ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « مَنْ تَكُونُ هِيَ ؟ »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ وَهُوَ يَغْمَى عَلَيْهِ : « مِيلَادِي . »

الفصل الرابع

بَحْثُ دَارْتَانِيَانِ عَبَثًا عَنْ خِطَابِ التَّوْصِيَةِ يُوحِي لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ بِفِكْرَةٍ

فِي الصَّبَاحِ التَّالِي ، وَضِعَتْ ضِمَامَاتٌ جَدِيدَةٌ لِحِرَاحِ دَارْتَانِيَانِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ بِفَضْلِ شَبَابِهِ ، وَرُبَّمَا أَيْضًا لِعَدَمِ وُجُودِ طَبِيبٍ ، أَخَذَ يَتَجَوَّلُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، وَاسْتَرَدَّ عَافِيَتَهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي . وَعِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ سَدَادِ فَاتُورَتِهِ ، كَانَ الْمَبْلُغُ الْوَحِيدُ الْمَدِينُ بِهِ لِلْفُنْدُقِ ، هُوَ أَجْرُ حُجْرَتِهِ ، مَعَ وَجْبَةٍ وَاحِدَةٍ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَجْرِ الضَّمَامَاتِ . وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، تَبَعًا لِقَوْلِ صَاحِبِ الْفُنْدُقِ ، أَكَلَ حِصَانَهُ ثَلَاثَةَ أَضْعَافٍ مَا يَسْتَطِيعُ حِصَانٌ آخَرٌ مِنْ نَفْسِ حَجْمِهِ أَنْ يَأْكُلَ عَادَةً . وَلَمْ يَجِدْ دَارْتَانِيَانُ شَيْئًا فِي جُيُوبِهِ ، بِاسْتِثْنَاءِ نَقُودِهِ . أَمَّا الْخِطَابُ الْمَوْجَّهَ لِلْسَيِّدِ دِي تْرِيفِي ، فَقَدْ اخْتَفَى !

وَرَاحَ يَبْحَثُ عَنِ الْخِطَابِ بِصَبْرٍ عَظِيمٍ ، وَأَفْرَعُ جُيُوبَهُ وَيَبْحَثُ فِي حَقِيبَتِهِ مِرَارًا . وَلَكَمَا أَدْرَكَ أَخِيرًا أَنَّهُ لَنْ يَعْثَرَ عَلَى الْخِطَابِ ، اسْتَشْطَاطَ

عَضْبًا وَثَارَ . وَعِنْدَمَا رَأَى صَاحِبَ الْفُنْدُقِ أَنَّ ذَلِكَ الشَّابَّ الْمُسْرِعَ
الْأَرْعَنَ سَيَحْطُمُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْفُنْدُقِ ، إِنَّ لَمْ يَجِدْ خِطَابَهُ ، أَمْسَكَ
بِقَضِيبِ حَدِيدِي ، وَأَمْسَكَتْ زَوْجَتَهُ بِيَدِ مِكنَسَةٍ ، وَأَمْسَكَ الْخَدَمُ
بِالْعِصِيَّ الَّتِي اسْتَخْدَمُوهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ .

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ قَائِلًا : « خِطَابُ التَّوَصِيَةِ الْخَاصُّ بِي ! خِطَابُ
التَّوَصِيَةِ ، وَالْأَيُّهَا أَنَّنِي أَقْسِمُ أَنَّي سَأَمْزُقُكُمْ جَمِيعًا إِرْبًا إِرْبًا ! »

وَلِسَوْءَ الْحِظِّ ، كَانَتْ ثَمَّةٌ عَقَبَةٌ كَوُودٌ تَحُولُ دُونَ تَنْفِيذِ هَذَا
التَّهْدِيدِ ، فَإِنَّ سَيْفَ دَارْتَانِيَانِ قَدْ كَسِرَ نِصْفَيْنِ ، وَنَسِيَ هُوَ هَذِهِ
الْحَقِيقَةَ . وَلِذَلِكَ ، فَعِنْدَمَا اسْتَلَّهَ وَجَدَ نَفْسَهُ مُسَلَّحًا بِقِطْعَةٍ مِنْ سَيْفٍ
طَوَّلَهَا حَوَالِي عِشْرِينَ سَنَتِيمَةً ، كَانَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ قَدْ وَضَعَهَا
بِعَيْنَايَةٍ فِي غِمْدِ السَّيْفِ . وَمَا كَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَوْقِفَ ذَلِكَ
الشَّابَّ الْمَتَهُورَ ، لَوْلَا مَا أَعْلَنَهُ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ ، بِأَنْ طَلَبَ
الْخِطَابَ مِنْهُمْ لَيْسَ عَادِلًا تَمَامًا .

قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَخْفِضُ الْقَضِيبَ الْحَدِيدِيَّ : « دَعْنَا نَفَكِّرَ مَعًا
أَيْنَ هَذَا الْخِطَابُ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ مُعَقِّبًا : « نَعَمْ ، أَيْنَ هُوَ ؟ إِنِّي أَحْذَرُكُمْ بِأَنْ
ذَلِكَ الْخِطَابُ مُوجَّهٌ لِلْسَيِّدِ دِي تَرِيفِي ، وَيَجِبُ الْعُثُورُ عَلَيْهِ . فَإِنْ

لَمْ يَعَثُرْ عَلَيْهِ ، فَسَيَعْرِفُ هُوَ كَيْفَ يَعَثُرُ عَلَيْهِ . أَعِدُّكُمْ بِذَلِكَ ! »

حَفَزَ هَذَا التَّهْدِيدُ صَاحِبَ الْفُنْدُقِ لِلتَّحَرُّكِ إِلَى الْعَمَلِ ؛ فَالْقَى
بِالْقَضِيبِ الْحَدِيدِيِّ مِنْ يَدِهِ ، وَأَمَرَ زَوْجَتَهُ بِأَنْ تَفْعَلَ نَفْسَ الشَّيْءِ بِيَدِ
الْمِكنَسَةِ ، وَالْخَدَمَ بِعَصِيَّتِهِمْ ، وَبَدَأَ يَبْحَثُ بِجَدِّيةٍ عَنِ الْخِطَابِ . وَرَغْمَ
ذَلِكَ ، فَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى تَذْكُرَ شَيْئًا هَامًا ، فَصَاحَ
فَجَاءَهُ : « الْخِطَابُ لَمْ يَضَعْ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ دَهْشًا : « مَاذَا ؟ »

« نَعَمْ ، بَلْ سُرِقَ مِنْكَ . »

« سُرِقَ ؟ وَمِنْ سَرَقَهُ ؟ »

« سَرَقَهُ ذَلِكَ السَّيِّدُ الَّذِي كَانَ هُنَا بِالْأَمْسِ . نَزَلَ إِلَى هَذِهِ
الْحِجْرَةِ الَّتِي تَرَكْتَ فِيهَا صِدَارَكَ ، وَمَكَثَ فِيهَا بَعْضَ الْوَقْتِ .
وَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَرَقَهُ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ وَهُوَ لَا يَزَالُ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ : « أَتَظُنُّ ذَلِكَ ؟ »

اسْتَطَرَدَ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ قَائِلًا : « أَقُولُ لَكَ إِنَّنِي مُتَأَكِّدٌ مِنْ هَذَا
تَمَامًا ؛ فَعِنْدَمَا أَخْبَرْتَهُ بِأَنْ سَيَادَتُكُمْ فِي حِمَايَةِ السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي ،
وَأَنَّكَ تَحْمِلُ لِذَلِكَ الشَّخْصِ النَّبِيلِ خِطَابًا ، بَدَأَ عَلَيْهِ الْقَلَقُ

الشديد ؛ وسأل عن مكان الخطاب . وبعدها مباشرة نزل إلى حيث
تركت صيدارك وأشياءك .

قال دارتانيان : « إذا فلا شك في أنه هو اللص . سأشكو إلى
السيد دي تريفي ، وسيشكو هو بدوره إلى الملك . » ثم أخرج
كراونين ، بعظمة ، من كيس نقوده ، وأعطاهما لصاحب الفندق ،
الذي رافقه إلى باب الفندق والقبعة في يده .

امتطى دارتانيان ، من جديد ، صهوة جواده الأصفر اللون ،
الذي حمّله بدوره إلى باريس ، وهناك باع حصانه بثلاثة كراونات .
وهذا يُعتبر ثمنًا طيبًا للغاية . وهكذا دخل هذا المغامر الشاب باريس
على قدميه ، حاملاً متعلقاته القليلة في حقيبة تحت إبطه .

وبعد بحث غير طويل ، وجد شقة للإيجار بسعر يناسب مالهته
المحدودة . بعد ذلك ، ذهب ليصنع نصلاً جديداً لسيفه . وفي
طريق عودته ، سأل أول فارس أبصره عن مقر السيد دي تريفي
الرئيسي ، والذي اتضح أنه قريب من المسكن الذي استأجره .

وإذا كان مقتنعاً بعد ذلك بالطريقة التي سلكها إلى ميونغ ،
دون أسف على ما مضى ، و واثقاً بالحاضر ، ومفعماً بالأمل في
المستقبل ، فقد أوى إلى فراشه ، ونام نومة القدام .

الفصل الخامس

إعجاب دارتانيان بطرق استخدام السيّف
فوق السّلم ، وإعجابه بحمالة سيّف

كان فرسان الملك جماعة من الرجال البواسل المستهترين غير
المهذبين تماماً ، وعلى استعداد لمواجهة أي شخص ، فيما عدا
رئيسهم السيد دي تريفي . كانوا يشاهدون في كل مكان
يضحكون ويتكلمون بأصوات صاخبة ، ويفتلون شواربهم ، ويصلون
بسيوفهم . وفوق كل شيء ، كان يحلو لهم أكثر من أي شيء
آخر أن يتحرشوا بحرس الكاردينال ، حين يلتقونهم بمحض
الصدفة . ولم يهتم أولئك الرجال بالقانون في قليل أو كثير ،
وكانوا دائماً في قتال ونزال . يقتلون أحياناً ، ولكنهم في أغلب
الأحيان يقتلون . وكانوا على يقين من عدم بقائهم في السجن ؛
إذا إن هناك السيد دي تريفي الذي يعمل على إطلاق سراحهم في
الحال .

كان هؤلاء الرجال يُقدسون السيد دي تريفي ، ويمدحونه مديحاً

يَكَادُ يَصِلُ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ . وَرَغْمَ كَوْنِهِمْ لَا يَهَابُونَ أَحَدًا ،
فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُطِيعُونَ أَيْ أَمْرَ يَتَقَوُّهُ بِهِ السَّيِّدُ دِي تَرْيَقِي ، وَعَلَى
اسْتِعْدَادِ تَامٍ لِلتَّضَحُّيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ لِعِغْلٍ أَقْلٍ إِهَانَةٍ تَلْحَقُ بِهِ أَوْ
بِالْفُرْسَانِ تَحْتَ إِمْرَتِهِ . وَكَانَ مَقَرُّ السَّيِّدِ دِي تَرْيَقِي فِي بَارِيسَ ،
يُشَبِّهُهُ مُعَسَّكِرًا مُسَلَّحًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . كَانَ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ
خَمْسُونَ أَوْ سِتُّونَ فَارِسًا مُجْتَمِعِينَ فِي الْفِنَاءِ وَفِي الْمَمَرَاتِ . وَكَانُوا
يَتَنَاقَشُونَ الْحِرَاسَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَثْنَاءَ فِتْرَةِ رَاحَتِهِمْ فِي الْقَصْرِ ؛ لِيُظْهِرُوا
قُوَّاهُمْ فِي اسْتِعْرَاضِ عَظِيمٍ قَدَّرَ الْإِمْكَانَ . يَسِيرُونَ فِي كِبْرِيَاءَ
وَحَيَلَاءَ ، مُدَجِّجِينَ بِالسَّلَاحِ ، وَمُسْتَعِدِّينَ لِأَيِّ شَيْءٍ .

لَمَّا قَدَّمَ دَارْتَانِيَانِ نَفْسَهُ ، كَانَ الْمَجْلِسُ مُهَيَّأً بِعَظْمَةٍ غَيْرِ عَادِيَةٍ ،
كَأَنَّ شَخْصِيَّةَ عَظِيمَةٍ سَتَرُورِ السَّيِّدِ دِي تَرْيَقِي ؛ فَلَمَّا اجْتَاَزَ دَارْتَانِيَانِ
الْمُدْخَلَ الضَّخْمَ ذَا الْأَبْوَابِ الْكَبِيرَةِ الْمُغَطَّاةِ بِالْمَسَامِيرِ الْمُرَبَّعَةِ
الرَّعُوسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ وَسَطَ عَدَدٍ مِنَ السَّيَافِينَ ، يَمْزَحُونَ وَيَتَشَاجِرُونَ
بِمَرْحٍ ، كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ الْآخَرِ ، وَهُمْ لَا يُفْسِحُونَ الطَّرِيقَ لِأَيِّ
شَخْصٍ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَاطِطًا أَوْ نَبِيلًا أَوْ سَيِّدَةً .

تَقَدَّمَ الشَّابُّ وَسَطَ هَذِهِ الضُّوْضَاءِ وَالْفَوْضَى الْوَاضِحَةِ ، وَقَلْبُهُ
يَخْفِقُ . وَكُلَّمَا اجْتَاَزَ جَمَاعَةً ، تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ . وَلَكِنْ لَمْ يَسَعَهُ إِلَّا
أَنْ يُلَاحِظَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْمُقُونَهُ بِمُتَعَةٍ ؛ فَاحْسٌ دَارْتَانِيَانِ الْمَرْهُوُّ ، لِأَوَّلِ

مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ ، بِشَيْءٍ مِنَ الْقَلْقِ . وَعِنْدَمَا بَلَغَ أَوَّلَ السَّلَمِ الرَّحْبِ
الضَّخْمِ ، زَادَ قَلْقُهُ . كَانَ ثَمَّةَ أَرْبَعَةِ فُرْسَانٍ يَتَسَلُونَ بِالْعَابِ
السُّيُوفِ ، وَعَشْرَةَ فُرْسَانٍ ، أَوْ اثْنَا عَشَرَ فَارِسًا ، كَانُوا عِنْدَ بَدَايَةِ
السَّلَمِ ، لِيَأْخُذُوا دَوْرَهُمْ . وَقَفَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدَ دَرَجَةِ
سَلَمٍ عَلِيًّا مُشْهُرًا سَيْفَهُ ، لِيَمْنَعَ أَوْ لِيَحَاوِلَ مَنَعَ الثَّلَاثَةَ الْآخَرِينَ مِنَ
الصُّعُودِ ، فَانْقَضَ عَلَيْهِ الثَّلَاثَةُ الْآخَرُونَ بِسُيُوفِهِمُ الْمُسْرَعَةِ ، إِلَّا أَنَّ
الْفَارِسَ الْوَاقِفَ عَلَى دَرَجَةِ السَّلَمِ الْعُلْيَا ، أَبْعَدَ عَنْهُ خُصُومَهُ الثَّلَاثَةَ ،
بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ .

وَيَبْدُو أَنَّ الْقَاعِدَةَ عِنْدَهُمْ تَنْصُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا أُصِيبَ رَجُلٌ ، خَطَأً
جَانِبًا ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ آخَرٌ . وَخِلَالِ خَمْسِ دَقَائِقَ ، جَرَحَ ثَلَاثَةَ فُرْسَانٍ
جُرُوحًا بَسِيطَةً ، أَحَدَهُمْ فِي يَدِهِ ، وَآخَرُ فِي ذَقْنِهِ ، وَثَالِثٌ فِي أُذُنِهِ ،
بِوَسِطَةِ الْفَارِسِ الْمُدَافِعِ عَنِ السَّلَمِ ، عَلَى حِينِ ظَلَّ هُوَ نَفْسَهُ دُونَ أَنْ
يَمْسَهُ أَدَى . لَمْ يَسْبِقْ لِدَارْتَانِيَانِ أَنْ شَاهَدَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَهَارَةِ ، وَلَا
مِثْلَ هَذِهِ الْجُرْأَةِ .

وَأَخِيرًا لَاحِظُوهُ ، فَجَاءَهُ رَسُولٌ وَسَأَلَهُ عَمَّا يَرِيدُ ، فَذَكَرَ اسْمَهُ
بِاحْتِشَامٍ ، وَالتَّمَسَّ مُقَابِلَةً قَصِيرَةً مَعَ السَّيِّدِ دِي تَرْيَقِي ، فَوَعَدَهُ
الرَّسُولُ بِتَوْصِيلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى الْقَائِدِ ، وَعِنْدَ ذَاكَ ، عَدَا دَارْتَانِيَانِ
حَرًّا فِي أَنْ يَتَطَّلَعَ إِلَى مَا حَوْلَهُ . وَكَانَ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ

البالغة النشاط والحيوية ، فارسٌ يبدو عليه الغرور ، فارغ الطول ، يرتدي ثيابه بطريقة تختلف عن طرق الآخرين ؛ لجذب الانتباه العام . لم يلبس هذا الفارس الزي الرسمي الذي يرتديه الآخرون ، وإنما كان يلبس صيداراً أزرق بلون السماء ، باهتاً وبالياً بعض الشيء ، و فوقه حمالة سيف رائعة المنظر ، مطرزة بخيوط ذهبية تتألق كما يتألق الماء تحت أشعة الشمس ، ويتدلى من كتفيه العريضتين معطف طويل من القطيفة القرمزية اللون ، مفتوح من الأمام ليبين الحمالة التي يتدلى منها أضخم سيف رآه دارتانيان في حياته .

ويبدو أن هذا الفارس انفصل حديثاً من حرس القصر . وكان يعاني من نزلة برد ، ويسعل من آن لآخر ليبرهن على إصابته بالبرد . وأخبر من حوله بأنه ارتدى المعطف ليدراً هذا البرد عنه . وبينما هو يتكلم هكذا بلهجة ازدراء ، ويفتل شاربته في خيلاء ، أبدى الجميع إعجابهم بحمالة سيفه المزخرفة في إفراط ، كما أعجب بها دارتانيان أكثر من غيره .

قال المدعو پورثوس : « أقسم بشرفي أنني اشتريتها بنفسي ، بكل ما كان في كيس نقودي ! »

عقب أحد الفرسان متهمكماً : « ربما ؛ فقد اشتريت أنا كيس النقود هذا بنفس الطريقة ، بكل النقود التي وضعها شخص آخر

في كيس نقودي القديم ! »

قال پورثوس : « هذا حقيقي ، والدليل على ذلك أنني دفعت فيه اثني عشر پستولاً ^(١) ، أليس كذلك ، يا أراميس ؟ » واستدار ، وهو يتكلم ، نحو فارس آخر . وكان هذا الفارس الذي استشهد به ليصدق على قوله ، على نقيض پورثوس تماماً ؛ فهو شاب في حوالي الثالثة والعشرين من عمره ، فلما يتكلم ، وإذا تكلم فبيطء وفي هدوء ، وكثيراً ما كان ينحني احتراماً لغيره بطريقة نبيلة تدل على حسن التربية . أجاب على استشهاده صديقه به ، بإيماءة من رأسه ، رغم أنه من المشكوك فيه أنه قد أصغى أساساً إلى كلام پورثوس .

وعلى ما يبدو فإن هذا التصديق قد أزال جميع الشكوك عن أصل حمالة السيف الفاخرة . ورغم أن الفرسان لم يزالوا يعجبون بها ، فقد انتقل الحديث إلى موضوعات أخرى .

بعد ذلك بوقت قصير ، خرج رسول من مكتب السيد دي تريفي ، وصاح قائلاً : « السيد دي تريفي ينتظر السيد دارتانيان . »

عند هذا الإعلان ، الذي في أثناءه بقي باب المكتب مفتوحاً ، وقف الجميع صامتين . وفي وسط هذا السكون ، عبر ذلك الرجل البهو بطوله ، ودخل مكتب قائد الفرسان .

(١) الپستول عملة إسبانية ذهبية قديمة ، تعادل ١٧ شلنًا .

وكانتهما بمثالان . ثم وقف فجأة أمامهما تماما ، وشرع ينظر
إليهما من رأسيهما إلى أخمص أقدامهما ، نظرة شرراء غاضبة .

صاح قائلا : « أتعرفان ماذا قال لي الملك مساء أمس
فقط ؟ أتعرفان ، يا سادة ؟ »

أجاب الاثنان بعد لحظة سكوت : « لا ، يا سيدي ،
لا نعرف . »

« أخبرني بأنه سيختار فرسانه ، في المستقبل ، من بين حرس
الكاردينال . »

شرق وجه الفارسين غضبا من هذه الإهانة . وأحس دارتانيان
بالقلق الشديد ، وتمنى لو انشقت الأرض وابتلعتة .

استطرد السيد دي تريفي كلامه بغضب وحدة ، فقال : « كان
جلالته على حق ! فبينما كنت ألعب الشطرنج معه ، بالأمس ، روى
الكاردينال كيف أحدثتم اضطرابا ، أيها الفرسان المستهترون ! أنتم
أيها الثرثارون ! وطننته سيلحق بي إهانة ، ويضطر حرسه إلى
القبض عليكم . يا لرحمة السماء ! لا بد أنكم تعرفون شيئا عن
هذا الموضوع . يقبضون على فرساني ! ألم تكونا هناك ضمنهم .
لا تنكرا أنكما كنتما هناك ، لقد تعرفوا عليكم ، ودكر الكاردينال

الفصل السادس

استقبال دارتانيان استقبالا رسميا
وسماعة أكثر مما كان متوقعا أن يسمع

في تلك اللحظة ، كان السيد دي تريفي عصبي المزاج ، إلا أنه
رحب بالشباب دارتانيان في أدب ، على حين انحنى له دارتانيان
انحناء شديدة . وابتسم السيد دي تريفي عند سماعه أولى كلمات
دارتانيان ؛ فقد ذكرته طريقة الكلام الغسقونية بأيام صباه ،
وبموطئه . ولكنه أشار إليه بأن ينتظر لحظة ، وخطا نحو الباب ،
ونادى بصوت آمر مرتفع : « آثوس ! پورثوس ! أراميس ! »

ولبى فارسان النداء في الحال ، وتركوا زملاءهما ، وأسرعوا إلى
المكتب .

أخذ السيد دي تريفي يذرع أرض الحجرة جيئة وذهابا في
صمت ، وقد قطب ما بين جبينه . وكان في كل مرة ، يمر في
صمت أمام پورثوس وأراميس اللذين وقفا منتصبين القامة صامتين ،

ارتجف پورثوس وأراميس غضباً لهذه الإهانة . كان بوسعهما أن يقتلا السيد دي تريفي ، لو لم يعرفا محبته العظمى لهم - لفرسانه . ولما سمحا له بأن يكلمهم بهذه الطريقة .

استأنف السيد دي تريفي كلامه وهو ناثراً مثل جنوده ، فقال : « فكروا في هذا الأمر . ماذا يعني أن يقبض ستة من حرس الكاردينال على ستة من فرساني ؟ يا لرحمة السماء ! سأذهب رأساً إلى القصر وأقدم استقالتني للملك ، ثم أنضم إلى حرس الكاردينال (قالها وهو ينظر مباشرة إلى أراميس) وإذا رفضها ، فسأعزل ! »

قال پورثوس ، وهو لا يكاد يتمالك نفسه : « حسن يا سيدي . حقيقة ، كنا ستة ضد ستة ، ولكن لم يقبض علينا بوسائل عادلة ! لقد باعونا قبل أن نستل سيوفنا ، فقتل اثنان من فريقنا ، وجرح الوس جرحاً بليغاً . وأنتك لتعرف آثوس ، يا سيدي ، فهو ليس جباناً . ولكننا لم نستسلم ، وإنما جرونا بالقوة في الطريق ، ورغم ذلك ، أمكننا أن نهرب . وقد اعتقدوا أن آثوس قتل ، فتركوه ظانين أنه لا يستحق مشقة حمله . هذه هي القصة كلها . وأنت تدرك ، يا سيدي ، أن ليس بوسع المرء أن يكسب كل معاركه ! »

قال أراميس : « بمقدوري أن أوكد لك أنني قتلت واحداً منهم ،

« وأنت ، يا أراميس ، لماذا ارتديت الحلة الرسمية وأنت لا تصلح إلا لأن تدرس في مدرسة للصغار ؟ وأنت ، يا پورثوس ، أتعلق في جمالتك الجميلة سيفاً من القش ؟ وآثوس - لست أرى آثوس ؟ أين هو ؟ »

أجاب أراميس بصوت حزين : « إنه جد مريض يا سيدي . مريض للغاية . »

« مريض ؟ أ تقول مريض للغاية ؟ »

أجاب پورثوس : « يخشى أن يكون كذلك ، يا سيدي . » قال هذا وهو لا يرغب في أن يفوته الحديث .

« مريض ! لا أصدق هذا . من المحتمل جداً أنه جرح - أو ربما قتل . آه لو عرفت ! »

« لا أريدكم ، أيها السادة ، أن تذهبوا كثيراً إلى الحانات ، ولا أن تحدثوا ذلك العراك في الشوارع ، ولا أن تستخدموا السيف وسط جموع الشعب . وأخيراً ، كن أسمح بأن تهيئوا لحرس الكاردينال فرصة السخريه منكم ! ادفعوا عن أنفسكم وصمة الهروب والفرار ؛ فهذا شيء جميل يقال عن فرسان الملك -

بِسَيْفِهِ هُوَ ، إِذْ كَسَرَ سَيْفِي مِنْ أَوَّلِ ضَرْبَةٍ .»

قال السيد دي تريفّي بلهجة أقلّ حِدَّةً : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّ الكاردينالَ قَدْ بَالِغَ كَمَا يَفْعَلُ دَائِمًا .»

قال أراميس : « وَلَكِنِّي أَرْجُوكَ ، يَا سَيِّدِي ، أَلَا تَذْكُرُ شَيْئًا عَنْ جُرْحِ آتُوسَ ، فَقَدْ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْيَأْسُ إِنْ سَمِعَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ ، فَالْجُرْحُ بَلِيغٌ وَيَخْشَى ...»

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، رَفَعَ السُّتَارَ الَّذِي يَحْجُبُ الْبَابَ ، وَظَهَرَ وَجْهَ نَبِيلٍ وَأَنْبِقٍ ، وَلَكِنَّهُ شَاחِبُ اللَّوْنِ بِصُورَةٍ لَا فِتَّةَ .

صاحَ الْفَارِسَانِ : « آتُوسُ !»

صاحَ السَّيِّدُ دِي تَرِفِي : « آتُوسُ !»

قال آتُوسُ لِلْسَّيِّدِ دِي تَرِفِي ، بِصَوْتٍ وَاهِنٍ ، وَلَكِنَّهُ كَامِلٌ الْهُدُوءِ : « أُرْسَلْتُ فِي طَلْبِي ، يَا سَيِّدِي ؟ لَقَدْ أَخْبَرَنِي رُفَقَائِي بِذَلِكَ ، فَهَرَعْتُ لِأَتَلَقَّى أَوَامِرَكَ .» وَكَانَ مُرْتَدِّيًا مَلَابِسَهُ بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ ، وَدَخَلَ الْغُرْفَةَ بِخُطَى وَثِيْدَةٍ .

وَإِذْ تَأَثَّرَ السَّيِّدُ دِي تَرِفِي بِدَلِيلِ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ هَذَا ، تَقَدَّمَ نَحْوَهُ وَقَالَ : « كُنْتُ أَوْشِكُ عَلَى إِخْبَارِ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ بِأَنِّي أَحْظُرُ عَلَى قُرْسَانِي تَعْرِيزَ حَيَاتِهِمْ لِلْخَطَرِ بِغَيْرِ دَاعٍ ؛ فَالرَّجَالُ الشُّجْعَانُ

لَدَيْهِمْ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ قُرْسَانَهُ أَشْجَعُ رِجَالٍ عَلَى الْأَرْضِ .»

كَانَ تَأَثِيرُ مَجِيءِ آتُوسَ قَوِيًّا عَلَى الْحُضُورِ ، لِدَرَجَةِ أَنْ اجْتَمَعَ حَشْدٌ خَارِجَ الْبَابِ نِصْفِ الْمَفْتُوحِ . وَرَغْمَ أَنَّ جَمِيعَ الْقُرْسَانِ يَعْلَمُونَ بِخُرُوجِهِ ، فَقَدْ احْتَفِظَ بِهِ سِرًّا عَلَى الْآخَرِينَ ، قَدَّرَ الْمُسْتَطَاعَ . فَلَمَّا سَمِعُوا كَلِمَاتِ قَائِدِ الْقُرْسَانِ الْآخِرَةِ ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا كَبْتَ تَعْبِيرِهِمْ عَنِ الرِّضَا . وَلَا حَتَّى عِدَّةَ رُءُوسٍ مِنْ خَلْفِ السُّتَارِ . وَكَانَ السَّيِّدُ دِي تَرِفِي مُوشِكًا عَلَى أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ بِغِلْظَةٍ ، لِافْتِقَارِهِمْ إِلَى الْأَدَبِ وَالنِّظَامِ ، لَوْلَا أَنَّ آتُوسَ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .

صاحَ السَّيِّدُ دِي تَرِفِي : « طَيِّبٌ ! طَيِّبِي ! طَيِّبُ الْمَلِكِ ! أَمْهَرُ طَيِّبٍ يُمَكِّنُ الْحَصُولَ عَلَيْهِ !»

وَأَنْدَفَعَ عَدَدٌ مِنَ الْقُرْسَانِ إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ ، وَاحْتَشَدُوا حَوْلَ الرَّجُلِ الْجَرِيحِ . وَلَحَسَنَ الْحَظِّ ، كَانَ الطَّيِّبُ الْمَطْلُوبُ مَوْجُودًا فِي ذَلِكَ الْمَبْنَى ، فَشَقَّ طَرِيقَهُ وَسَطَ الْجَمْعِ ، وَطَلَبَ نَقْلَ الْفَارِسِ إِلَى حَجَرَةٍ أُخْرَى . فَفَتَحَ السَّيِّدُ دِي تَرِفِي بَابًا جَانِبِيًّا ، وَأَشَارَ إِلَى بُورْتُوسَ وَأَرَامِيسَ اللَّذَيْنِ حَمَلَا زَمِيلَهُمَا فِي الْحَالِ .

عَادَ بُورْتُوسَ وَأَرَامِيسَ مُبَاشَرَةً ، تَارِكِينَ الطَّيِّبَ وَالسَّيِّدَ دِي تَرِفِي ، وَحَدَّهُمَا مَعَ آتُوسَ .

بَعْدَ فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ ، عَادَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي نَفْسَهُ ، وَأَخْبَرَهُمْ جَمِيعًا
بِأَنَّ حَالَةَ الْفَارِسِ مُطْمَئِنَّةٌ وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَدْعُو إِلَى الْقَلْقِ ، وَأَنَّ
ضَعْفَهُ ، يَرْجِعُ بِسَاطَةِ ، إِلَى مَا فَقَدَهُ مِنْ دَمٍ .

أَشَارَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي ، بَعْدَ ذَلِكَ بِيَدِهِ ، فَعَادَرَ الْجَمِيعُ الْمَكْتَبَ ،
مَا عَدَا دَارْتَانِيَانَ الَّذِي لَمْ يَنْسَ أَنَّ لَدَيْهِ مُقَابَلَةً رَسْمِيَّةً ، وَهَكَذَا بَقِيَ
فِي مَكَانِهِ بِعَزِيمَةِ الرَّجُلِ الْغَسَقُونِيِّ .

الفصل السابع

دَارْتَانِيَانِ يَتَلَقَّى نَصِيحَةً طَيِّبَةً مِنَ السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي
لَكِنَّهُ لَا يُعِيرُهَا كَثِيرَ التَّفَاتِ

عِنْدَمَا خَرَجَ الْجَمِيعُ ، وَأَقْفَلَ الْبَابُ ، اسْتَدَارَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي ،
فَوَجَدَ نَفْسَهُ وَحِيدًا مَعَ دَارْتَانِيَانِ .

قَالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « عَفْوًا ! عَفْوًا ، فَقَدْ نَسَيْتُكَ تَمَامًا . مَاذَا
بُوسَعِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ لَيْسَ الْقَائِدُ بِأَقْلٍ مِنْ رَبِّ أُسْرَةٍ ، يَحْمِلُ مَسْئُولِيَّةَ
رُبَّمَا أَكْثَرَ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ أَيِّ أُسْرَةٍ عَادِيَّةٍ . »

ابْتَسَمَ دَارْتَانِيَانِ ، فَحَكَّمَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي ، مِنْ هَذِهِ الْابْتِسَامَةِ ،
عَلَى أَنَّ زَائِرَهُ لَيْسَ غَيًّا . وَعَلَى ذَلِكَ غَيْرَ مَجْرَى الْحَدِيثِ ، وَدَخَلَ
فِي الْمَوْضُوعِ مُبَاشَرَةً .

قَالَ : « إِنِّي أَحْتَرَمُ أَبَاكَ كَثِيرًا ، فَمَاذَا بُوسَعِي أَنْ أَفْعَلَ لِإِلَابِنِ ؟
أَرْجُوكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَرِيعًا ، فَوْقَتِي لَيْسَ مِلْكًَا لِي . »

قال دارتانيان : « أَتَيْتُ إِلَى هُنَا ، يَا سَيِّدِي ، كَيْ أَكُونَ فِي زُمْرَةِ
الْفُرْسَانِ . وَلَكِنْ بَعْدَ كُلِّ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الصَّبَاحِ ، فَإِنِّي أَرْتَجِفُ
خَشْيَةً أَلَا أَكُونَ جَدِيرًا بِهَا . »

قال السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي : « حَسَنٌ ، أَيُّهَا الشَّابُّ . إِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ
حُطْوَةٌ ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أَبْعَدَ مِنْ آمَالِكَ ، عَلَى عَكْسِ مَا يَبْدُو
لَكَ . وَبِالطَّبَعِ ، فَإِنَّ قَرَارَ جَلَالَتِهِ ضَرُورِيٌّ دَائِمًا . وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ
تَبْرَهْنَ أَوَّلًا عَلَى جِدَارَتِكَ فِي عِدَّةٍ مَعَارِكَ ، أَوْ بِالْخِدْمَةِ الْمَقْبُولَةِ لِمُدَّةٍ
سَنَتَيْنِ فِي كَتِيبَةٍ مَا ، أَقَلَّ دَرَجَةٍ مِنْ كَتِيبَتِنَا . »

وَاسْتَطَرَدَ قَائِلًا : « وَلَكِنْ ، إِكْرَامًا لِرَفِيقِي السَّابِقِ - أَبِيكَ ،
سَأَفْعَلُ لَكَ شَيْئًا ، فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَمْ تُحْضِرْ مَعَكَ نَقُودًا كَثِيرَةً . »

اسْتَجْمَعَ دَارْتَانِيَانُ نَفْسَهُ وَتَكَلَّمَ بِلَهْجَةِ الْفَخُورِ ، قَائِلًا فِي
وُضُوحٍ : « إِنَّنِي لَمْ آتِ لِأَطْلُبَ صَدَقَةً مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ . »

قال السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي : « هَذَا كُلُّهُ حَسَنٌ جِدًّا ، يَا عَزِيزِي
الشَّابُّ ! هَذَا كُلُّهُ حَسَنٌ . أَعْرِفْ شَيْمَةَ أَوْلَئِكَ الْغَسْقُونِيِّينَ ، فَأَنَا
نَفْسِي جِئْتُ إِلَى بَارِيسَ وَفِي كَيْسِ نَقُودِي أَرْبَعَةُ كِرَاوَنَاتٍ لَيْسَ
غَيْرُ . وَكُنْتُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُوَاجَهَةِ أَيِّ شَخْصٍ يَتَجَسَّرُ عَلَى أَنْ
يَقُولَ إِنَّنِي لَسْتُ فِي مَوْقِفٍ يُمَكِّنُنِي مِنْ شِرَاءِ مُتَحَفِ اللُّوْفِرِ ! »

وَأَضَافَ قَائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى مَا مَعَكَ مِنْ نَقُودٍ مَهْمًا
يَكُنِ الْمُبْلَغُ الَّذِي يَحْوِزُكَ ضَخْمًا . وَسَأَكْتُبُ خِطَابًا لِمُدِيرِ
الْأَكَادِمِيَّةِ الْمَلَكِيَّةِ ، وَسَيَقْبَلُكَ عَدَا دُونَ آيَةِ نَفَقَاتٍ أَوْ أَعْبَاءٍ . لَا
تَرْفُضْ هَذِهِ الْخِدْمَةَ الْبَسِيطَةَ ، فَأَحْيَانًا يَطْلُبُهَا رِجَالُ نُبَلَاءِ الْمَوْلِدِ ،
كَمَا يَطْلُبُهَا أَغْنَى الرِّجَالِ دُونَ اسْتَطَاعَتِهِمْ الْحُصُولَ عَلَيْهَا ! سَتَتَعَلَّمُ
رُكُوبَ الْخَيْلِ ، وَاسْتِخْدَامَ السَّيْفِ ، وَكَيْفَ تَسْلُكُ وَسَطِ الْمَجْتَمَعِ ،
وَسَتُخِذُ أَصْدِقَاءَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ وَتَرْغَبُ فِيهِمْ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ
لِزِيَارَتِي بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْفَيْئَةِ ، لِتُخْبِرَنِي كَيْفَ تَسِيرُ ، وَلِتُعَلِّمَنِي مَا إِذَا
كَانَ بَوَسْعِي أَنْ أَكُونَ ذَا فَائِدَةٍ لَكَ . »

قال دارتانيان : « يُؤَسِّفُنِي ، يَا سَيِّدِي ، أَنْ أَقُولَ كَمْ يُخْزِنُنِي
ضِيَاعُ خِطَابِ التَّوَصِيَةِ الَّذِي أُعْطَانِيهِ أَبِي لِأَقْدَمِهِ لَكَ . »

قال السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي : « يَدْهَشُنِي كَثِيرًا أَنَّكَ تَتَكَبَّدُ مِثْلَ هَذِهِ
الرَّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ بِدُونِ مِثْلِ ذَلِكَ الْخِطَابِ الضَّرُورِيِّ لَنَا - نَحْنُ
الْغَسْقُونِيُّونَ الْمَسَاكِينُ . »

« كَانَ مَعِي ، يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنَّهُ سُرِقَ مِنِّي . »

وَحَكَى دَارْتَانِيَانُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا حَدَّثَ لَهُ فِي مِيُونِغَ ، وَوَصَفَ
الرَّجُلَ الْمَجْهُولَ بِدِقَّةٍ وَصِدْقٍ أَمْتَعَا السَّيِّدَ دِي تَرِيْفِي .

قال السيد دي تريفي بعد تفكير عميق : « هذا كله غريب جدًا . أقلت إنك ذكرت اسمي ؟ »

« أجل ، يا سيدي ، يقينا افترفت ذلك الخطأ ، ولكن لم لا أفعل ذلك ؟ فاسم مثل اسمك حماية لي في طريقي . »

قال السيد دي تريفي : « أخبرني ، هل يوجنه ذلك الرجل أثر لجرح صغير ؟ »

« أجل . »

« وهل هو قبيح الطلعة ؟ »

« أجل . »

« وفارع الطول ؟ »

« نعم . »

« ذو بشرة باهتة ، وشعر بني اللون ؟ »

« نعم ، نعم ، هو ذاك . كيف عرفت ذلك الرجل ، يا سيدي ؟ »

« أقسم إن عثرت عليه مرة أخرى ، وسأعثر عليه ، أن ... »

قاطعه السيد دي تريفي بقوله : « هل كان ينتظر سيدة ؟ »

« أجل ، وأنصرف مباشرة بعد أن تحدث معها . »

« أتعرف موضوع حديثهما ؟ »

« أعطاه صندوقًا وأخبرها بأنه يحتوي على التعليمات ، وأنها يجب ألا تفتحه حتى تصل إلى إنجلترا . »

« هل كانت سيدة إنجليزية ؟ »

« كان يخاطبها بقوله ميلادي . »

ردّد السيد دي تريفي : « إنه هو ، لا بد أنه هو . ظننته في بلجيكا . »

صاح دارتانيان قائلاً : « أي سيدي ، إن كنت تعرف من هو ذلك الرجل فأخبرني ؛ إذ إن ما أريده ، قبل كل شيء ، هو أن أعاقبه . »

قال السيد دي تريفي : « احذر ، أيها الشاب ! وإن رأيته قادمًا على أحد جوانب الطريق ، فاذهب إلى الجانب الآخر . لا تلق نفسك على مثل هذه الصخرة الوعرة ! »

عقب دارتانيان بقوله : « لن توقفني فكرة قوته إن عثرت عليه . »

قال السيد دي تريفي بلهجة صارمة : « في هذا الوقت ، خذ

بِنَصِيحَتِي وَلَا تَبْحَثْ عَنْهُ . وَالْآنَ ، أَيُّهَا الشَّابُّ ، لَا أَسْتَطِيعُ فِي هَذِهِ
اللَّحْظَةِ أَنْ أَفْعَلَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَهُ لَكَ الْآنَ . سَيَكُونُ مَكْتَبِي مَفْتُوحًا
لَكَ . وَيُسْعِدُنِي أَنْ تَطْلُبَنِي فِي أَيِّ وَقْتٍ ، وَأَعْمَلُ عَلَى أَنْ تَنْتَهِيَ
جَمِيعَ الْفُرَصِ ، فَرُبَّمَا تَحْصُلُ عَلَى بُغْيَتِكَ .»

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « هَذَا يَعْنِي أَنَّكَ سَتَنْتَظِرُ حَتَّى أُبْرِهِنَ عَلَى
جِدَارَتِي .» ثُمَّ انْحَنَى لِكَيَّ يَنْصَرِفَ ، فَاسْتَوْقَفَهُ السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي
قَائِلًا : « أَنْتَظِرْ دَقِيقَةً . لَقَدْ وَعَدْتُكَ بِخِطَابِ لِمَدِيرِ الْأَكَادِمِيَّةِ
الْمَلَكِيَّةِ ، فَهَلْ سَتَقْبَلُهُ أَمْ سَتَتَعَالَى عَلَيْهِ ؟»

قَالَ : « لَا ، يَا سَيِّدِي ، وَأَعِدُّكَ بِالْأَنْتِظَرُ مِنْ مِثْلَمَا سُرِقَ
الْآخَرُ .»

ابْتَسَمَ السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي لِهَذَا التَّبَاهِي ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ النَّافِذَةِ حَيْثُ
كَانَا يَتَحَدَّثَانِ ، وَجَلَسَ إِلَى مَكْتَبِهِ لِيَكْتُبَ خِطَابَ التَّوْصِيَةِ ، عَلَى
حِينَ أَخَذَ دَارْتَانِيَانُ يَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ إِلَى الْفُرْسَانِ وَهُمْ يَذْهَبُونَ
وَيَجِئُونَ فِي الشَّارِعِ .

نَهَضَ السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي بَعْدَ أَنْ كَتَبَ الْخِطَابَ وَخَتَمَهُ ، وَتَقَدَّمَ
إِلَى الشَّابِّ لِيُعْطِيَهُ إِيَّاهُ ، وَلَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي مَدَّ دَارْتَانِيَانُ
فِيهَا يَدَهُ لِيَتَسَلَّمَ الْخِطَابَ ، فَوَجَّى السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي بِدَارْتَانِيَانِ يَقْفِزُ

لِحِجَابِهِ ، وَقَدْ اسْتَشَارَ غَضَبًا ، وَيَنْدَفِعُ خَارِجًا مِنَ الْغُرْفَةِ ، وَهُوَ يَصِيحُ
بِقَوْلِهِ : « لَنْ يَقْلِتَ مِنِّي فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ !»

سَأَلَهُ السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي : « مَنْ هُوَ ؟»

فَصَاحَ دَارْتَانِيَانُ : « إِنَّهُ سَارْقِي . يَا لَهُ مِنْ وَعْدٍ !»

أَتَتَّصَوَّرُ ، لَأَنْكَ سَمِعْتَ الْيَوْمَ السَّيِّدَ دِي تَرِيفِي يُكَلِّمُنَا بِخُشُونَةٍ ،
أَنْ يُعَامِلَنَا الْآخَرُونَ مِثْلَمَا يُعَامِلُنَا هُوَ ؟ لَا تَجِرْ نَفْسَكَ إِلَى الْغَلَطِ
فَلَسْتَ أَنْتَ السَّيِّدَ دِي تَرِيفِي !»

أَجَابَ دَارْتَانِيَان ، وَقَدْ عَرَفَ أَنَّهُ آثُوس ، الَّذِي ضَمَدَ الطَّيِّبُ
جِرَاحَهُ مِنْذُ لَحْظَةٍ : « بِشَرَفِي ... بِشَرَفِي ... لَمْ أَفْعَلْ هَذَا عَمْدًا .
وَلَكُونِي لَمْ أَفْعَلْهُ عَمْدًا ، قُلْتُ عَفْوًا . وَيَبْدُو لِي أَنَّ هَذَا كَافٍ
جِدًا . ارْفَعْ يَدَكَ عَنْ حِزَامِي ، وَدَعْنِي أَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ يُبَادِينِي
عَمَلِي .»

قَالَ آثُوس وَقَدْ تَرَكَ الْحِزَامَ : « أَنْتَ لَسْتَ مُؤَدِّبًا ، يَا سَيِّدِي ! وَمِنْ
السَّهْلِ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّكَ قَادِمٌ مِنَ الرَّيْفِ ، وَتَفْتَقِرُ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَدِينَةِ
الْحَمِيدَةِ .»

كَانَ دَارْتَانِيَان قَدْ هَبَطَ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا ، غَيْرَ أَنَّهُ تَوَقَّفَ
حِينَ سَمِعَ مُلَاحَظَةَ آثُوس ، وَقَالَ : « يَا لِرَحْمَةِ السَّمَاءِ ! مَهْمَا أَكُنْ
قَدْ أَتَيْتُ مِنْ بَعِيدٍ ، فَلَسْتَ أَنْتَ بِالَّذِي يُلَقِّنِي دَرْسًا فِي الْأَخْلَاقِ
الْحَمِيدَةِ ! وَلِذَا فَإِنِّي أَحَدُّكَ !»

قَالَ آثُوس : « رُبَّمَا !»

قَالَ دَارْتَانِيَان : « آهٍ لَوْ لَمْ أَكُنْ مُتَعَجِّلًا ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ أَتَعَقَّبُ

الفصل الثامن

كَتِفُ آثُوس وَحِمَالَةُ پُورْثُوس

انْدَفَعَ دَارْتَانِيَان فِي حَالَةٍ هِيَاجٍ شَدِيدَةٍ نَحْوَ السُّلَمِ ، مُحَاوِلًا أَنْ
يَهْبِطَ أَرْبَعَ دَرَجَاتٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ . وَلِسَوْءِ حَظِّهِ اصْطَدَمَ - فِي
عَجَلَتِهِ - بِأَحَدِ الْفُرْسَانِ وَهُوَ يُغَادِرُ إِحْدَى حُجَرَاتِ السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي
الْخَاصَّةِ ، وَصَدَمَهُ صَدْمَةٌ عَنيفَةٌ فِي كَتِفِهِ ، جَعَلَتْهُ يُطْلِقُ صَرْخَةً
عَالِيَةً .

قَالَ دَارْتَانِيَان مُعْتَذِرًا ، وَهُوَ يُحَاوِلُ الْاسْتِمْرَارَ فِي طَرِيقِهِ : « عَفْوًا !
عَفْوًا ! وَلَكِنِّي مُتَعَجِّلٌ .»

وَمَا كَادَ يَهْبِطُ أُولَى دَرَجَاتِ السُّلَمِ ، حَتَّى أَمْسَكَتْ بِحِزَامِهِ يَدَ
حَدِيدِيَّةٍ وَأَوْقَفَتْهُ .

قَالَ الْفَارِسُ وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ غَيْظًا : « إِذَا ، فَأَنْتَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ
أَمْرِكَ ! أَتَقُولُ عَفْوًا ، وَتَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا يَكْفِي ؟ لَا ، أَيُّهَا الشَّابُّ !

شخصاً .

« أيها المتعجل ، يُمكنك أن تجدني دون أن تجري ورائي !
أفهمت ؟ »

« وآين ؟ »

« خلف قصر لو كسمبورغ . »

« في أي وقت ؟ »

« ظهراً . »

« هذا يكفي ، سأكون هناك . »

« حاول ألا تجعلني أنتظر ، لأنه في الساعة الثانية عشرة والرّبع ،
سأقطع أذنك وأنت تجري ! »

صاح دارتانيان بقوله : « سأكون هناك . » واندفع إلى أسفل
السلم ، آملاً في أن يجد الرجل المجهول ، الذي لا تستطيع خطواته
البطيئة أن تبعد به .

ومن سوء حظ الشاب المتعجل أنه تصادف أن كان پورثوس
يتحدث إلى جندي الحراسة الواقف عند مدخل الشارع . وكانت
بينهما مسافة تسمح بمرور شخص ، وبطبيعة الحال ، لم يتردد

دارتانيان في أن يمرّ مندفعاً بينهما . ولما هم بأن يفعل ، أطارَتْ
قوة اندفاعه معطف پورثوس الطويل المصنوع من القطيفة . وبدلاً من
أن يكون دارتانيان حراً طليقاً في الشارع ، وجد نفسه مُشبكاً في
أطواء المعطف الطويلة . وكان پورثوس ممسكاً في يده أحد أطراف
معطفه . ولأسباب لا يعرفها سوى پورثوس نفسه ، لم يقلت طرف
المعطف ، وإنما ظل ممسكاً به بشدة ، وجذبه نحوه جذبة قوية ،
فكانت نتيجة هذه الجذبة المفاجئة ، أن أدارت دارتانيان وطوته أكثر
داخل المعطف .

وظفّق پورثوس يسه غاضباً ، ورغم ذلك ، فما برح يقبض بقوة
على المعطف ، على حين يحاول الشاب الغسقوني الغاضب
مثله ، والمشبك في الأطواء ، تخلص نفسه .

تذكر دارتانيان جمالة السيّف الجميلة ، وكان يتوقّ بنوع
خاص إلى عدم إتلاف بريق الذهب المتألق ، إلا أن مفاجأة كانت
في انتظاره ؛ فعندما فتح عينيه وجد نفسه ينظر إلى نقطة بين كتفي
پورثوس الضخمتين ، أي إلى الجمالة ، على مسافة ستيمترات من
أنفه ؛ فوجد عجباً .

يا للهول ! إن الجمالة التي تتألق بالذهب من الأمام ، لم تكن
سوى جلد بسيط من الخلف . لم يستطع پورثوس ذو المجد

الرَّائِفِ ، أَنْ يَشْتَرِيَ حِمَالَةَ سَيْفٍ مُطْرَزَةٍ كُلُّهَا بِالذَّهَبِ ، فَحَصَلَ
عَلَى حِمَالَةٍ مُطْرَزٍ نَصَفُهَا مِنَ الْأَمَامِ لِيُظْهِرَهُ لِلْعَالَمِ الْمُعْجَبِ .
وَهَكَذَا انْكَشَفَتْ حَقِيقَةُ الْاِعْتِدَارِ بِالْبَرْدِ ، مَعَ الْحَاجَةِ الْمَرْغُومَةِ إِلَى
الْمُعْطَفِ .

وَإِذْ كَانَ بُوْرْثُوسُ فِي حَالَةٍ غَضَبٍ عَارِمٍ ، قَامَ بِحَرَكَةٍ لِيَنْدَفِعَ
خَلْفَ دَارْتَانِيَانِ ، الَّذِي كَانَ يَعْدُو بِسُرْعَةٍ .

صَاحَ الْأَخِيرُ ، قَائِلًا : « حَالًا ، حَالًا عِنْدَمَا لَا تَكُونُ مُرْتَدِيًا
مِعْطَفَكَ ! »

« إِذَا ، فَمَوْعِدُنَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ خَلْفَ قَصْرِ لوكْسْمِبُورْغِ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانُ وَهُوَ يَدُورُ عِنْدَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ : « حَسَنٌ جِدًّا ، فِي
السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ . »

رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَكَّنْ دَارْتَانِيَانُ مِنْ رُؤْيَةِ الرَّجُلِ الْمَجْهُولِ ، فِي آيَةِ
جِهَةٍ . وَسَأَلَ دَارْتَانِيَانُ كُلَّ مَارٍ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى .

الفصل التاسع

مِنْ دِيلُ أَرَامِيسُ

فَكَرَّ دَارْتَانِيَانُ مَلِيًّا فِي أَحْدَاثِ الصَّبَاحِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ سَاعَاتُ
عَصِيَّةٍ ، وَرُبَّمَا يَكُونُ قَدْ لَحِقَهُ الْخِزْيُ مِنْ جَرَاءِ سُلُوكِهِ عِنْدَ السَّيِّدِ
دِي تْرِيفِي ، الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَظَرَتْهُ إِلَيْهِ قَدْ تَغَيَّرَتْ .

وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ ، زَجَّ بِنَفْسِهِ فِي مُبَارَزَتَيْنِ مَعَ رَجُلَيْنِ ، كُلُّ
مِنْهُمَا قَادِرٌ عَلَى قَتْلِ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ مِثْلِهِ . لَقَدْ ارْتَبَطَ بِمُقَاتَلَةِ اثْنَيْنِ مِنْ
أَقْوَى الْفُرْسَانِ - اثْنَيْنِ لَهُمَا مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ عِنْدَهُ ، حَتَّى إِنَّهُ
لَيَقْدِرُهُمَا فَوْقَ كُلِّ مَنْ عَدَاهُمَا مِنَ النَّاسِ . كَانَتْ نَظَرَتُهُ غَيْرَ
سَعِيدَةٍ ، إِذْ كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ آتُوسَ سَيَقْتُلُهُ ، وَمَنْ ثُمَّ فَهُوَ لَمْ
يَعُدْ يَشْغُلُ نَفْسَهُ كَثِيرًا بِبُوْرْثُوسِ . وَرَغْمَ هَذَا ، فَلَا أَمَلٌ هُوَ آخِرُ شَيْءٍ
يَخْبُو فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ ؛ لِذَا لَمْ يَفْقِدْ دَارْتَانِيَانُ بَعْضَ الْأَمَلِ ، فِي أَنَّهُ
سَيَعِيشُ بَعْدَ هَاتَيْنِ الْمُبَارَزَتَيْنِ ، وَلَوْ بِجِرَاحٍ بِالْغَةِ . قَالَ لِنَفْسِهِ : « يَا

صَدِيقِي دَارْتَانِيَان ، إِنَّ أَقْلَتَ ، فَإِنِّي أَنْصَحُكَ بِأَنْ يَكُونَ الْأَدَبُ
الْكَامِلُ مَسْلَكَكَ مُسْتَقْبَلًا ، فَلَنْ يَصِمَ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالْأَدَبِ الْمَرْءَ ،
بِالضَّرُورَةِ ، بِالْجَبْنِ !»

سَارَ وَثِيدًا ، وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، يُفَكِّرُ جَدِيدًا فِي حَالِهِ ، فَرَأَى
أَرَامِيسَ يَتَحَدَّثُ فِي مَرَجٍ مَعَ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ مِنْ حَرَسِ الْمَلِكِ . وَكَذَلِكَ
لَا حَظَّهُ أَرَامِيسَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أَنَّ هَذَا الشَّابَّ ، قَدْ سَمِعَ السَّيِّدَ
دِي تَرِيفِي يَزَجِرُهُ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ .

إِمْتِلَاءُ دَارْتَانِيَانِ عَزِيمَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ احْتِرَامًا لِلنَّاسِ ،
وَتَادِبًا مَعَهُمْ ؛ فَتَقَدَّمَ نَحْوَ أَوْلَيْكَ الرِّجَالِ بِانْحِيَاءٍ شَدِيدَةٍ ، وَابْتِسَامَةٍ
وُدِّيَّةٍ عَرِيضَةٍ ، فَأَحْنَى أَرَامِيسَ رَأْسَهُ قَلِيلًا ، رَدًّا عَلَى انْحِيَاءَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يُبَادِلْهُ الْابْتِسَامَ .

تَوَقَّفَ الْأَرْبَعَةُ عَنِ الْكَلَامِ فَوْرًا ، فَأَدْرَكَ دَارْتَانِيَانُ أَنَّهُمْ رَاغِبُونَ
عَنَّهُ . وَإِذْ لَمْ يَكُنْ مَاهِرًا فِي آدَبِ السُّلُوكِ ، قَرَّرَ فِي ذَهْنِهِ أَنْ
يَتَّخِذَ أَقْلَ وَسَائِلَ الْاسْتِئْذَانِ إِخْرَاجًا . وَلَا حَظَّ أَنَّ أَرَامِيسَ ، قَدْ أَوْقَعَ ،
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، مِنْدِيلًا ، وَدَاسَ عَلَيْهِ بِقَدَمِهِ ، دُونَ أَنْ يَتَنَبَّهَ
لِذَلِكَ ؛ فَرَأَى أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ سَنَحَتْ لِإِبْدَاءِ الْاعْتِدَارِ عَنْ تَطْفُلِهِ أَثْنَاءَ
حَدِيثِهِمْ ؛ فَأَحْنَى وَسَحَبَ الْمِنْدِيلَ مِنْ تَحْتِ قَدَمِ ذَلِكَ الْفَارِسِ ،
رَعْمَ جُهْدِ هَذَا الْأَخِيرِ لِلْإِحْتِفَاطِ بِهِ تَحْتِ قَدَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَقْدُمُهُ



إِلَيْهِ : « أَعْتَقِدُ ، يَا سَيِّدِي ، أَنَّ هَذَا مِندِيلٌ لَا تَوَدُّ أَنْ تَفْقِدَهُ . »

كَانَ الْمِندِيلُ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، مُطَرَّزًا بِطَرِيقَةٍ تَدْعُو إِلَى الْإِعْجَابِ ، وَعَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهِ الْأَحْرَفُ الْأُولَى لِاسْمِ مَا ؛ فَشَرِقَ وَجْهَ أَرَامِيسَ بِشِدَّةٍ ، وَخَطَفَ الْمِندِيلَ مِنَ الْغَسَقُونِيِّ الصَّغِيرِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ مِنْهُ .

صَاحَ أَحَدُ الْحَرَسِ قَائِلًا : « أَلَا تَزَالُ مُصِرًّا عَلَى قَوْلِكَ بِأَنَّكَ لَسْتَ صَدِيقًا حَمِيمًا لِلسَّيِّدَةِ دِي بَوَا - تَرَاسِي ، وَقَدْ أَعَارَتْكَ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الْخَيْرَةَ أَحَدَ مَنَادِيلِهَا ؟ »

نَظَرَ أَرَامِيسُ شَرًّا إِلَى دَارْتَانِيَانِ ، وَلَكِنَّهُ سَرَّعَانَ مَا تَمَالَكَ نَفْسُهُ ، وَقَالَ بِطَرِيقَتِهِ الْمَأْلُوفَةِ الْهَادِئَةِ : « أَنْتُمْ مُخْطِئُونَ ، يَا سَادَةُ . لَيْسَ هَذَا مِندِيلِي ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَوَّرَ لِمَاذَا فَكَّرَ هَذَا الشَّابُّ فِي أَنْ يُقَدِّمَهُ لِي ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يُقَدِّمَهُ لِوَاحِدٍ مِنْكُمْ ؟ وَلَكِنِّي أَتَيْتُ لَكُمْ صِدْقَ كَلَامِي ، فَهَا هُوَ مِندِيلِي فِي جَيْبِي . »

وَبَيْنَمَا كَانَ يَقُولُ هَذَا ، أَخْرَجَ مِندِيلَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ النَّسِيجِ الرَّفِيقِ الْفَخْمِ ، وَلَكِنَّهُ بِدُونِ تَطْرِيزٍ وَلَا أَحْرَفٍ أُولَى .

لَمْ يَتَسَرَّعْ دَارْتَانِيَانِ ، فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ؛ فَقَالَ : « الْحَقِيقَةُ أَنَّي لَمْ أَبْصِرَ الْمِندِيلَ يَقَعُ فِعْلًا مِنْ جَيْبِ السَّيِّدِ أَرَامِيسَ ، بَلْ كَانَتْ قَدَمُهُ

فَوْقَ الْمِندِيلِ ، فَظَنَنْتُهُ مِندِيلَهُ . »

قَالَ أَرَامِيسُ بِرُودٍ : « وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّكَ مُخْطِئٌ . » وَاسْتَدَارَ نَحْوَ أَحَدِ الْحَرَّاسِ ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ صَدِيقُ السَّيِّدَةِ دِي بَوَا - تَرَاسِي ، وَاسْتَطَرَّدَ يَقُولُ : « وَفَضْلًا عَنْ هَذَا ، يَا مَوْتَارَانِ ، وَحَيْثُ إِنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا صَدِيقُ حَمِيمٍ لِلسَّيِّدَةِ دِي بَوَا - تَرَاسِي ، فَقَدْ يَكُونُ الْمِندِيلُ قَدْ وَقَعَ مِنْ جَيْبِكَ أَنْتَ أَيْضًا . »

صَاحَ الْفَارِسُ قَائِلًا : « كَلَّا ، بِشَرَفِي ! »

« أَنْتَ تُقْسِمُ بِشَرَفِكَ ، وَأَنَا أَقْسِمُ بِشَرَفِي ، إِذَا ، فَمِنَ الْجَلِيِّ أَنْ أَحْدَنَا كَاذِبٌ . وَالْآنَ ، يَا مَوْتَارَانِ ، دَعْنَا نَصْنَعُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نِصْفَهُ . »

« نِصْفَ الْمِندِيلِ ؟ »

« نَعَمْ . »

صَاحَ الْحَارِسُ الْآخَرُ ، بِقَوْلِهِ : « هَذَا عَدْلٌ ، إِنَّهُ حُكْمُ سُلَيْمَانَ ! يَقِينًا ، أَنْتَ وَاسِعُ الْحِكْمَةِ ، يَا أَرَامِيسَ . »

انْفَجَرَ الرَّجَالُ ضَاكِكِينَ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ بِهِذَا قَدْ انْتَهَتْ مُشْكِلَةُ الْمِندِيلِ .

بَعْدَ لَحْظَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ ، تَصَافَحَ الْأَرْبَعَةُ ، وَتَفَرَّقُوا . ذَهَبَ الثَّلَاثَةُ فِي طَرِيقٍ ، وَأَرَامِيسُ فِي طَرِيقٍ آخَرَ .

وَقَفَ دَارْتَانِيَانُ جَانِبًا أَثْنَاءَ الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنَ الْحَدِيثِ ، فَلَمَّا رَأَى أَرَامِيسُ يَنْصَرِفُ دُونَ أَيِّ اهْتِمَامٍ بِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلًا : « مَعْدِرَةٌ ، يَا سَيِّدِي ، أَمَلٌ ... »

قَاطَعَهُ أَرَامِيسُ بِحِدَّةٍ : « اسْمَحْ لِي ، يَا سَيِّدِي ، بِأَنْ أَقُولَ لَكَ إِنَّكَ لَمْ تَسْلُكْ مَسْلُكَ رَجُلٍ حَسَنِ التَّرْبِيَةِ ! »

صَاحَ دَارْتَانِيَانُ : « مَاذَا ، يَا سَيِّدُ ؟ أَتَظُنُّ ... ؟ »

« أَظُنُّكَ لَسْتَ غَيِّيًا ، فَرَعَمَ كَوْنُكَ قَادِمًا مِنْ عَسَقُونِيَا ، فَأَنْتَ تَعْرِفُ جَيِّدًا ، أَنَّ النَّاسَ لَا يَدُوسُونَ عَلَى الْمَنَادِيلِ ، لِغَيْرِ مَا سَبَبَ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ ، الَّذِي سَيَّطَرَتْ طَبِيعَتُهُ الْحَادَّةُ الْمَحَبَّةُ لِلْعِرَاكِ عَلَى مَشَاعِرِهِ : « لَسْتُ عَادِلًا ، يَا سَيِّدِي . أَنَا حَقِيقَةٌ مِنْ عَسَقُونِيَا ، وَحَيْثُ إِنَّكَ تَعْرِفُهَا ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَدْعُو لَأَنْ أَذْكُرَكَ بِأَنَّ الْعَسَقُونِيِّينَ لَيْسُوا جِدًّا صَبُورِينَ ؛ فَإِنْ طَلَبُوا الْمَعْدِرَةَ عَنْ ذَنْبِ اقْتِرَفُوهُ ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ فَعَلُوا أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ فَعْلُهُ . »

قَالَ أَرَامِيسُ : « أَنَا لَا أَسْعَى إِلَى الْعِرَاكِ ، يَا سَيِّدِي ، وَلَسْتُ مُجِبًّا لِلضُّوْضَاءِ . أَنَا فَارِسٌ فَحَسْبُ ، وَلَا أَقَاتِلُ إِلَّا إِذَا اضْطُرَرْتُ

إِلَى الْقِتَالِ . وَالْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ خَطِيرٌ ؛ إِذْ يَتَعَرَّضُ فِيهَا شَرَفُ سَيِّدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ الرَّاقِيَةِ ، لِلْخَطَرِ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانُ : « أَتَقْصِدُ بِوَاسِطَتِنَا ؟ »

« لِمَاذَا أَعَدَّتِ الْمُنْدِيلَ إِلَيَّ بِغَبَاءٍ ؟ »

« لِمَاذَا أَوْفَعْتَهُ أَنْتَ بِغَبَاءٍ ؟ »

« يَبْدُو أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَلْقَنَكَ دَرَسًا . »

« وَأَنَا سَأَعِيدُكَ إِلَى دِرَاسَاتِكَ . امْتَشِقُ سَيِّفَكَ فِي الْحَالِ . »

« لَيْسَ هَكَذَا ، لَيْسَ هُنَا عَلَى الْأَقْلِ . أَوَدُّ أَنْ أَقْتَلَكَ فِي زَاوِيَةٍ مَا ، هَادِئَةٍ . سَيَسِّرُنِي وَجُودُكَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ بِمَكْتَبِ السَّيِّدِ دِي تَرِفِي . »

انْحَنَى الشَّابَّانِ وَافْتَرَقَا ؛ فَلَمَّا رَأَى دَارْتَانِيَانُ أَنَّ السَّاعَةَ تَقْتَرِبُ مِنَ الثَّانِيَةِ عَشْرَةٍ ، أَسْرَعَ إِلَى خَلْفِ قَصْرِ لوكْسْمِبورغ .

فَكَّرَ دَارْتَانِيَانُ فِي نَفْسِهِ ، قَائِلًا : « يَقِينًا ، لَا يُمَكِّنُ التَّرَاجُعُ الْآنَ . وَلَكِنِّي إِذَا قُتِلْتُ ، فَعَلَى الْأَقْلِ يَكُونُ الَّذِي قَتَلَنِي فَارِسًا . »

وَلَمَّا أَبْصَرَ دَارْتَانِيَانِ ، نَهَضَ وَسَارَ فِي أَدْبٍ بِضَعِ خُطَوَاتِ لِقَابِلَهُ ،
فَخَلَعَ دَارْتَانِيَانِ قُبْعَتَهُ وَأَنَحَنِي لَهُ .

قَالَ آثُوسُ : « لَقَدْ ارْتَبَطْتُ ، يَا سَيِّدِي ، مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْدِقَائِي
لِيَكُونَا فِي صَحْبَتِي ، وَلَكِنَّهُمَا ، عَلَى نَقِيضِ عَادَتِهِمَا ، وَلَدَهَشْتَنِي
الْعَظْمَى ، لَمْ يَحْضُرَا بَعْدُ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « أَمَّا مِنْ نَاحِيَّتِي ، فَلَيْسَ فِي صَحْبَتِي أَحَدٌ ؛ إِذْ لَا
أَعْرِفُ أَحَدًا فِي بَارِيسَ ، حَتَّى الْآنَ ، مَا خَلَا السَّيِّدُ دِي تَرِيْفِي ،
الَّذِي أَوْصَاهُ بِي أَبِي . »

قَالَ آثُوسُ : « أَرْجُو - بَعْدَ إِذْنِكَ - أَنْ نَنْتَظِرَ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ ،
فَلَدَيْنَا مُتَسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ ، وَسَيَكُونُ الْأَمْرُ أَنْفَذَ . هَا هُوَ أَحَدُهُمَا ،
عَلَى مَا أَعْتَقِدُ . »

الواقع أَنَّ جِسْمَ پُورْتُوسِ الْعِمْلَاقِ ظَهَرَ مِنْ بَعِيدٍ .

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ قَائِلًا : « مَاذَا ؟ هَلْ صَدِيقُكَ الْأَوَّلُ هُوَ السَّيِّدُ
پُورْتُوسُ ؟ »

« أَجَلْ . هَلْ يُقْلِقُكَ هَذَا ؟ »

« لَا ، إِطْلَاقًا . »

الفصل العاشر

السَّاعَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ خَلْفَ قَصْرِ لوكْسُمبورغ

ذَهَبَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى حَيْثُ مَوْعِدُهُ مَعَ آثُوسِ ، لَا يُرَافِقُهُ أَيُّ
صَدِيقٍ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَحَدًا فِي بَارِيسَ .

لَمْ يَكُنْ هَذَا الْعَسَقُونِيُّ الصَّغِيرُ ، كَمَا سَنَعْرِفُ الْآنَ ، رَجُلًا
عَادِيًا ؛ فَعَلَى حِينٍ كَانَ يُؤَكِّدُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ مَقْتُولٌ لَا مُحَالَةَ ، لَمْ يُفَكِّرْ
قَطُّ فِي أَنْ يَمُوتَ هَادِيًا مِثْلَمَا يَفْعَلُ أَيُّ شَخْصٍ أَقْلَ جَرَأَةٍ . وَهُنَا
تَذَكَّرَ نَصِيحَةَ وَالِدِهِ الَّتِي تَقُولُ : « لَا تَتَقَبَّلِ النُّقْدَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ دُونَ
الْمَلِكِ وَالْكَارْدِينَالِ . » فَهَرُولَ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسِيرَ ، نَحْوَ قَصْرِ
لوكْسُمبورغ .

حِينَ وَصَلَ عَلَى مَرَأَى مِنْ مَكَانِ الْإِقَاءِ ، كَانَتِ السَّاعَةُ تُشِيرُ
إِلَى الثَّانِيَّةِ عَشْرَةَ ، وَكَانَ آثُوسُ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ مِنْذُ خَمْسِ دَقَائِقَ ،
جَالِسًا فَوْقَ جَذَعِ شَجَرَةٍ مُتَدَاعِيَةٍ ؛ إِذْ كَانَ لَا يَزَالُ مُتَأَثِّرًا بِجَرْحِهِ .

« وَهَا هُوَ ذَا الْآخِرَ . » وَاسْتَدَارَ دَارْتَانِيَانِ نَحْوَ الْجِهَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا
آثُوسُ ، فَأَبْصَرَ أَرَامِيسَ .

صَاحَ فِي دَهْشَةٍ أَكْبَرَ : « مَاذَا ؟ وَهَلْ صَدِيقُكَ الثَّانِي هُوَ
السَّيِّدُ أَرَامِيسُ ؟ »

« بِالتَّأَكِيدِ ! فَإِنَّا لَا نُرَى أَبَدًا ، وَاحِدًا بَعِيرَ الْآخَرِينَ . أَلَا تَعْلَمُ
أَنَّا مَعْرُوفُونَ بَيْنَ الْفُرْسَانِ بِاسْمِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يَنْفَصِلُونَ ، وَلَدَى
الْحَرَسِ وَفِي الْبَلَاطِ ، وَفِي الْمَدِينَةِ ؟ »

أَجَابَ دَارْتَانِيَانِ بِقَوْلِهِ : « بِشَرَفِي هَذَا اسْمٌ طَيِّبٌ ! »

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ ، كَانَ پُورْثُوسُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمَا ، فَلَوَّحَ لَهُ آثُوسُ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ اسْتَدَارَ نَحْوَ دَارْتَانِيَانِ وَهُوَ دَهْشٌ تَمَامًا ؛ لَقَدْ غَيَّرَ پُورْثُوسُ
حِمَالَةَ سَيْفِهِ الْفَخْمَةَ ، وَتَرَكَ مِعْطَفَهُ الْجَمِيلَ فِي الْبَيْتِ .

قَالَ پُورْثُوسُ : « رَبَّاهُ ! مَا مَعْنَى هَذَا ؟ »

قَالَ آثُوسُ : « هَذَا هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي سَأْتَقَاتِلُ مَعَهُ . »

قَالَ پُورْثُوسُ : « وَأَنَا أَيْضًا ، سَأْتَقَاتِلُ مَعَهُ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « وَلَكِنْ لَيْسَ قَبْلَ السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ . »

قَالَ أَرَامِيسُ ، الَّذِي كَانَ قَدْ وَصَلَ لِتَوِّهِ إِلَى الْجَمَاعَةِ : « وَأَنَا

أَيْضًا ، سَأَقَاتِلُ هَذَا الرَّجُلَ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ ، بِنَفْسِ الْهَدْوِ : « وَلَكِنْ لَيْسَ قَبْلَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ . »

قَالَ أَرَامِيسُ : « عَلَى أَيِّ شَيْءٍ سَتَقَاتِلَانِ ، يَا آثُوسُ ؟ »

« بِشَرَفِي ، لَا أَعْرِفُ تَمَامًا ! رُبَّمَا أَلْمَنِي فِي كِتْفِي . وَأَنْتَ ،
يَا پُورْثُوسُ ؟ »

قَالَ ، وَقَدْ شَرِقَ وَجْهُهُ : « سَأَقَاتِلُ لِأَنِّي لَا بُدَّ أَنْ أَقَاتِلَ ! »

لَا حَظَّ آثُوسُ ، الَّذِي لَا تَشْرُدُ عَنْهُ شَارِدَةٌ ، ابْتِسَامَةً بَسِيطَةً
عَلَى وَجْهِ الْعَسْقُونِيِّ الشَّابِّ الَّذِي أَجَابَ بَدَلًا مِنْهُ بِقَوْلِهِ : « حَدَّثْتُ
بَيْنَنَا مُشَادَّةً عَنِ الزَّيِّ . »

« وَأَنْتَ ، يَا أَرَامِيسُ ؟ »

أَجَابَ أَرَامِيسُ ، وَهُوَ يَغْمِزُ بَعَيْنَهُ لِدَارْتَانِيَانِ كَيْ يَحْتَفِظَ بِسَبَبِ
مُبَارَزَتِهِمَا سِرًّا : « اخْتَلَفْنَا فِي مَوْضُوعٍ دِينِي . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « بِمَا أَنْكُمْ جَمِيعًا هُنَا ، يَا سَادَّةُ ، فَاسْمَحُوا لِي
بِأَنْ أَقْدِمَ لَكُمْ خَالِصَ اعْتِذَارَاتِي ! » عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةِ « اعْتِذَارَاتِي »
قَطَّبَ آثُوسُ جَبِينَهُ ، وَظَهَرَتْ ابْتِسَامَةُ اِزْدِرَاءٍ عَلَى وَجْهِ پُورْثُوسِ ،
وَأَبْدَى أَرَامِيسُ عَدَمَ رِضَاهُ صَرَاحَةً .

قال دارتانيان وهو يرفع رأسه في خيلاء : « إني لا تفهموني !
فإني أطلب الاعتذار في حالة عدم إمكاني مقاتلتكم ، أنتم الثلاثة
معاً . »

الفصل الحادي عشر دارتانيان يتخذ قراراً سريعاً

وإذ قال دارتانيان ذلك بأشجع لهجة ممكنة ، استل سيفه .

قال آئوس وهو يستل سيفه : « الجو حار اليوم ، ورغم ذلك ،
لا أستطيع أن أخلع صداري . لقد شعرت الآن بجرحي ينزف مرة
ثانية ، ولا أريد مضايقة هذا الرجل بمنظر الدم الذي لم يكن هو
السبب فيه . »

قال دارتانيان : « إذا ، فسأقاتل ، أنا أيضاً وأنا مرتد صداري . »

صاح بورثوس قائلاً : « هيا ، هيا ، كفى شكاوى ، وتذكراً -
من فضلكما - أننا ننتظر دورنا . »

قاطعهُ أراميس بقوله : « تكلم عن نفسك . اعتقد أن ما قاله
جد صحيح ، ويليق بسيدين . »

ما كاد السيفان يلتقيان معاً ، حتى ظهرت جماعة من حرس
الكاردينال تحت إمرة السيد دي جوساك ، عند ناصية القصر .

صاح أراميس وبورثوس ، في اللحظة نفسها قائلين : « حرس
الكاردينال ! أعمدا سيفيكما . »

فات أوان أن يغمد كل من آئوس ودارتانيان سيفيهما ، فقد
شوهدا ، وبدا واضحاً ما كانا ينتويان .

صاح جوساك وهو يتقدم مع رجاله بقوله : « مرحى ! أراكما
تبارزان . يبدو أنكما نسيتما القانون . »

قال آئوس ، وهو في سورة غضبه ، ليكون جوساك أحد الحراس
الذين قاموا بالهجوم الغادر على الفرسان في اليوم السابق : « لست
متمسكاً تماماً بالقانون ، فلو رأيتك تقاتل ، فكن أبذل أي جهد في
أن تدخل . أتركنا وشأننا ، وأنت وشأنك ! »

قال جوساك ، وهو مملوء ثقة بالنفس : « لن أسمح بكسر
القانون ، يا سادة ، حتى ولو كان الذين يكسرونهم هم الفرسان .
أعمدا سيفيكما ، وأتبعاني . »

لَمْ يَتَحَرَّكِ الْفُرْسَانُ .

وَتَمَّتْ آثُوسُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُمْ خَمْسَةٌ ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ فَقَطْ ، وَسَيَتَغْلِبُونَ عَلَيْنَا مَرَّةً ثَانِيَةً . أَمَا عَنْ نَفْسِي ، وَإِنْ حَدَثَ هَذَا ، فَلَنْ أَجْرُو عَلَى الظُّهُورِ مَرَّةً أُخْرَى ، أَمَامَ قَائِدِنَا . »

اقْتَرَبَ آثُوسُ وَبُورْثُوسُ وَآرَامِيسُ ، كُلٌّ مِنْ الْآخِرِ ، وَجَعَلَ جُوسَاكَ رِجَالَهُ مُصْطَفِينَ فِي وَضْعِ اسْتِعْدَادٍ ، لِلْهَجُومِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ .

قَرَّرَ دَارْتَانِيَانُ قَرَارَهُ عَلَى الْفُورِ . كَانَ هَذَا أَحَدَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَقَرَّرُ حَيَاةَ الْمَرْءِ . كَانَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ اخْتِيَارًا بَيْنَ الْمَلِكِ وَالْكَارْدِينَالِ ، فَاسْتَدَارَ نَحْوَ آثُوسَ وَصَدِيقِيهِ وَقَالَ : « أَرْجُوكُمْ ، أَيُّهَا السَّادَةُ ، أَنْ تَسْمَحُوا لِي بِأَنْ أَضِيفُ شَيْئًا إِلَى كَلَامِكُمْ . لَقَدْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ ثَلَاثَةٌ ، وَلَكِنْ يَدُو لِي أَنَّنَا أَرْبَعَةٌ . »

قَالَ بُورْثُوسُ : « وَلَكِنَّكَ لَسْتَ وَاحِدًا مِنَّا . »

رَدَّ دَارْتَانِيَانُ ، وَهُوَ يَنْحَنِي بِشِدَّةٍ : « أَنَا ، فِي قَرَارَةِ نَفْسِي ، فَارِسٌ . قَدْ لَا أَحْصِلُ عَلَى حِلَّةِ الْفَارِسِ الرَّسْمِيَّةِ ، وَلَكِنْ لِي رُوحُ الْفَارِسِ . »

صَاحَ جُوسَاكَ ، وَقَدْ خَمِنَ قَصْدَ دَارْتَانِيَانِ مِنْ إِيمَاءَاتِهِ ، وَالْمَلَامَحِ الْمَعْبَرَةِ الْبَادِيَةِ فِي وَجْهِهِ ، قَائِلًا : « انْسَحِبْ ، أَيُّهَا الشَّابُّ . انْسَحِبْ

فِي الْحَالِ . إِنَّنَا نَسْمَحُ لَكَ بِالْانْسِحَابِ . أَنْجُ بِحَيَاتِكَ ، وَانْصَرِفْ سَرِيعًا . »

غَيْرَ أَنْ دَارْتَانِيَانُ لَمْ يَتَحَرَّكْ .

وَاسْتَطَرَدَّ آثُوسُ قَائِلًا : « يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ ثَلَاثَةً فَقَطْ أَحَدُهُمْ جَرِيحٌ ، مَعَ إِضَافَةِ غُلَامٍ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، فَسَيُقَالُ إِنَّنَا كُنَّا أَرْبَعَةً رِجَالٍ . »

أَدْرَكَ دَارْتَانِيَانُ شُكُوكَهُمْ فِيهِ ، فَقَالَ : « جَرِّبُونِي ، يَا سَادَةُ ، وَسَأَبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّنِي لَنْ أَبْرَحَ هَذَا الْمَكَانَ مَهْزُومًا . »

سَأَلَهُ آثُوسُ بِاعْجَابٍ : « يَا لَكَ مِنْ شَجَاعٍ ! مَا اسْمُكَ ؟ »

« دَارْتَانِيَانُ ، يَا سَيِّدِي . »

صَاحَ آثُوسُ قَائِلًا : « حَسَنٌ ، يَا بُورْثُوسُ ، وَيَا آرَامِيسَ ، وَيَا دَارْتَانِيَانُ ، فَلْنَصْمُدْ . »

صَاحَ جُوسَاكَ غَاضِبًا : « هَيَّا ، يَا سَادَةُ ، هَلْ قَرَّرْتُمْ مَا سَتَفْعَلُونَ ؟ »

أَجَابَ آرَامِيسُ رَافِعًا قَبْعَتَهُ بِأَحْدَى يَدَيْهِ ، وَمُشْهَرًا سَيْفَهُ بِالْأُخْرَى : « أَجَلٌ ، نَحْنُ مُوشِكُونَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَنَا شَرَفٌ

مُواجهَتِكُمْ .»

صاح جوساك : « هكذا ! إذا فأنتم مُصممون ؛ أليس كذلك ؟ »

انقَضَ الحُرَّاسُ الخَمْسَةُ بِوَحْشِيَّةٍ عَلَى الفُرْسَانِ الثَّلَاثَةِ ، وَمَعَهُمُ دَارْتَانِيَان .

لَمْ يَسْتَعْرِقِ الْقِتَالُ إِلَّا وَقْتًا قَصِيرًا ، فَكَانَ سَرِيعًا وَضَارِبًا ، إِلَّا أَنَّهُ سَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفَ دَارْتَانِيَان أَنَّهُ نَدَّ لِأَيٍّ مِنَ الحُرَّاسِ . وَلَمْ يَمُضِ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى قُتِلَ أَحَدُ الحُرَّاسِ ، وَجَرِحَ ثَلَاثَةُ آخَرُونَ بِجُرُوحٍ بِالْغَةِ ؛ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا مُوَاصَلَةَ الْقِتَالِ . فَلَمَّا رَأَى الحَارِسُ الباقِي نَفْسَهُ وَحِيدًا أَمَامَ أَرْبَعَةِ فُرْسَانٍ ، كَسَرَ سَيْفَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ لِيَتَحَاشَى الاسْتِسْلَامَ .

تَحَرَّمَ الشُّجَاعَةُ دَائِمًا فِي أَيِّ مَكَانٍ ، حَتَّى لَدَى الْعَدُوِّ نَفْسِهِ ؛ فَحَيَّا الفُرْسَانُ الحَارِسَ الباقِي بِسُيُوفِهِمْ ، وَأَعَادُوهَا إِلَى أَغْمَادِهَا ، وَحَذَا دَارْتَانِيَان حَدْوَهُمْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ، بِمُسَاعَدَةِ ذَلِكَ الحَارِسِ ، نَقَلُوا الْجَرْحَى إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَدَقُّوا الْجَرَسَ .

انْصَرَفَ الْأَرْبَعَةُ الظَّافِرُونَ مُشْهَرِينَ سُيُوفَهُمْ ، مُبْتَهَجِينَ مِيمِينَ شَطْرَ مَقَرِّ السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي . وَكَانُوا يُغْنُونَ وَهُمْ يَسِيرُونَ ، وَقَدْ تَأَبَّطَ

كُلُّ مِنْهُمْ ذِرَاعَ الْآخِرِ ، شَاغِلِينَ الشَّارِعَ كُلَّهُ . وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ كُلُّ فَارِسِ التَّقْوَةِ ، حَتَّى كُونُوا فِي النِّهَايَةِ مَسِيرَةَ انْتِصَارٍ . وَامْتَلَأَ دَارْتَانِيَانُ فَرَحًا وَهُوَ يَسِيرُ فَخْرًا بَيْنَ أَثُوسَ وَبُورْثُوسَ .

أَتَى السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي الفُرْسَانِ الثَّلَاثَةَ عَلَنًا ، وَرَغَمَ ذَلِكَ فَقَدْ هَنَأَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، عَلَى انْتِقَامِهِمُ السَّرِيعِ الْحَاسِمِ مِنْ حَرَسِ الْكَارْدِينَالِ .

وَنَتِيجَةُ لِمَسَلِكِ دَارْتَانِيَان ، الَّذِي لَا يَهَابُ شَيْئًا ، الْحَقُّ عَلَى الْفُورِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ حَرَسِ الْمَلِكِ ، لِلتَّدْرِيبِ تَحْتَ إِمْرَةِ السَّيِّدِ دِيسَارَ . وَهَكَذَا ، فِي ظُرُوفٍ أَكْثَرَ مَلَأَمَةً مِمَّا كَانَ يَوْسَعُ ذَلِكَ الْغَسَقُونِيُّ الشَّابُّ أَنْ يَتَصَوَّرَ ، وَجَدَ نَفْسَهُ فِي طَرِيقِهِ لِأَنْ يُصْبِحَ فَارِسًا . وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ ، رُحِبَ بِهِ رَفِيقًا لِلثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يَنْفَصِلُونَ : أَثُوسَ وَبُورْثُوسَ وَأَرَامِيسَ ، وَضَارَ يَقْضِي مَعَهُمْ جُلَّ وَقْتِهِ .

الفصل الثاني عشر ميلادي

بَعْدَ ذَلِكَ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ ، تَصَادَفَ أَنَّ كَانَ دَارْتَانِيَانِ يَسِيرُ مُتَبَاعِثًا فِي أَحَدِ شَوَارِعِ بَارِيسَ ، فَإِذَا بِسَيِّدَةٍ تَجَذِبُ انْتِبَاهَهُ ، وَهِيَ تَهَيِّطُ دَرَجَاتِ سُلَّمِ مَنْزِلٍ . لَمْ تَكُنْ صَغِيرَةً السِّنِّ وَبَارِعَةً الْجَمَالِ فَحَسَبُ ، بَلْ كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا سَيِّدَةٌ مِنْ طَبَقَةِ رَاقِيَةٍ ؛ إِذْ كَانَتْ تَسِيرُ خَلْفَهَا خَادِمَتَانِ . وَبَيْنَمَا هِيَ تَسْتَدِيرُ لِتُصْدِرَ أَمْرًا لِأَحَدَاهُمَا ، قَفَزَ قَلْبُ دَارْتَانِيَانِ ، إِذْ عَرَفَ أَنَّهَا سَيِّدَةٌ مِيُونَنَ - السَّيِّدَةُ الَّتِي خَاطَبَهَا الرَّجُلُ ذُو النَّدْبِ بِقَوْلِهِ : « مِيلَادِي » .

لِحَسَنِ حِظِّ دَارْتَانِيَانِ أَنَّ تِلْكَ السَّيِّدَةَ لَمْ تَتَعَرَفْ عَلَيْهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَفْتَفِي أَثَرَهَا دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَيْهِ . رَكِبَتْ عَرَبَتَهَا عِنْدَ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَمَامًا ، وَسَمِعَهَا تَأْمُرُ سَائِقَهَا بِأَنْ يَسِيرَ فِي الطَّرِيقِ الْمُوْدِّي إِلَى سَانَ جِيرْمَان - وَهِيَ ضَاحِيَةٌ جَمِيلَةٌ خَارِجَ بَارِيسَ .

لَمْ يَكُنْ اهْتِمَامُ دَارْتَانِيانِ الشَّدِيدُ بِمِيلَادِي ؛ بِسَبَبِ جَمَالِهِ
الْفَاتِنِ ، الَّذِي جَذَبَهُ يَقِينًا ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا إِحْدَى
جَوَاسِيَسِ الكَارْدِينَالِ ، وَتَاقَ إِلَى اكْتِشَافِ اللُّغْزِ الْمَحِيطِ بِهَا . أَضِيفَ
إِلَى ذَلِكَ ، أَنَّهَا تَحَدَّثَتْ إِلَى عَدُوِّهِ - الرَّجُلِ ذِي النَّدْبِ ، وَبِنَاءً
عَلَيْهِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا تَعْرِفُهُ . فَإِذَا مَا تَتَّبَعَهَا ، فَقَدْ تَقَوَّاهُ إِلَى ذَلِكَ
الرَّجُلِ ، وَبِطَرِيقَةٍ مَا ، أَوْ بَغَيْرِهَا ، يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكْتَشِفَ شَيْئًا عَنْهُ .

وَإِذْ كَانَ مِنَ الْعَبَثِ أَنْ يَتَّبَعَ الْعَرَبَةَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَقَدْ أَسْرَعَ إِلَى
إِسْطَبْلِ خَيُْولِ الْحَرَسِ ، وَانْتَقَى حِصَانًا . وَسَرَّعَانَ مَا كَانَ فِي طَرِيقِهِ
هُوَ أَيْضًا ، إِلَى سَانِ جِيرْمَانِ .

لَمْ يَسْتَعْرِقْ بَحْثُهُ عَنْ آثَارِ الْعَرَبَةِ طَوِيلًا ، إِذْ رَأَاهَا تَجُرُّهَا الْخَيُْولُ
فِي شَارِعِ جَانِبِي هَادِيٍّ ، وَيَسِيرُ إِلَى جَانِبِهَا رَجُلٌ فَخْمٌ الْمَلْبَسِ ، عَلَى
صَهْوَةٍ جَوَادِهِ .

شَغِلَ الرَّجُلُ مَعَ مِيلَادِي فِي حَدِيثِ هَامٍ ، فَاقْتَرَبَ دَارْتَانِيانِ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْعَرَبَةِ ، دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ سِوَى خَادِمَةِ تِلْكَ
السَّيِّدَةِ الْحَسَنَاءِ ، الْجَالِسَةِ قِبَالَةَ سَيِّدَتِهَا .

كَانَا يَتَكَلَّمَانِ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَهِيَ لُغَةٌ لَا يُتَقَنَّهَا دَارْتَانِيانِ كَثِيرًا ،
وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ السَّيِّدَةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ النَّبِيلَةَ الْمُرَايَ ، كَانَتْ
فِي قِمَّةِ سَوْرَتِهَا . وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتْ عَنِ الْكَلَامِ ، وَضَرَبَتْ الرَّجُلَ

بِمِرْوَحَتِهَا ، بِقُوَّةٍ جَعَلَتْ الْمِرْوَحَةَ تَتَنَاضَّرُ فِي الْهَوَاءِ قِطْعًا صَغِيرَةً .

ضَحِكَ الرَّجُلُ ، عَلَى حِينِ جَلَسَتْ مِيلَادِي ، تَلَوِي مُنْدِيلِهَا
بِعَنْفٍ وَتَمَزَّقَهُ فِي ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ .

بَدَأَ لِدَارْتَانِيانِ ، أَنَّ هَذِهِ اللَّحْظَةَ مُنَاسِبَةٌ ، لِكَيْ يَتَدَخَّلَ ؛ فَخَلَعَ
قُبْعَتَهُ وَانْحَنَى لِلْسَّيِّدَةِ قَائِلًا : « هَلْ تَسْمَحِينَ لِي ، يَا سَيِّدَتِي ، بِأَنْ
أَقْدِمَ لَكَ خِدْمَاتِي ؟ يَبْدُو لِي أَنَّ هَذَا السَّيِّدَ يُضَايِقُكَ . مَا عَلَيْكَ
سِوَى أَنْ تَأْمُرِي ، يَا سَيِّدَتِي ، فَأَعَاقِبُهُ عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ ! »

حِينَ سَمِعَتْ مِيلَادِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، اسْتَدَارَتْ بِدَهْشَةٍ ،
وَنَظَرَتْ إِلَى هَذَا الشَّابِّ ، ثُمَّ أَجَابَتْ فِي هُدُوءٍ بِالْفَرَنْسِيَّةِ : « لَا
شَكَّ ، يَا سَيِّدِي ، فِي أَنِّي أَضْعُ نَفْسِي فِي حِمَايَتِكَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ
الشَّخْصُ الَّذِي أَتَعَارَكَ مَعَهُ ، هُوَ أَخِي ! »

قَالَ دَارْتَانِيانِ : « رَبَاهُ ! أَمْلُ فِي أَنْ تَصَفِّحِي عَنِّي ، يَا سَيِّدَتِي ،
إِذْ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ هَذَا . »

سَأَلَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَنْحَنِي نَحْوَ نَافِذَةِ الْعَرَبَةِ ، قَائِلًا : « مَاذَا يُرِيدُ
هَذَا الْغَيْبِيُّ ؟ وَلَمْ لَا يَذْهَبُ وَشَأْنُهُ ؟ »

صَاحَ دَارْتَانِيانِ ، وَهُوَ يَنْحَنِي أَيْضًا ، وَيُجِيبُ مِنْ جَانِبِهِ خِلَالَ نَافِذَةِ
الْعَرَبَةِ : « الْغَيْبِيُّ هُوَ أَنْتَ ! وَأَنَا لَنْ أَذْهَبَ لِأَنَّهُ يَسْرُنِي أَنْ أَقِفَ

عِنْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثَ الرَّكَّابُ مَعَ أُخْتِهِ بِبُضْعِ كَلِمَاتٍ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ .

فَقَالَ دَارْتَانِيَانُ : « تَحَدَّثْتُ إِلَيْكَ بِالْفَرَنْسِيَّةِ ، فَلِمَ لَا تَرُدُّ عَلَيَّ بِاللُّغَةِ نَفْسِهَا ؟ قَدْ تَكُونُ شَقِيقَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ ، وَلَكِنْ لِحَسَنِ الْحِظِّ أَنْكَ لَسْتَ شَقِيقِي ! »

مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّ مِيلَادِي سَتَجِبُنْ ، مِثْلَ عُمُومِ النِّسَاءِ ، فَتُحَاوَلُ إِقْفَافُ ذَلِكَ الْعِرَاكِ . وَلَكِنَّهَا ، عَلَى الْعَكْسِ ، جَلَسَتْ فِي مَقْعَدِهَا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَمَرَتْ سَائِقَهَا فِي هُدُوءٍ ، بِأَنْ يَعُودَ أَدْرَاجَهُ إِلَى بَارِيسَ .

مِنْ الْجَلِيِّ أَنَّ خَادِمَةَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْجَمِيلَةِ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِمَظْهَرِ دَارْتَانِيَانِ الْحَسَنِ ، إِذْ ظَلَّتْ عَيْنَاهَا مَشْدُودَتَيْنِ إِلَيْهِ ، وَبَدَأَ عَلَى وَجْهِهَا الْقَلَقُ ، حِينَ سَارَتِ الْعَرَبَةُ تَارِكَةً الرَّجُلَيْنِ ، يُوَاجِهُ كُلُّ مَنِهْمَا الْآخَرَ .

قَامَ شَقِيقُ مِيلَادِي بِحَرَكَةٍ ، وَكَأَنَّهُ سَيَتَّبِعُ الْعَرَبَةَ ، إِلَّا أَنَّ دَارْتَانِيَانِ اسْتَوْفَقَهُ قَائِلًا : « يَبْدُو لِي ، يَا سَيِّدِي ، أَنَّكَ أَغْبَى مِنِّي ؛ إِذْ سَرْعَانَ مَا نَسِيتَ أَنَّ ثَمَّةَ عِرَاكِ بَسِيطًا بَيْنَنَا يَجِبُ تَسْوِيتَهُ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْإِنْجِلِيزِيُّ : « أَتَرْغَبُ فِي نِزَالِ رَجُلٍ أَعْزَلَ ؟ »

يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى بَوْضُوحَ أَنَّ لَيْسَ مَعِيَ سَيْفٌ .

« عَسَى أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ سَيْفٌ فِي الْبَيْتِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ، فَمَعِيَ اثْنَانِ ، أُعِيرُكَ وَاحِدًا مِنْهُمَا . »

قَالَ الرَّجُلُ الْإِنْجِلِيزِيُّ : « هَذَا لَيْسَ ضَرُورِيًّا . أَنَا مُزَوَّدٌ بِأَمْثَالِ هَذِهِ اللَّعَبِ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « حَسَنٌ جِدًّا ، يَا سَيِّدِي ، هَاتِ أَطْوَلَ سَيْفٍ عِنْدَكَ ، وَتَعَالَ أَرْنِيهِ هَذَا الْمَسَاءَ . »
« آيْنَ ؟ »

« خَلْفَ قَصْرِ لوكْسُمبورغ . هُنَاكَ سَاحَةٌ هَائِلَةٌ لِلْأَلْعَابِ ، بِجَانِبِ الْقَصْرِ . وَهُنَاكَ سَأَلْقَنُكَ كَيْفَ تَلْعَبُ ! »

« عَظِيمٌ ! سَأَكُونُ بِإِنْتِظَارِكَ . »

« فِي أَيِّ وَقْتٍ ؟ »

« فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ . وَلَتَضْطَحِبُ مَعَكَ - بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ - صَدِيقًا أَوْ اثْنَيْنِ . »

« لَدَيَّ ثَلَاثَةٌ ، سَيَكُونُ مَدْعَاةٌ لِسُرُورِهِمْ أَنْ يَنْضَمُّوا إِلَى هَذِهِ اللَّعْبَةِ مَعِيَ . »

« ثلاثة ؟ هذا رائع ! فَعَدَدُ أَصْدِقَائِي كَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ . بِهِذِهِ
الْمُنَاسِبَةِ خَبِّرْنِي مَنْ تَكُونُ ؟ »

« أَنَا السَّيِّدُ دَارْتَانِيَان ، رَجُلٌ غَسَقُونِي ، أَعْمَلُ فِي حَرَسِ الْمَلِكِ .
وَمَنْ أَنْتَ ؟ »

« أَنَا اللُّوردُ وَيْتَر ، بَارونُ شِفِيلِد . »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « حَسَنٌ جِدًّا . إِذَا ، فَمَوْعِدُنَا السَّاعَةُ السَّادِسَةُ
هَذَا الْمَسَاءِ . » وَأَدَارَ حِصَانَهُ ، وَأَنْطَلَقَ عَائِدًا بِهِ إِلَى بَاريس .

وَكَالْمَعْتَادِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ ، ذَهَبَ دَارْتَانِيَانُ مُبَاشَرَةً إِلَى
مَنْزِلِ آثُوس ، وَحَكَى لَهُ كُلَّ مَا حَدَثَ .

أَنْطَلَقَ الْاِثْنَانِ مِنَ قُورِهِمَا ، إِلَى بُورْژُوسِ وَأَرَاميسِ ، فَلَمَّا قَدِمَا
أَخْبَرَاهُمَا بِالْمَوْعِدِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءِ خَلْفَ قَصْرِ لوكْسْمِبُورْغِ .

اسْتَلَّ بُورْژُوسُ حُسَامَهُ ، وَلَوَّحَ بِهِ فِي الْهَوَاءِ مَزْهُورًا بِمَا سَيَفْعَلُهُ
بِخَصْمِهِ .

ذَهَبَ أَرَاميسُ إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى ، فِي هُدُوءٍ ، لِيُكْمِلَ قَصِيدَةً
كَانَ يَنْظِمُهَا ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَلَّا يُزْعِجُوهُ إِلَى أَنْ يَحِينَ وَقْتُ الْمُبَارَاةِ .

أَشَارَ آثُوسُ إِلَى خَادِمِهِ جَرِيمُو لِيُحْضِرَ لَهُ زُجَاجَةً أُخْرَى مِنْ

العصير .

شَغَلَ دَارْتَانِيَانُ نَفْسَهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي تَفَاصِيلِ خُطَّةٍ - سَوْفَ نَقْرَأُ
الْمَزِيدَ عَنْهَا فِيمَا بَعْدَ - تَهَيَّأَ لَهُ مُغَامَرَةٌ مَقْبُولَةٌ ، كَمَا يُسْتَنْجِ مِنْ
الْإِبْتِسَامَاتِ الَّتِي تَبْدُو فِي وَجْهِهِ بَيْنَ آوَنَةٍ وَأُخْرَى .

وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ ؛ إِذْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَسْمَاءَهُمْ
الْحَقِيقِيَّةَ ، وَلَا حَتَّى هُمْ أَنْفُسَهُمْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدُهُمْ اسْمَ الْآخَرِ ،
فِيمَا عَدَا السَّيِّدَ دِي تَرِيفِي .

رَدَّ اللُّورْدُ بِقَوْلِهِ : « يُؤَلَّدُ هَذَا فِينَا رَغْبَةً أَكْثَرَ فِي أَنْ نَعْرِفَ
الْأَسْمَاءَ الْحَقِيقِيَّةَ . يُقَامِرُ الْمَرْءُ أَوْ يَلْعَبُ الْوَرَقَ مَعَ أَيِّ إِنْسَانٍ ،
وَلَكِنَّهُ لَا يُبَارِزُ إِلَّا مَنْ يَكُونُ نِدًّا لَهُ . »

قَالَ آتُوسُ : « وَهُوَ كَذَلِكَ . » وَانْتَحَى جَانِبًا بِمَنْ سَيِّقَاتِلُهُ ، وَأَخْبَرَهُ
بِاسْمِهِ ، هَمْسًا . وَفَعَلَ يُونِثُوسُ وَأَرَامِيسُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ .

قَالَ آتُوسُ لِخَصْمِهِ : « أَمْ يُرْضِيكَ هَذَا ؟ أَمْ تَجِدُ رُبَّتِي كَافِيَةً
لَأَكُونَ فِي شَرَفٍ مُبَارَزَتِكَ بِالسَّيْفِ ؟ »

رَدَّ الرَّجُلُ بِإِنْجَاءَةٍ وَهُوَ يَقُولُ : « أَجَلٌ . »

وَاسْتَطَرَدَّ آتُوسُ يَقُولُ بِرُودٍ : « حَسَنٌ ! دَعْنِي أَخْبِرُكَ الْآنَ بِشَيْءٍ
آخَرَ ؛ كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَلَّا تُصِرَّ عَلَى مَعْرِفَةِ اسْمِي . إِنَّ النَّاسَ
يَعْتَقِدُونَ أَنَّني مَيِّتٌ ، وَلَدَيَّ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يَجْعَلُنِي رَاغِبًا فِي
الْحِفَاطِ عَلَى هَذَا السِّرِّ . وَلِذَلِكَ سَأُضْطَرُّ إِلَى قَتْلِكَ حِفَاطًا عَلَى
سِرِّي ! » وَحَمَلَتْهُ إِلَيْهِ خَصْمَتُهُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ يَمْرَحُ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَمَارِحُ ، فَهُوَ لَمْ يَعْرِفِ الْمَزَاحَ قَطُّ .

الفصل الثالث عشر

آتُوسُ يُحَافِظُ عَلَى كَلِمَتِهِ وَدَارَتَانِيَانِ يَنْجَحُ فِي خَطِّهِ

قُبِيلَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ ، رَكِبَ دَارَتَانِيَانِ وَأَصْدِقَاؤُهُ الثَّلَاثَةَ
جِيَادَهُمْ ، يَتَّبِعُهُمْ خَدَمُهُمُ الْأَرْبَعَةَ ، وَسَارُوا نَحْوَ السَّاحَةِ الْهَادِئَةِ
الْوَاقِعَةِ وَرَاءَ قَصْرِ لُوكْسَمْبُورَغ . وَأَصْدَرُوا أَوْامِرَهُمْ إِلَى خَدَمِهِمْ بِأَنْ
يَرْصُدُوا مَا يَقَعُ مِنْ أَحْدَاثٍ . وَبَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقَ ، جَاءَتْ عَرَبَةٌ إِلَى
الْمَدْخَلِ ، فَتَزَلَّ مِنْهَا لُورْدُ وَيْنْتَرُ وَثَلَاثَةُ رِجَالٍ ، وَسَارُوا فِي صَمْتٍ نَحْوَ
دَارَتَانِيَانِ وَالْفُرْسَانِ الثَّلَاثَةِ . وَتَبَعًا لِلتَّقَالِيدِ ، تَمَّ التَّعَارُفُ . وَكَانَ
جَمِيعُ رُقَقَاءِ اللُّورْدِ وَيْنْتَرِ مِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ ، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ كَانَتْ
الْأَسْمَاءُ غَيْرَ الْعَادِيَّةِ لِخُصُومِهِمْ مَوْضِعَ مُفَاجَأَةٍ وَقَلَّتْ .

قَالَ لُورْدُ وَيْنْتَرُ : « لَمْ نَعْرِفْ ، حَتَّى الْآنَ ، مَنْ أَنْتُمْ ؛ فَتَحَنُّنٌ
لَا نُقَاتِلُ أَنَا نَاسًا لَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ . إِنَّهَا لَيْسَتْ أَسْمَاءَ أَشْخَاصٍ . »

قَالَ آتُوسُ : « إِنَّهَا أَسْمَاءُ حَرَكِيَّةٍ ، كَمَا قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِكَ . »

قال آثوس ، بَعْدَ لَحْظَةٍ ، يُخَاطِبُ زُمَلَاءَهُ وَخُصُومَهُمْ : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، هَلْ نَحْنُ جَمِيعًا مُسْتَعِدُونَ ؟ » وَجَاءَ الرَّدُّ مِنْهُمْ جَمِيعًا ، وَفِي صَوْتٍ وَاحِدٍ : « نَعَمْ ! »

صاح آثوس : « إِذَا ، فَخُذُوا حِذْرَكُمْ . »

وفي الحال ، تَأَلَّقَتْ نِصَالُ ثَمَانِيَةِ سَيُوفٍ فِي أَشِعَّةِ الشَّمْسِ .

بارز آثوس في هُدُوءٍ وَبَطْرِيْقَةٍ مَدْرُوسَةٍ ، وَكَأَنَّهُ يَتَدَرَّبُ فِي مَدْرَسَةِ لِلْمُبَارَاةِ بِسَيُوفِ الشَّيْشِ . أَمَّا پُورْتُوسُ ، فَرُبَّمَا كَانَ أَقْلَ مَجْهُودًا مِنَ الْمُعْتَادِ ، قَاتِلَ بِمَهَارَةٍ وَلَكِنْ يَحْذَرُ . وَأَمَّا أَرَامِيسُ ، الَّذِي كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يُكْمِلَ نَظْمَ قِطْعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ثَالِثَةٍ لِقَصِيدَتِهِ ، فَكَانَ مِنَ الْجَلِيِّ أَنَّهُ مُتَعَجِّلٌ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، كَانَ آثُوسُ أَوَّلَ مَنْ هَزَمَ خَصْمَهُ بِضَرْبَةٍ سَيْفٍ فِي قَلْبِهِ فَأَرَادَهُ قَتِيلًا . لَقَدْ حَافَظَ عَلَى كَلِمَتِهِ ! وَرَقَدَ خَصْمُ پُورْتُوسَ بَعْدَهُ مُمَدِّدًا فَرَّقَ الْأَعْشَابِ مَجْرُوحًا فِي فَخْذِهِ ، فَحَمَلَهُ پُورْتُوسُ بِذِرَاعِيهِ وَنَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبَةِ الْمُنْتَظِرَةِ . وَهَاجَمَ أَرَامِيسُ خَصْمَهُ بِوَحْشِيَّةٍ حَتَّى إِنَّهُ سَرَعَانَ مَا اسْتَسَلَّمَ . أَمَّا دَارْتَانِيَانُ فَقَاتَلَ مُلْتَزِمًا الدِّفَاعَ فِي بَسَاطَةٍ ، حَتَّى أَبْصَرَ لُورْدَ وَيْنْتِرَ وَقَدْ أَنْهَكَهُ التَّعَبُ ، فَأَادَرَ نَصْلَ حُسَامِيهِ دَوْرَةً فُجَائِيَّةً أَطَارَتْ الْحُسَامَ مِنْ يَدِهِ ، فَحَاوَلَ اللُّورْدُ اسْتِعَادَةَ سَيْفِهِ ، غَيْرَ أَنَّ قَدَمَهُ زَلَّتْ ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ .

وفي لَحْظَةٍ كَانَ دَارْتَانِيَانُ واقِفًا فَوْقَهُ ، يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى رَقَبَتِهِ .



وَبَقِيَ لُورْدُ وَيَنْتِرُ تَحْتَ رَحْمَةِ دَارْتَانِيَانِ ، وَهَكَذَا حَقَّقَ هَذَا الْآخِرُ
الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْ خَطِّهِ ، الَّتِي كَانَ يُفَكِّرُ فِيهَا آنِفًا .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « بُوْسُعِي الْإِجْهَازَ عَلَيْكَ ، وَلَكِنِّي سَأُبْقِي عَلَى
حَيَاتِكَ إِكْرَامًا لِأَخْتِكَ . »

نَهَضَ لُورْدُ وَيَنْتِرُ بِبُطْءٍ مُنْتَصِبًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ انْحَنَى اعْتِرَافًا
بِفَضْلِ دَارْتَانِيَانِ ، وَاسْتَدَارَ إِلَى الْفُرْسَانِ الثَّلَاثَةِ ، فَأَثْنَى عَلَى
مَهَارَتِهِمْ .

قَالَ لُورْدُ وَيَنْتِرُ لِدَارْتَانِيَانِ : « أَيُّ صَدِيقِي الشَّابِّ ، إِنْ سَمَحَتْ
لِي بِأَنْ أَتَادِيكَ بِهَذَا ، أَوْدُ أَنْ تُقَابِلَ أُخْتِي ، لِيَدِي وَيَنْتِرُ ، كَيْ
تُضِيفَ شُكْرَهَا إِلَى شُكْرِي . »

أَشْرَقَ وَجْهُ دَارْتَانِيَانِ سُرُورًا ، وَأَبْدَى مُوَافَقَتَهُ بِإِنْحِنَاءٍ شَدِيدَةٍ .

وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ اللَّورْدُ وَيَنْتِرُ ، أُعْطِيَ دَارْتَانِيَانِ عُنْوَانُ أُخْتِهِ - رَقْمُ
٦ ، الْمِيدَانِ الْمَلِكِيِّ - وَهُوَ يَقَعُ فِي مَنَاطِقَةٍ جَدِّ رَاقِيَةٍ . وَوَعَدَهُ بِأَنْ
يَذْهَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ لِكَيْ يَصْحَبَهُ إِلَى هُنَاكَ ، فَحَدَّدَ لَهُ
دَارْتَانِيَانِ السَّاعَةَ الثَّامِنَةَ فِي بَيْتِ آثُوسِ .

أَسْرَعَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى بَيْتِهِ مُبَاشَرَةً ، فَاسْتَبَدَّلَ مَلَابِسَهُ وَارْتَدَى أَفْضَلَ
حُلَّةٍ ، وَأَسْرَعَ إِلَى آثُوسِ فَأَخْبَرَهُ بِخَطِّهِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِمِيلَادِي .

أَصْغَى إِلَيْهِ آثُوسُ مَلِيًّا ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ بِيُطْءٍ ، نَاصِحًا إِيَّاهُ بِأَنْ
يَجْتَاطَ جَيِّدًا . وَلَمْ يَتَنَبَّهُ دَارْتَانِيَانُ لِنِعْمَةِ الْحُزْنِ الَّتِي شَابَتْ صَوْتَهُ .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « أَنَا لَمْ أَقَعْ فِي عَرَامٍ مِيلَادِي ، وَإِنَّمَا هَدَفِي
الْوَحِيدُ ، هُوَ أَنْ أُكْتَشِفَ بِالضَّبْطِ ، الدَّوْرَ الَّذِي تَقُومُ بِهِ فِي
الْبَلَاطِ . »

« يَا لِرَحْمَةِ السَّمَاءِ ! لَيْسَ هَذَا صَعْبَ التَّخْمِينِ ، بَعْدَ الَّذِي
أَخْبَرْتَنِي بِهِ . لَا شَكَّ فِي أَنَّهَا وَالرَّجُلَ ذَا النَّدَبِ مِنْ جَوَاسِيسِ
الْكَارْدِينَالِ . كُنْ عَلَى حَذَرٍ ، وَإِلَّا جَرَّتْكَ إِلَى شَرِّكَ لَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ ! »
« عَزِيزِي آثُوسُ ، إِنَّكَ تَنْظُرُ دَائِمًا إِلَى الْجَانِبِ الْمُعْتَمِ مِنْ الْأُمُورِ . »

« أَنَا لَا أَتَّقُ بِالنِّسَاءِ ، وَلَا سِيَّما الْجَمِيلَاتِ مِنْهُنَّ . كَيْفَ لِي أَنْ
أَفَكِّرَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ ! لَقَدْ اشْتَرَيْتُ خَيْرَتِي غَالِيًا . قُلْ لِي ، هَلْ
مِيلَادِي جَمِيلَةٌ ؟ »

« إِنَّهَا مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ اللَّائِي وَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ عَيْنَايَ ! »

« آه ، يَا عَزِيزِي دَارْتَانِيَانِ الْمُسْكِينِ ! »

« اِسْمَعْ ، يَا آثُوسُ ، أَنَا لَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ أُكْتَشِفَ شَيْئًا مَا ، وَعِنْدَمَا
أُكْتَشِفُهُ ، فَلَنْ تَهْمَنِي هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ . »

قال آئوس كسيفاً : « افْعَلْ ما يَحُلُو لَكَ ، يا صَدِيقِي الصَّغِيرَ ،
ولَكِنْ الزَّمْ جَانِبَ الْحَذَرِ . »

الفصل الرابع عشر ميلادي تَسْتَقْبِلُ دارتانيان

برُّ لُورْد وِيتَر بوعَدِه ؛ فَذَهَبَ إلى دارتانيان في السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ
لِيَصْحَبَهُ لِيَقَابِلَ أُخْتَهُ ميلادي .

كَانَ بَيْتُ ميلادي بِالْمَدِينَةِ ، أَبْهَى بَيْتٍ فِي الْحَيِّ ، وَلَمْ يَدْهَشْ
دارتانيان مِنْ كَوْنِهِ مُؤَثَّراً بِأَعْلَى الْأَثاثِ . فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، كَانَ
جُلُّ الْإِنْجَلِيزِ يُغَادِرُونَ فَرَنْسَا مِنْ جَرَاءِ الْحَرْبِ الْمُتَقَبِّةِ بَيْنَ الْإِنْجَلِيزِ
وَالْفَرَنْسِيِّينَ . أَمَّا ميلادي ، فَعَلَى الْعَكْسِ ، إِذْ أَعَادَتْ طِلَاءَ بَيْتِهَا .
وَبَدَا لِلْعِيَانِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا تَخَافُهُ بِقَائِلِهَا فِي بَارِيسَ . لَاحِظَ
دارتانيان هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، فَدَعَمَتْ شُكُوكَهُ فِي أَنَّ ثَمَّةَ لَغْزَا يُحِيطُ
بِهَا .

قالَ اللُّورْد وِيتَر لِشَقِيقَتِهِ : « إِسْمَحِي لِي بِأَنْ أَقْدِمَ لَكَ رَجُلًا
صَغِيرَ السِّنِّ ، كَانَتْ حَيَاتِي مُعَلَّقَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسَيِّئْ أَتِّهَازَ

الْفُرْصَةِ ؛ إِذْ أَبْقَى عَلَى حَيَاتِي ، رَغْمَ أَنِّي أَنَا الَّذِي بَادَرْتُ بِإِهَانَتِهِ .
وَالآنَ ، أَلَا بَادَرْتُ بِأَنْ تُصِيفِي شُكْرَكَ إِلَى شُكْرِي ؟»

بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَدَارَ اللُّورْدُ وَيْنْتِرُ ، لِيَدُقَّ الْجَرَسَ كَيْ يَطْلُبَ شَرَابًا ،
وَمِنْ ثَمَّ ، فَلَمْ يُلَاحِظْ مَسْحَةَ الْامْتِعَاضِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى وَجْهِ أُخْتِهِ .
وَرَغْمَ هَذَا ، حِينَ تَكَلَّمَتْ لَمْ يَبْدُ أَيُّ أَثَرٍ لِذَلِكَ الْامْتِعَاضِ ، فِي
صَوْتِهَا الرَّقِيقِ الْعَذْبِ .

قَالَتْ : « يُسَعِدُنِي أَنْ أَرْحَبَ بِكَ ، يَا سَيِّدِي . يَبْدُو لِي أَنَّكَ نِلْتَ
حَقُوقًا أَبَدِيَّةً فِي اعْتِرَافِي بِجَمِيلِكَ . »

بَعْدَ ذَلِكَ ، رَوَى أَخُوهَا الْقِصَّةَ بِالتَّفْصِيلِ .

أَصْغَتْ مِيلَادِي بِانْتِبَاهٍ تَامٍّ ، وَلَكِنْ اتَّضَحَ لِدَارْتَانِيَانِ ، أَنَّ هَذِهِ
الْحِكَايَةَ لَمْ تَلَقَ عِنْدَهَا الْقَبُولَ . وَلَاحِظَ كَيْفَ كَانَتْ تَعْقُدُ مِنْدِيلَهَا
وَتَشُدُّهُ ، كَمَا لَاحِظَ أَنَّهَا كَانَتْ تَدُقُّ الْأَرْضَ بِفَرْدَةٍ مِنْ حَدَائِهَا
الصَّغِيرِ ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْفِضِّيَّ ، فِي قَلْبِي ، فَوْقَ الْبَسَاطِ
اللَّيْنِ .

لَمْ يُلَاحِظِ اللُّورْدُ وَيْنْتِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، إِذْ كَانَ مَشْغُولًا بِإِعْدَادِ
الشَّرَابِ عِنْدَ الْمَائِدَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَهُوَ يَرَوِي قِصَّتَهُ .

مَلَأَ اللُّورْدُ كَأْسَيْنِ ، وَدَعَا دَارْتَانِيَانِ بِإِيْمَاءَةٍ كَيْ يُشَارِكَهُ

الشَّرَابَ ، فَاتَّجَهَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى الْمَائِدَةِ لِيَتَنَاوَلَ كَأْسَهُ ، مُرَاعِيًا أَنْ
يُرَاقِبَ مِيلَادِي فِي مِرَاةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى الْحَائِطِ . وَحِينَ اعْتَقَدَتْ
مِيلَادِي أَنَّ لَا أَحَدًا يُرَاقِبُهَا ، بَدَتْ عَلَيْهَا نَظَرَةٌ مَقْتٍ هَائِلَةٌ ، فَطَفَفَتْ
تَنْهَشُ مِنْدِيلَهَا بِأَسْنَانِهَا الْجَمِيلَةِ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ ، جَاءَتِ الْخَادِمَةُ الْحَسَنَاءُ بِمَذْكُرَةِ
اللُّورْدِ ، وَكَلِمَتُهُ يَضَعُ كَلِمَاتٍ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ . فَلَمَّا قَرَأَ الْمَذْكُرَةَ ،
اسْتَأْذَنَ فِي الْانْصِرَافِ ، إِذْ كَانَ مَطْلُوبًا فِي مَوْعِدٍ هَامٍّ .

وَحِينَ التَّفَتَ دَارْتَانِيَانِ نَحْوَ مِيلَادِي ، كَانَتْ كُلُّ اثْنَيْنِ الْغَضَبِ قَدْ
اخْتَفَتْ وَكَانَتْهَا بِفِعْلٍ سَاحِرٍ ، وَتَسَاءَلَ لِلْحَظَةِ مَا إِذَا كَانَتْ الْمِرَاةُ قَدْ
خَدَعَتْهُ أَمْ لَا .

بَعْدَ انْصِرَافِ اللُّورْدِ ، عَدَا الْحَدِيثُ وَدُيًّا ؛ فَعَلِمَ دَارْتَانِيَانِ أَنَّ لُورْدَ
وَيْنْتِرَ لَمْ يَكُنْ أَخَا مِيلَادِي ، بَلْ هُوَ شَقِيقُ زَوْجِهَا . فَقَدْ تَزَوَّجَتْ أَخَا
اللُّورْدِ وَيْنْتِرَ الْأَصْغَرَ ، وَهِيَ الْآنَ أَرْمَلَتُهُ ، بَعْدَ أَنْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ طِفْلًا
وَاحِدًا . كَانَ هَذَا الْابْنُ الْوَارِثُ الْوَحِيدَ لِلُّورْدِ وَيْنْتِرَ ، شَرِيطَةً أَلَا
يَتَزَوَّجَ هَذَا اللُّورْدُ .

أَحْسَ دَارْتَانِيَانِ ، فِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا ، بِأَنَّ
مِيلَادِي تُخْفِي شَيْئًا مَا ، وَلَكِنْ مَا هُوَ ؟ هَذَا مَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَهْمُهُ .

أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ ، اقْتِنَاعُهُ بِأَنَّهَا مِنْ أَصْلِ فَرَنْسِيٍّ وَلَيْسَتْ إِنْجِلِيزِيَّةً .
كَانَتْ تَتَكَلَّمُ الْفَرَنْسِيَّةَ بِطَلَاقَةٍ وَنَقَاءٍ أَرَاكَ كُلُّ شَيْءٍ .

فِي الْمَسَاءِ التَّالِي ، عَاوَدَ دَارْتَانِيَانُ زِيَارَةَ مِيلَادِي ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ
بِحَفَاوَةٍ أَكْثَرَ . وَبَدَأَ أَنَّهَا تَخْصُهُ بِاهْتِمَامٍ عَظِيمٍ بِهِ وَبِعَمَلِهِ . رَغْمَ
ذَلِكَ ، لَمْ يَنْسَ دَارْتَانِيَانُ أَنَّ يُثْنِيَ عَلَى الْكَارْدِينَالِ ، وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ
يَتَمَنَّى الْإِلْتِحَاقَ بِحَرَسِ الْكَارْدِينَالِ ، لَوْ لَمْ يُقَدِّمُ أَوَّلًا لِلسَّيِّدِ دِي
تْرِيفِي .

غَيَّرَتْ مِيلَادِي مَجْرَى الْحَدِيثِ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَبَاقَةٍ ، وَسَأَلَتْ بِرَاءَةً
عَمَّا إِذَا كَانَ دَارْتَانِيَانُ قَدْ قَامَ بِزِيَارَةِ إِنْجِلْتِرَا ، فِي وَقْتٍ مَا .

فَكَرَّرَ دَارْتَانِيَانُ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا : « رَبَّاهُ ! إِنَّهَا تَعْرِفُ زِيَارَتِي السَّرِيَّةَ
لِإِنْجِلْتِرَا ، لِلْوَرْدِ بِكِنْجَهَامِ » .

أَجَابَ بِصَوْتٍ بَرِيٍّ بِرَاءَةً صَوْتِ مِيلَادِي ، بِأَنَّ السَّيِّدَ دِي
تْرِيفِي أَرْسَلَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى إِنْجِلْتِرَا لِشِرَاءِ خَيُْولٍ ، فَأَحْضَرَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ
جِيَادٍ مِنْ نَوْعِ أَصِيلٍ .

وَإِذْ أَدْرَكَتْ مِيلَادِي أَنَّ دَارْتَانِيَانُ يُجِيدُ اللَّعِبَ بِالْأَلْفَافِ مِثْلَمَا
يُجِيدُ اللَّعِبَ بِالسَّيْفِ ، أَدَارَتْ دَقَّةَ الْحَدِيثِ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ أَكْثَرَ
أَمْنًا .

الفصل الخامس عشر دَارْتَانِيَانُ يَسْتَرْقُ السَّمْعَ

رَغْمَ نَصِيحَةِ آثُوس ، هَامَ دَارْتَانِيَانُ بِحُبِّ مِيلَادِي ، وَظَلَّ يَزُورُهَا
كُلَّ مَسَاءٍ تَقْرِيْبًا . وَمَا عَادَ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهَا ؛ إِذْ أَصْدَرَتْ
مِيلَادِي أَمْرًا بِأَنْ يَدْخُلَ دَارْتَانِيَانُ حُجْرَةَ جُلُوسِهَا الْخَاصَّةِ ، قَوْرَ
مَجِيئِهِ مُبَاشَرَةً .

لَمْ يَدْرِكْ دَارْتَانِيَانُ أَنَّ مِيلَادِي تَلْعَبُ دَوْرًا ، حَتَّى سَمِعَهَا مُصَادَفَةً
وَهِيَ تَتَحَدَّثُ إِلَى خَادِمَتِهَا الْخَاصَّةِ كَيْتِي ، فِي الْحُجْرَةِ الْمَجَاوِرَةِ
لِحُجْرَةِ الْجُلُوسِ الَّتِي كَانَ مُنْتَظِرًا فِيهَا . لَمْ يَكُنِ الْبَابُ الْمَوْصَلُ بَيْنَ
الْحُجْرَتَيْنِ مَوْصَدًا تَمَامًا ؛ وَهَكَذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْمَعَ بِوُضُوحٍ مَا كَانَ
يَدُورُ بَيْنَهُمَا مِنْ حَدِيثٍ .

قَالَتْ مِيلَادِي : « يَدُودُ أَنْ صَدِيقَنَا الْغَسْقُونِي سَيَتَأَخَّرُ اللَّيْلَةَ . »

قَالَتْ كَيْتِي : « مَاذَا ، يَا سَيِّدَتِي ؟ هَلْ يُسْتَهْتَرُ بِصَدَاقَتِكَ إِلَى

حَدُّ أَلَا يَكُونُ مُوَاطِبًا ؟

« مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ قَدْ مَنَعَهُ الْمَجِيءَ . لَا بَأْسَ ؛ فَأَنَا
أَعْرِفُ مَا سَأَفْعَلُهُ مَعَهُ ، يَا كَيْتِي .

« لِمَاذَا يَا سَيِّدَتِي ؟ وَآيَةً لَعَبَةٍ سَتَلْعَبِينَهَا ؟

« هَذَا سُؤَالٌ حَسَنٌ ! وَسَوْفَ نَرَى . ثَمَّةَ شَيْءٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ
الشَّابِّ . الَّذِي يَجْهَلُهُ أَنَّهُ كَادَ يُحْطَمُنِي فِي عَيْنِي الْكَارْدِينَالِ بِشَأْنِ
مَوْضُوعٍ مَاسَاتِ الْمَلِكَةِ . لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَخُذَ بِثَأْرِي !

« رَبَّاهُ ! ظَنَنْتُكَ تَهَيِّمِينَ بِحَبِّهِ .

« أَحِبُّهُ ؟ إِنَّنِي أَمَقَّتُهُ ! كَانَتْ حَيَاةُ لُورْدٍ وَبَثَرَتْ فِي يَدَيَّ ذَلِكَ
الْغَنِيِّ ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ . وَبِسَبَبِ عَدَمِ قَتْلِهِ ، فَقَدْتُ مِيرَاثًا سَنَوِيًّا قَدْرُهُ
ثَلَاثُمِئَةِ أَلْفِ جَنْيَةٍ !

قَالَتْ كَيْتِي : « هَذَا حَقِيقَتِي . لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّ ابْنَكَ ، يَا سَيِّدَتِي ،
هُوَ الْوَارِثُ الْوَحِيدُ لِعَمِّهِ . وَحَتَّى يَبْلُغَ سِنَ الرُّشْدِ ، سَتَكُونِينَ
الْمُتَصَرِّفَةَ فِي آيَةِ ثُرُوءٍ يَرِثُهَا .

قَالَتْ مِيلَادِي بِحِدَّةٍ : « نَعَمْ ، وَكَانَ لَا بُدَّ لِي مِنَ الْإِتِّقَامِ مِنْهُ
أَمَدٍ بَعِيدٍ ، لَوْ لَمْ يُصِرَّ الْكَارْدِينَالُ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي صَدَاقَةِ ذَلِكَ

الْفَسَقُونِي الْبَغِيضِ . وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْهَمَ السَّبَبَ .

ارْتَجَفَ دَارْتَانِيَانِ ، وَأَسْرَعَ يَهْطُ السَّلَمُ ، مُتَسَلِّلًا إِلَى خَارِجِ
الْبَيْتِ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ ، لِكَيْ يَهْدِيَّ مِنْ غَضَبِهِ . وَفِي
الصَّبَاحِ التَّالِي ، هُرِعَ إِلَى مُقَابَلَةِ آثُوسَ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ .

قَالَ آثُوسَ : « يَبْدُو أَنَّ مَعْشُوقَتَكَ مِيلَادِي امْرَأَةٌ شَرِيرَةٌ . وَلَا شَكَّ
فِي أَنَّكَ تَوَاجَعَهُ عَدُوَّةَ شَقِيَّةٍ .

وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ ، نَظَرَ آثُوسَ بِإِمْعَانٍ إِلَى خَاتَمٍ مِنَ الْيَاقُوتِ
الْأَزْرَقِ فِي إِصْبَعِ دَارْتَانِيَانِ ، وَقَالَ : « يَا لَهُ مِنْ خَاتَمٍ جَمِيلٍ ، هَذَا



الَّذِي تَلَبَّسَهُ ! إِنَّهُ يَذْكُرُنِي بِجَوْهَرَةٍ عَائِلِيَّةٍ كُنْتُ أَحْوزُهَا فِيمَا مَضَى .
هَلْ قَابِضَتْ بِهِ عَلَى خَاتَمِكَ الْمَاسِيِّ ؟

« لا . إِنَّهُ هَدِيَّةٌ مِنْ مِيلَادِي . »

صَاحَ آثُوسُ بِإِنْفِعَالٍ : « مَاذَا ؟ جِئَاكَ هَذَا الْخَاتَمُ مِنْ
مِيلَادِي ؟ »

وَفَحَصَ آثُوسُ الْخَاتَمَ ، فَاِمْتَقَعَ لَوْنَهُ .

رَدَّدَ فِي نَفْسِهِ : « مُسْتَحِيلٌ ! لَا يُمَكِّنُ ! كَيْفَ وَصَلَ هَذَا
الْخَاتَمُ إِلَى حَوْزَةِ مِيلَادِي ؟ وَمَعَ ذَلِكَ ، فَمِنْ الصَّعْبِ أَنْ نَتَصَوَّرَ
إِمْكَانَ تَشَابِهِ جَوْهَرَتَيْنِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ! »

سَأَلَهُ دَارْتَانِيَانُ : « أَلَمْ لَكَ سَابِقُ مَعْرِفَةٍ بِهِذَا الْخَاتَمِ ؟ »

أَجَابَ آثُوسُ : « أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ خَطَأٍ مَا .
أَرْجُوكَ ، يَا دَارْتَانِيَانُ ، إِمَّا أَنْ تَخْلَعَ هَذَا الْخَاتَمَ ، وَإِمَّا تُدِيرَ فُصَّهُ ؛
فَهُوَ يَذْكُرُنِي بِذِكْرِيَّاتٍ قَاسِيَةٍ . وَلَكِنْ اِنْتَظِرْ ! دَعْنِي أَفْحَصَ الْفَصَّ ؛
فَلِلْفَصِّ الَّذِي ذَكَرْتَهُ لَكَ خَدَشٌ عَلَى أَحَدِ أَوْجُهَيْهِ . »

خَلَعَ دَارْتَانِيَانُ الْخَاتَمَ وَسَلَّمَهُ إِلَى آثُوسَ .

نَظَرَ آثُوسُ إِلَيْهِ مَلِيًّا ؛ فَبَدَأَ عَلَيْهِ الْاضْطِرَابُ .

قَالَ آثُوسُ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى الْخَدَشِ الَّذِي ذَكَرَهُ : « اُنْتَظِرْ ، إِنَّهُ
الْخَدَشُ نَفْسُهُ كَمَا أَخْبَرْتِكَ . هَذِهِ جَوْهَرَةٌ عَائِلِيَّةٌ قَدِيمَةٌ وَرَثَتُهَا عَنْ
أُمِّي . »

سَأَلَهُ دَارْتَانِيَانُ مُتَرَدِّدًا : « هَلْ بَعَثَهَا ؟ »

أَجَابَ آثُوسُ بِطُغْيٍ وَتَمَعْنٍ : « لا ، أَهْدَيْتُهَا لِمَرْأَةٍ أَحَبَّيْتُهَا . »

اسْتَعَادَ دَارْتَانِيَانُ الْخَاتَمَ ، وَوَضَعَهُ فِي جَيْبِهِ لَا فِي إِصْبَعِهِ .

أَمْسَكَ آثُوسُ بِيَدِ دَارْتَانِيَانِ وَقَالَ : « أَيُّ دَارْتَانِيَانِ ، تَعْرِفُ أَنَّنِي
أَعْتَبِرُكَ أَخًا أَصْغَرَ لِي . اِعْمَلْ بِنَصِيحَتِي ، وَابْتَعدْ عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ .
إِنَّنِي لَا أَعْرِفُهَا ، وَلَكِنْ شَيْئًا مَا يُوحِي إِلَيَّ بِأَنَّهَا لَنْ تَجِرَّ عَلَيْكَ سِوَى
الشَّرِّ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « أَنْتَ عَلَى حَقٍّ . سَأَكْفُ عَنْ لِقَائِهَا ، وَلَكِنْ
لَا تَقْلُقْ ، فَإِنَّا سَنُغَادِرُ بَارِيسَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ لِنَشْتَرِكَ فِي حِصَارِ
رُوشِيلِ . »

بَعْدَ انْصِرَافِ دَارْتَانِيَانِ ، جَلَسَ آثُوسُ صَامِتًا يُفَكِّرُ . أَقْلَقَتْ
أَفْكَارُهُ ذِكْرِيَّاتُ الْمَاضِي ، فَأَخَذَ يَسْتَرْجِعُ وَيَسْتَدْعِي الْمَشَاهِدَ الَّتِي
كَثِيرًا مَا مَرَّتْ بِهِ . وَعَبَثًا حَاوَلَ أَنْ يَكْفُ عَنْ التَّفْكِيرِ وَيَسْلُو .

رَأَى نَفْسَهُ ، مَرَّةً أُخْرَى ، الْكُونْتُ دِي لَا فِيرَ ، النَّبِيلَ الْفَرَنْسِيَّ

الشَّابُّ . كَانَ الْاسْمُ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَصِيلاً وَنَبِيلاً . وَكَانَتْ لَهُ
السَّيْطَرَةُ عَلَى أَرْضِيهِ ، وَكَانَتْ كَلِمَتُهُ قَانُونًا .

وَضُمَّتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فَتَاةً رَقِيقَةً كَالنَّسَمَةِ جَمِيلَةً كَالْمَلَائِكِ ،
أَقْبَلَتْ مَعَهَا نَسَمَاتُ الرَّبِيعِ . جَاءَتْ مَعَ أَخِيهَا الَّذِي حَازَ مَنْصِبًا
بِمَكَانٍ مَا ، فِي قَرْيَةٍ تَقَعُ فِي مُمْتَلَكَاتِ الْكُونَتِ . كَانَتْ تَبْدُو بَرِيئَةً
وَلَطِيفَةً ، وَيَبْدُو أَخُوهَا وَرِعًا وَتَقِيًّا ، حَتَّى إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْأَلْ مِنْ أَيْنَ
قَدِمَا ، أَوْ ارْتَابَ لِحُظَّةٍ فِي أَنَّهُمَا يَخْلَافِ مَا كَانَا يَبْدُوَانِ عَلَيْهِ .

كَثِيرًا مَا شَاهَدَ النَّبِيلُ تِلْكَ الْفَتَاةَ وَهُوَ مَمْتَطٌ جَوَادَةً خِلَالَ الْقَرْيَةِ .
وَكَانَ حُبُّ ذَلِكَ الشَّابِّ لِهَذِهِ الْفَتَاةِ الرَّقِيقَةِ آن ، يَزِيدُ يَوْمًا بَعْدَ
يَوْمٍ .

وَتَعَاقَبَتْ مَشَاهِدُ تَلَاقِيهِمَا ، مَشْهَدًا بَعْدَ آخَرَ ، تَحْتَ أَشْجَارِ
الصَّنَوْبَرِ ذَاتِ الْأَرْبِجِ الْعَبِيقِ ، وَخِلَالَ الْمَرَاتِ الَّتِي يُعْطَرُهَا شَذَى
الْأَزْهَارِ ، وَبِجَانِبِ مَجْرَى مَاءٍ بَارِدٍ يَخْرُ خَرِيرًا جَمِيلًا ، وَعَلَى الْجِسْرِ
الرَّيفِيِّ الَّذِي اعْتَادَا الْوُقُوفَ عَلَيْهِ ، إِذَا مَا أَخَذَتْ ظِلَالُ الْمَسَاءِ
تَطُولُ ، ثُمَّ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الصَّيْفِيِّ تَحْتَ ظِلَالِ النَّبَاتَاتِ الْمَتَسَلِّقَةِ .

وَرَعَمَ كَوْنُهَا لَيْسَتْ مِنْ طَبَقَةِ نَبِيلَةٍ ، وَرَعَمَ عَدَمَ مُوَافَقَةِ أَسْرَتِهِ ،
تَزَوُّجَهَا ذَلِكَ الْكُونَتِ الشَّابِّ ، وَجَعَلَهَا أَوَّلَ كَوْنَتِيَسَةٍ لِذَلِكَ

الإقْلِيمِ .

اضْطَرَبَ آتُوسُ قَلَقًا ، عَلَى حِينِ تَضَاعَلَ الْمُنْظَرُ أَمَامَهُ ، وَظَهَرَتْ
فِي تَفَاصِيلِ حَيَوِيَّةٍ ، تِلْكَ الْحَادِثَةُ الْمُمِيتَةُ فِي سَاحَةِ الصَّيْدِ - رَأَى
زَوْجَتَهُ تَسْقُطُ عَنْ ظَهْرِ جَوَادِهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَتَرْقُدُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فِي
غَيْبَوِيَّةٍ تُشَبِّهُ غَيْبَوِيَّةَ الْمَوْتِ . وَرَأَى نَفْسَهُ يَرْتَجِفُ جَزَعًا وَهَلَعًا ، وَيَفْتَحُ
فُسْتَانَهَا مِنْ عِلَى كَيْ يَمُدُّهَا بِمَزِيدٍ مِنَ الْهَوَاءِ ؛ فَإِذَا بِهِ يَرَى عَلَى
بَشَرَةٍ كَتِفَيْهَا النَّاعِمَةِ ، وَاضِحَةً أَمَامَ عْيُونِ كُلِّ مَنْ احْتَشَدَ حَوْلَهَا
- أَبْصَرَ الْعَلَامَةَ الْمُرْبِعَةَ ، عِلَامَةَ الْعَارِ وَالسَّنَارِ ، الَّتِي طَبَعَهَا الْجَلَادُ
الْعَامُّ عَلَى جِلْدِهَا بِمِكَوَنَاتِهِ - عِلَامَةَ « زَهْرَةِ الزَّبَقِ » .

كَانَتْ زَوْجَتُهُ - كَوْنَتِيَسَةُ دِي لَا فِيرِ ، مَجْرَمَةٌ مُدَانَّةٌ ، فَأَنْزَلَ هَذَا
الْاِكْتِشَافُ بِكِبْرِيَاءِ الْكُونَتِ ضَرْبَةً قَاصِمَةً - ضَرْبَةً لَمْ يُشْفَ مِنْهَا
قَطُّ .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، غَادَرَ الْكُونَتِ دِي لَا فِيرِ قَصْرَهُ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ
أَبْنَةً .

لَمْ يُثِرْ احْتِمَالُ كَوْنِهَا قَدْ تَكُونُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، رَعَمَ افْتِرَاضِ
مَوْتِهَا - لَمْ يُثِرْ أَيُّ إِحْسَاسٍ بِالشَّفَقَةِ فِي قَلْبِ آتُوسِ . وَلَمْ يُخَفِّفِ
الزَّمَنُ ، بِحَالٍ مَا ، تِلْكَ الضَّرْبَةَ الْقَاصِمَةَ الَّتِي تَلَقَّاهَا . فَرَقَعَ كَأْسَهُ

وَشَرِبَهَا حَتَّى الثُّمَالَةِ ، وَمَالَ رَأْسَهُ فِي بَطْنٍ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى ذِرَاعِيهِ
الْمُمْتَدَّتَيْنِ فَوْقَ الْمَائِدَةِ ، وَاحْتَرَقَتِ الشَّمْعَةُ حَتَّى تَلَاشَتْ ثُمَّ انْطَفَأَتْ ،
دُونَ أَنْ يَفْظَنَ إِلَيْهَا . وَهَكَذَا بَقِيَ آثُوسَ حَتَّى بَدَأَ نُورُ الْفَجْرِ الْبَارِدِ
يَلُوحُ خِلَالَ مِصْرَاعِي النَّافِذَةِ نِصْفِ الْمَفْتُوحَةِ .

الفصل السادس عشر سِرُّ ميلادي

رَعِمَ مَا عَرَفْتُ دَارْتَانِيَانِ عَنْ مِيلَادِي ، فَإِنَّهُ أَحَسَّ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ
أَنَّهُ خَرَقَ لِلْأَدَبِ وَدَمَائَةِ الْخُلُقِ ، إِنَّهُ هُوَ غَادِرُ بَارِيْسَ ، دُونَ أَنْ
يُودَّعَهَا . وَمِنْ ثَمَّ ، فَقَدْ زَارَهَا بَعْدَ مُرُورِ لَيْلَتَيْنِ ، لِيُخْبِرَهَا بِرَحِيلِهِ
الْمُبَكِّرِ مَعَ فِرْقَتِهِ إِلَى السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ لِفِرْنَسَا ، لِلْمُشَارَكَةِ فِي حِصَارِ
رُوشِيلِ . وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ ، لَمْ تَعْرِفْ مِيلَادِي أَنَّهُ سَمِعَ مُصَادَقَةَ
كَلَامِهَا مَعَ خَادِمَتِهَا . وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ يَرْغَبْ فِي إِثَارَةِ
شُكُوكِهَا ، إِنَّهُ هُوَ قَطَعَ ، فَجْأَةً ، زِيَارَتَهُ لَهَا ، الَّتِي كَثُرَتْ فِي الْأَيَّامِ
الْأَخِيرَةِ .

لَمْ يَمَكُثْ دَارْتَانِيَانِ لَدَى مِيلَادِي طَوِيلًا ، وَأَتَمَّا نَهَضَ وَاسْتَأْذَنَ
فِي الْإِنْصِرَافِ ، حِينَمَا عَنْ لَهُ أَنْ يَنْصَرِفَ . وَكَانَتْ مِيلَادِي رَقِيقَةً
كَعَادَتِهَا ، وَتَطَوَّعَتْ مُبْتَسِمَةً بِأَنْ تَصْحَبَهُ حَتَّى الْبَابِ ، غَيْرَ أَنَّهَا وَهِيَ
تَنْهَضُ لِتَفْعَلَ ذَلِكَ ، اشْتَبَكَ طَرْفُ فُسْتَانِهَا بِكَعْبِ فَرْدَةٍ حَدَائِثِهَا

اليسرى ، فَجَذِبَ الْفُسْتَانُ بِشِدَّةٍ عِنْدَ كَتِفِهَا ؛ فَلَمْ يَقَاوِمِ الْفُسْتَانُ
الْحَرِيرِيُّ الرِّفِيقُ هَذِهِ الْجَذْبَةَ الْقَوِيَّةَ ، فَتَمَزَّقَ عِنْدَ الْكَتِفِ .

وَإِذْ رَأَى دَارْتَانِيَانِ ارْتِيَاكَ مِيلَادِي ، تَقَدَّمَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، لِيُسَاعِدَ
فِي تَخْلِيسِ الْفُسْتَانِ ، فَإِذَا عَلَى إِحْدَى كَتِفَيْهَا - وَقَدْ كَشَفَهَا
الْفُسْتَانُ الْمَمَزَّقُ - يَظْهَرُ شَيْءٌ مُدْهِلٌ ؛ فَلَمْ يَسْعَهُ إِلَّا أَنْ يَقِفَ
وَيَحْمِلَ دَهْشًا ؛ فَعَلَى جِلْدِ كَتِفِهَا الْأَبْيَضِ ، نُقِشَتْ عَلَامَةٌ زَهْرَةٌ
الرَّبِّيْقِ ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْإِدَانَةِ ، طَبَعَتْهَا مِكْوَاهُ الْجَلَادِ الْعَامِ .

اسْتَدَارَتْ مِيلَادِي ، وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، أَدْرَكَتْ أَنَّ دَارْتَانِيَانِ
اِكْتَشَفَ سِرَّهَا الرَّهِيْبَ - ذَلِكَ السِّرُّ الَّذِي أَخْفَتْهُ ، حَتَّى عَنْ
خَادِمَتِهَا .

صَاغَتْ مِيلَادِي قَائِلَةً ، وَمَا عَادَتْ امْرَأَةً ، بَلْ قِطْعَةٌ مَتَوَحِّشَةٌ :
« يَا لَكَ مِنْ وَغْدٍ ! لَقَدْ عَرَفْتُ سِرِّي ، سَأَقْتُلُكَ ! »

وَهَرَعَتْ إِلَى دَوْلَابٍ صَغِيرٍ وَسَطِ الْحُجْرَةِ ، وَفَتَحَتْ دُرْجًا بِيَدَيْنِ
مُرْتَجِفَتَيْنِ ، وَأَخْرَجَتْ خِنْجَرًا صَغِيرًا ذَا مِقْبَضٍ ذَهَبِيٍّ ، وَاسْتَدَارَتْ
فَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى دَارْتَانِيَانِ .

رَغْمَ شَجَاعَةِ دَارْتَانِيَانِ ، ارْتَجَفَ لِمَرَّهَا الْمُتَغَيِّرِ وَنَظَرَتِهَا الْوَحْشِيَّةِ ،
وَعَيْنَيْهَا اللَّتَيْنِ تَقْدَحَانِ بِالْشَّرِّ ، وَوَجْهَتَيْهَا الشَّاحِبَتَيْنِ ، وَشَقَتَيْهَا



الدَّامِيَتَيْنِ بَيْنَ أَسْنَانِهَا ، فَقَفَزَ إِلَى الْخَلْفِ ، وَكَأَنَّهُ يَتَحَاشَى قَفْزَةَ أَفْعَى
سَامَةً تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ .

لَمْ تَهْتَمْ مِيلَادِي بِالسَّيْفِ ، وَلَا بِالْفُسْتَانِ الْمُرْقِ ، وَلَا بِعَدَمِ
الْإِحْتِشَامِ لِكِتْفِهَا الْعَارِيَةِ ، بَلْ انْقَضَتْ عَلَى دَارْتَانِيَانِ بِخِنْجَرِهَا فِي
ضِرَاوَةٍ . وَلَمْ تَتَقَهَّقْ إِلَى الْخَلْفِ إِلَّا عِنْدَمَا شَعَرْتُ بِسِنِّ السَّيْفِ
الْحَادَّةِ فَوْقَ رَقَبَتِهَا . وَحَتَّى ذَلِكَ لَمْ يَفُتْ فِي عَضْدِهَا ، فَحَاوَلْتُ فِي
ثَوْرَتِهَا الْعَمِيَاءِ ، أَنْ تُمَسِكَ السَّيْفَ بِيَدِهَا الْعَارِيَةِ لِتَنْقُضَ عَلَى
غَرِيمِهَا ، وَلَكِنَّهُ خَلَصَ السَّيْفَ ، وَاحْتَفَظَ بِهِ مُسَلِّطًا ، إِمَّا عَلَى
رَقَبَتِهَا وَإِمَّا عَلَى عَيْنِهَا .

وَإِذِ اسْتَمَرَّتْ تَوَجُّهُ إِلَيْهِ الضَّرْبَاتِ ، دُونَ جَدْوَى ، صَرَخَتْ تَصَبُّ
اللَّعْنَاتِ فِي صَوْتٍ مُرْبِعٍ ، يُرْعِبُ أَيَّ رَجُلٍ عَادِيٍّ .

كَانَ كُلُّ هَذَا أَشْبَهَ بِمُبَارَزَةٍ . وَسَرَّعَانَ مَا تَمَالَكَ دَارْتَانِيَانِ نَفْسُهُ ،
فَأَجْبَرَ مِيلَادِي عَلَى التَّرَاجُعِ إِلَى خَلْفِ الْحُجْرَةِ بِبُطْءٍ ، عَلَى حِينِ
سَارَ هُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبَابِ . كَانَ كُلُّ هَدَفِهِ أَنْ يَهْرَبَ ، فَتَحَسَّسَ
خَلْفَهُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، وَأَمْسَكَ بِمِقْبِضِ الْبَابِ فَأَادَرَهُ ، وَرَكَلَ الْبَابَ
بِعَقِبِ قَدَمِهِ ، فَانْفَتَحَ . وَتَقَفَزَ وَاحِدَةً ، صَارَ خَارِجَ الْحُجْرَةِ ، وَأَعْلَقَ
الْبَابَ خَلْفَهُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ ، وَأَدَارَ الْمِفْتَاحَ فِي الْقِفْلِ .

أَعْمَدَ دَارْتَانِيَانِ سَيْفَهُ ، وَأَسْرَعَ يَهِيْطُ السَّلْمَ . وَوَقَفَ لِحُظَّةٍ فِي
مَدْخَلِ الْبَابِ الْخَارِجِيِّ ، لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ وَيَمْسَحَ الْعَرَقَ الْمُتَصَبِّبَ مِنْ
جَبِينِهِ . وَعِنْدَئِذٍ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَسْمَعَ صَرَخَاتِ مِيلَادِي ، وَصَوْتَ الْخِنْجَرِ
وَهِيَ تَطْعُنُ بِهِ الْبَابَ الْمُقْفَلَ ، طَعْنَاتٍ عَمِيَاءَ .

غَادَرَ دَارْتَانِيَانِ الْبَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفَ بِسُرْعَةٍ مُتَّجِهَا شَطْرَ
بَيْتِ آثُوسَ .

دَهَشَ آثُوسَ لِهَذِهِ الزَّيَارَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنْ دَارْتَانِيَانِ ، الَّذِي كَانَ
شَاغِبَ الْوَجْهِ مَهْمُومًا ، فَأَمْسَكَ آثُوسَ بِيَدَيْهِ ، وَسَأَلَهُ : « مَا
الْخَطْبُ ؟ هَلْ مَاتَ الْمَلِكُ ؟ هَلْ قَتَلْتَ الْكَارْدِينَالَ ؟ هَيَّا ، هَيَّا ،
أُخْبِرْنِي ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « اسْتَعِدْ لِصَدْمَةٍ ، يَا آثُوسَ ! »

قَالَ آثُوسَ ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ إِلَيْهِ كُرْسِيًّا : « مَا الْخَبَرُ ؟ »

تَرَدَّدَ دَارْتَانِيَانُ لِحُظَّةٍ ، ثُمَّ هَمَسَ بِقَوْلِهِ : « مِيلَادِي مَطْبُوعَةٌ عَلَى
كِتْفِهَا عَلَامَةُ زَهْرَةِ الزُّبُقِ . »

صَاحَ آثُوسَ بِدَهْشَةٍ : « مَاذَا ؟ »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « أَنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِمَّا أُخْبِرْتَنِي بِهِ ذَاتَ مَرَّةٍ مِنْ

أَنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ - تِلْكَ الْمَرْأَةَ ذَاتَ الْعَلَامَةِ ، زَوْجَتَكَ ، قَضَيْتَ نَجَبَهَا
حَقِيقَةً ؟»

تَنَهَّدَ آثُوسَ عَمِيقًا ، وَأَسْقَطَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَشَرَّدَ فِكْرَهُ لِبَضْعِ
لِحَظَاتٍ .

وَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ ، لَاحَظَ دَارْتَانِيَانِ أَنَّ كُلَّ أُمَارَاتِ الْحُزَنِ وَالْأَسَى ،
قَدْ حَلَّ مَحَلَّهَا نَظْرَةٌ قُوَّةً بَارِدَةً .

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « إِنَّهَا امْرَأَةٌ فِي حَوَالِي السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
عُمْرِهَا ، وَلَكِنَّهَا تَبْدُو أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ . »

قَالَ آثُوسَ : « أَلَيْسَتْ جَمِيلَةً ؟ »

« بَلَى ، هِيَ جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ! »

« وَذَاتُ عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ ، وَأَهْدَابٍ طَوِيلَةٍ وَحَاجِبَيْنِ
دَاكِنَيْنِ ؟ »

« نَعَمْ . »

« طَوِيلَةُ الْقَامَةِ وَبَضَّةُ الْقَوَامِ ؟ »

« نَعَمْ . »

« وَزَهْرَةُ الزَّبَقِ صَغِيرَةٌ ، وَرَدِيَّةُ اللَّوْنِ ، وَتَبْدُو وَكَأَنَّ جُهْدًا قَدْ بَدَلَ

لِرَأْسِهَا ؟ »

« نَعَمْ . »

قَالَ وَكَأَنَّ فِكْرَةً مُفَاجِئَةً قَدْ طَرَأَتْ بِبَالِهِ : « وَلَكِنَّكَ قُلْتَ إِنَّهَا
إِنْجِلِيزِيَّةٌ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « يُنَادُونَهَا مِيلَادِي ، وَرَعْمَ ذَلِكَ فَمِنْ الْعَجَائِزِ جِدًّا
أَنْ تَكُونَ فَرَنْسِيَّةً ؛ فَهِيَ تَتَكَلَّمُ الْفَرَنْسِيَّةَ بِطَلَاقةٍ . وَمَعَ كُلِّ ، فَلَيْسَ
الْلُّورْدُ وَيُشْتَرِ إِلَّا شَقِيقَ زَوْجِهَا . »

« إِنَّهَا هِيَ - زَوْجَتِي . وَكُنْتُ أَظُنُّهَا مَلَأَتْ . سَأَزُورُهَا . »

« حَذَارِ يَا آثُوسَ ! إِنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ . أَرَأَيْتَهَا
ثَائِرَةً ، فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ؟ »

قَالَ آثُوسَ : « لَا . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « إِنَّهَا وَشَقَّةٌ بَرِيَّةٌ ، أَوْ نَمِرَةٌ ! » ثُمَّ رَوَى كُلُّ مَا
حَدَّثَ .

وَأَسْتَطَرَدَ يَقُولُ : « أَقْسِمُ بِشَرَفِي ، لَوْ عَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَزَالُ حَيًّا ،
فَلَنْ تُسَاوِيَ حَيَاتُكَ عِنْدَهَا شَيْئًا . وَلَكِنَّ الْحَظَّ أَنَّنَا سَتَخَادِعُ بَارِيسَ
بَعْدَ غَدٍ . »

رَدَّ آثُوس قَائِلًا : « أَ تَظُنُّ أَنَّ الْحَيَاةَ تَعْنِي الْكَثِيرَ بِالنِّسْبَةِ لِي ؟ »

« يُحِيطُ بِهَا لُغْزٌ جَدِيدٌ . مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا إِحْدَى جَوَاسِيسِ

الكَارْدِينَالِ . »

قَالَ آثُوس : « فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عَلَيْكَ بِمَزِيدٍ مِنَ الْحَذَرِ ؛ إِذْ لَمْ يَنْسَ الْكَارْدِينَالُ مَوْضُوعَ مَاسَاتِ الْمَلِكَةِ . وَإِنْ خَرَجْتَ ، فَلَا تَخْرُجْ وَحْدَكَ . وَعِنْدَمَا تَأْكُلُ فَخُذْ كُلَّ الْإِحْتِيَاظَاتِ . لَا تَتَّقِ بِأَيِّ شَيْءٍ ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ ظِلُّكَ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « لِحُسْنِ الْحِظِّ ، لَيْسَتْ هَذِهِ الْإِحْتِيَاظَاتُ ضَرُورِيَّةً ؛ إِذْ سَنَكُونُ غَدًا فِي طَرِيقِنَا لِلانْضِمَامِ إِلَى الْقَوَّاتِ ، قُرْبَ رُوشِيلِ . وَهُنَاكَ ، كَمَا أَرْجُو ، لَنْ يَكُونَ غَيْرُ الرِّجَالِ لِنَخَافَهُمْ . »

قَالَ آثُوس : « وَرَغْمَ ذَلِكَ ، دَعْنِي أَصْحَبَكَ إِلَى بَيْتِكَ . »

عِنْدَمَا خَرَجَا ، بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ ، أَمَرَ آثُوسُ خَادِمَهُ جَرِيمُو بِأَنْ يُحْضِرَ بَنْدُوقِيَّتَهُ ، وَيَتَّبِعَهُمَا عَلَى بُعْدٍ بِضَعِ خُطَوَاتِ مِنْهُمَا .

الفصل السابع عشر

دارتانيان يُطْلِقُ الْعِنَانَ لِقَدَمَيْهِ

فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ لِلْيَوْمِ التَّالِيِ ، اسْتَعْرَضَ لُويسُ الثَّلَاثَ عَشَرَ فُؤَادَهُ الْمُخْتَارَةَ لِمُهَاجِمَةِ مِينَاءِ رُوشِيلِ .

مِنْ سَنَوَاتٍ خَلَتْ كَانَ الْأَهْلُونَ مُشَاغِبِينَ وَمَصْدَرًا لِقَلَقِ الْكَارْدِينَالِ . وَبِسَبَبِ عَدَمِ وِفَاءِ السُّكَّانِ وَدَسَائِسِهِمْ ضِدَّ أَنْصَارِ الْمَلِكِيَّةِ ، جَاءَتْ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَعْدَادُ ضَخْمَةٍ مِنَ الْمُنْشَقِّينَ وَالْمُفَامِرِينَ وَالْجُنُودِ الْمُتَرْقَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْجَنَسِيَّاتِ . وَوَجَدَ أَعْدَاءُ قَرْنَسَا لُرُحِييَا مُسَبِّقًا ، وَمَأْوَى آمِنًا دَاخِلَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ . وَفَضْلًا عَنْ هَذَا ، كَانَتْ رُوشِيلُ آخِرَ مِينَاءٍ مَفْتُوحٍ أَمَامَ الْإِنْجِلِيزِ ، الَّذِينَ اعْتَبَرَهُمُ الْقَرْنِيسِيُّونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَعْدَاءَهُمُ الْحَقِيقِيِّينَ .

وَلِمُسَاعَدَةِ سَكَّانِ رُوشِيلِ فِي مُقَاوَمَةِ أَيِّ هُجُومٍ تَقُومُ بِهِ الْقَوَّاتُ الْمَلِكِيَّةُ ، وَعَدَّهُمُ الْإِنْجِلِيزُ ، أَوْ عَلَى الْأَصَحِّ ، وَعَدَّهُمْ دُوقُ

بكنجهام ، الذي هو ألد أعداء الكاردينال ، بتقديم كل عون .
 فلما علم لويس الثالث عشر أن بكنجهام قد أرسل قوة قوامها
 تسعون سفينة تحمل عشرين ألف رجل ، نزلوا على جزيرة ري أمام
 حصن روشيل المحاصر ، ما عاد يشك في كلام الكاردينال ، بأن
 ثمة خطراً حقيقياً يحدق بمملكة فرنسا . وقرر إرسال جيش من
 الرجال المختارين لإخضاع المتمردين ، إلى الأبد ، وأن يقود الهجوم
 بنفسه بمساعدة الكاردينال .

رغم هذا ، لم يغادر الملك باريس بالقوة الرئيسية ، فاضطر
 حرسه - أي الفرسان - إلى البقاء معه ، الأمر الذي استاء منه
 الأصدقاء الأربعة أشد استياء . وما إن انتهى استعراض الملك
 لقواته ، حتى تحركت القوات ، تتقدمها فرقة حرس الملك ، التي
 يتبعها دارتانيان ، ميممة شطر الشاطئ الغربي .

ركب الفسقوني الصغير مزهواً ، مع رفقاته ، وهو شارد الفكر
 تماماً ، ومن ثم لم يلاحظ ميلادي وهي تمتطي جواداً جميلاً
 كستنائي اللون . ووقفت في موضع يمكنها منه أن ترى الجنود
 يوضوح ، وهم يمرون . وكان يقربها رجلان يركبان جوادين قويين
 أيضاً ، فأومأت لهما برأسها عندما أشار أحدهما إلى دارتانيان .
 وكان من المؤكد أن هذين الرجلين لن يعجزا عن التعرف على

دارتانيان مرة أخرى . ثم أصدرت إليهما تعليمات خاصة ، بصوت
 هادئ صادق العزم . وركب الرجلان بعد ذلك ، متخذين نفس
 الاتجاه الذي تسير فيه القوات .

ووقفت القوات على مرأى من روشيل ، وأقامت معسكرها
 انظاراً لقدم الملك . وإذا انفصل دارتانيان عن أصدقائه الثلاثة ،
 وجد لديه متسعاً من الوقت للتفكير في هدوء ؛ فمند مجيئه إلى
 باريس ، اكتسب خبرات كثيرة . فاتخذ أربعة أصدقاء أوفياء ، إذ
 هو بطبيعة الحال يعتبر السيد دي تريفي صديقاً حميماً .

بيد أنه عندما شرع يفكر في أمر مستقبله ، لم يجد سوى
 الأفكار الكثيرة . ويقدر ما يستطيع أن يرى ، وهو الشخص غير ذي
 المكانة ، رأى أنه عادي الكاردينال ؛ وهو الرجل الذي يرتجف أمامه
 أعظم رجالات المملكة ؛ فيوسع الكاردينال أن يسحقه ، إلا أنه ،
 ولسبب خفي ، لم يفعل . أما عدوه الآخر - ميلادي ، فكان خوفه
 منها أقل من خوفه الكاردينال . ورغم هذا ، أحس بأنها عدو لا
 يمكن الاستهانة به .

تأمل دارتانيان في هذه الأفكار ، وهو جالس إلى نفسه ، فأخذ
 يسير وئيداً في الطريق الموصل من المعسكر إلى القرية المجاورة ، في
 جو المساء البارد . وبالقرب من المعسكر ، جذبت انتباهه حركة

بَسِطَةً لِّشَيْءٍ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُ . وَتَأَلَّقَ هَذَا الشَّيْءُ تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ ، وَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَمَحَ مَسُورَةَ بُنْدُقِيَّةٍ .

وَكَانَ دَارْتَانِيَانِ يَمْتَارُ بِسُرْعَةِ اللَّمَاحَةِ وَالْفَهْمِ . وَكَانَ مِنَ الْجَلِيِّ أَنَّ الْبُنْدُقِيَّةَ لَمْ تَصِلْ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ وَحْدَهَا ، وَلَمْ يَخْتَبِئِ الشَّخْصُ الَّذِي يُمَسِّكُهَا ، خَلْفَ الْأَعْشَابِ لِقَصْدِ طَيْبٍ . وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا ، تَقْرِيْبًا ، أَبْصَرَ مَسُورَةَ بُنْدُقِيَّةٍ أُخْرَى تَبْرُزُ مِنْ وَرَاءِ صَخْرَةٍ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الطَّرِيقِ .

كَانَ مِنَ الْجَلِيِّ أَنَّ هَذَا كَمِينَ .

نَظَرَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْبُنْدُقِيَّةِ الْأُولَى ، فَرَأَاهَا تُصَوِّبُ نَحْوَهُ بِطُءٍ ، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ شَاهَدَهَا ثَبَّتَتْ لَا تَتَحَرَّكُ ؛ انْبَطَحَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَبَعْدَ هُنِيْهَةٍ ، أَطْلَقَتِ الْبُنْدُقِيَّةَ ، وَمَرَّتِ الطَّلَقَةُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ . وَعَمِلَ دَارْتَانِيَانِ عَلَى عَدَمِ ضِيَاعِ لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَهَبَّ مُنْتَصِبًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَقَفَزَ جَانِبًا . وَعَلَى الْفَوْرِ أَطْلَقَتِ الْبُنْدُقِيَّةُ الثَّانِيَّةُ ، وَأَصَابَتِ الطَّلَقَةُ الْأَرْضَ الَّتِي كَانَ مُنْبَطِحًا فَوْقَهَا .

لَمْ يَكُنْ دَارْتَانِيَانِ لِيَسْعَى إِلَى مَوْتِ تَافِهِ ؛ كَيْ يُقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَتَّقَهَقَرُ خُطُوَةً وَاحِدَةً ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الشَّجَاعَةَ هُنَا لَيْسَتْ جَدِيرَةً بِالْإِعْتِبَارِ . لِذَا فَقَدْ أَطْلَقَ دَارْتَانِيَانِ الْعِنَانَ لِسَاقِيهِ مُتَّجِهًا نَحْوَ

الْمَعْسَكِ ، بِأَسْرَعِ مَا تَسْتَطِيعُ قَدَمَاهُ أَنْ تَفْعَلَ . غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَطْلَقَ أَوَّلَ طَلَقَةٍ ، سَرَعَانَ مَا شَحَنَ بُنْدُقِيَّتَهُ مَرَّةً أُخْرَى . وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، كَانَ تَسْدِيدُهَا نَحْوَ الْهَدَفِ أَدَقُّ مِنَ الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ ، فَأَصَابَتِ الطَّلَقَةُ قُبْعَةَ دَارْتَانِيَانِ وَأَطَارَتْهَا لِمَسَافَةٍ عِدَّةٍ خُطَوَاتٍ بَعِيدًا عَنْهُ . وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ سِوَى قُبْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ خَاطَرَ بِالتَّوَقُّفِ لِيَلْتَقِطَهَا . وَلِحُسْنِ حَظِّهِ لَمْ تُطْلَقْ طَلَقَةٌ أُخْرَى .

وَصَلَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى الْمَعْسَكِ مُمْتَقِعِ اللَّوْنِ ، مَبْهُورِ الْأَنْفَاسِ . وَذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى خِيَمَتِهِ دُونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لِأَيِّ فَرْدٍ ، بَلْ جَلَسَ وَحْدَهُ ، وَأَمْسَكَ قُبْعَتَهُ ، وَأَخَذَ يَفْحَصُ بِعِنَايَةٍ ذَلِكَ الثَّقَبَ الَّذِي أَحْدَثَتْهُ الطَّلَقَةُ . لَمْ يَكُنِ الثَّقَبُ بِطَلَقَةٍ حَرْبِيَّةٍ ، لِذَا فَلَمْ يَكُنْ هَذَا كَمِينًا نَصَبَهُ الْعَدُوُّ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنَّ الْكَارْدِينَالَ يَلْجَأُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْإِجْرَاءِ الدَّنِيِّ الْمَشْكُوكِ فِيهِ ، لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ أَوْ مِنْ أَيِّ عَدُوٍّ آخَرَ .

مِنَ الْجَائِزِ جِدًّا ، أَنْ تَكُونَ مِيلَادِي قَدْ اسْتَأْجَرَتْ هَذَيْنِ الْوَعْدَيْنِ لِتَنْفِيذِ انْتِقَامِهَا ، فِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ مُنَاسِبَةٍ . حَاوَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَلَاحِيَهُمَا ، أَوْ مَلَابِسَهُمَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ قَدْ انْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ فَلَمْ يَلَاظِهُمَا .

أَمَرَ دَارْتَانِيَانِ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، بِوَضْعِ الْحِرَاسَةِ عَلَى خِيَمَتِهِ ،

وَبَقِيَ هُوَ دَاخِلَهَا مُعْتَذِرًا بِأَنَّهُ مُتْعَبٌ لِلْغَايَةِ وَبِحَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ
وَالْهُدُوءِ .



فَوَافَقَ دَارْتَانِيَانِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، الَّذِينَ أَبَدُوا رَعْبَتَهُمْ بِدُونِ
تَرَدُّدٍ .

كَانَتْ حَامِيَّةُ رُوشِيلَ قَدْ شَتَّتْ هَجْمَةً فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ، وَاسْتَعَادَتْ
الْقَلْعَةَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الْقَوَاتُ الْمَلَكِيَّةُ قَبْلَ ذَلِكَ بِبِضْعَةِ أَيَّامٍ .

كَانَتْ مُهِمَّةُ دَارْتَانِيَانِ فَحْصَ تِلْكَ الْقَلْعَةِ عَنْ قُرْبٍ ، وَمَعْرِفَةَ
كَيْفِيَّةِ حِرَاسَةِ الْعَدُوِّ لَهَا .

خَرَجَ دَارْتَانِيَانِ مَعَ رِفَاقِهِ الْأَرْبَعَةِ ، الْحَارِسَانِ عَلَى جَانِبَيْهِ ،
يَتَّبِعُهُمَا الْجُنْدِيَّانِ ، فَسَارُوا مُتَخَفَيْنِ دَاخِلَ خَنْدَقٍ ، حَتَّى صَارُوا عَلَى
مَسَافَةِ مِئَةِ مِثْرٍ مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَتَوَقَّفُوا لِكَيْ يَنْصَبُوا وَيَنْظُرُوا مَا فَوْقَ
جَانِبِ الْخَنْدَقِ الَّذِي يَحْمِيهِمْ ؛ فَاكْتَشَفَ دَارْتَانِيَانِ أَنَّ الْجُنْدِيَّيْنِ
لَيْسَا خَلْفَهُ ، فَصَرَخَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا : « يَا لَهُمَا مِنْ جَبْنَاءَ ! رُبَّمَا
نَكَصَا عَلَى أَعْقَابِهِمَا . »

وَاسْتَدَارُوا حَوْلَ زَاوِيَةٍ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُمْ ، فَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى
مَسَافَةِ خَمْسِينَ مِثْرًا مِنْ هَدَفِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا . وَبَدَتْ
الْقَلْعَةُ مَهْجُورَةً ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يُقَرَّرُوا مَا إِذَا كَانُوا يَسْتَمِرُّونَ فِي
تَقَدُّمِهِمْ أَوْ يَمْكُثُونَ وَيُرَاقِبُونَ ، مَرَّتَ اثْنَتَا عَشْرَةَ قَذِيفَةً تَصْفِرُ إِلَى
جَانِبِ الثَّلَاثَةِ .

الفصل الثامن عشر

مُهْمَّةُ خَطَرَةٍ تَأْتِي بِنَتَائِجٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ

بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَلِيلٍ ، قَامَ دُوقُ دُورْلِيَانِ ، الَّذِي يَقُودُ الْقَوَاتِ
الْفَرَنْسِيَّةَ أَمَامَ رُوشِيلَ فِي غِيَابِ الْمَلِكِ ، وَيَقُومُ بِالتَّفْتِيشِ عَلَى
الْمَعْسَكِ ، وَأَقْرَبَ كُلِّ شَيْءٍ رَأَاهُ ، وَأَثْنَى بِخَيْرِ بَنُوعٍ خَاصٍّ عَلَى السَّيِّدِ
دِيسَارَ رَئِيسِ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ .

إِتَّجَهَ دُوقُ دُورْلِيَانِ نَحْوَ الْجُنُودِ ، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ قَائِلًا : « أَرِيدُ ثَلَاثَةَ
أَوْ أَرْبَعَةَ مُتَطَوِّعِينَ مَعَ قَائِدٍ قَدِيرٍ ، لِلإِضْطِلَاعِ بِمُهْمَّةٍ خَطَرَةٍ . »

قَالَ السَّيِّدُ دِيسَارُ ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى دَارْتَانِيَانِ : « هَا هُوَ ذَا الرَّجُلُ
الَّذِي يَقُودُهُمْ ، يَا سَيِّدِي . »

تَقَدَّمَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى الْأَمَامِ ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ قَائِلًا : « هَلْ مِنْ أَرْبَعَةِ
رِجَالٍ يُخَاطِرُونَ بِحَيَاتِهِمْ مَعِي ؟ »

تَقَدَّمَ إِلَى الْأَمَامِ اثْنَانِ مِنَ الْحَرَسِ ، وَتَبِعَهُمَا مُبَاشَرَةً جُنْدِيَّانِ ،

وَعَرَفُوا مِنْ هَذَا كُلِّ مَا أَرَادُوا مَعْرِفَتَهُ ؛ فَالْقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ ،
فَتَقَهَّقُوا إِلَى الْخَلْفِ فِي الْحَالِ .

وَحِينَ انْعَطَفُوا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْخَنْدَقِ ، سَقَطَ أَحَدُ أَفْرَادِ الْحَرَسِ
صَرِيحًا ؛ إِذْ أَصَابَتْهُ قَذِيفَةٌ فِي صَدْرِهِ ، عَلَى حِينِ كَانَ الْآخِرُ سَلِيمًا
مُعَافَى ، وَلَمْ يُصَبَّ بِسُوءٍ ، فَاسْتَأْنَفَ سِيرَهُ عَائِدًا إِلَى الْمَعَسِكَرِ
بِأَفْصَى مَا أُوتِيَ مِنْ سُرْعَةٍ .

وَإِذْ انْكَبَّ دَارْتَانِيَانِ عَلَى الْحَارِسِ الْمَصَابِ لِإِسْعَافِهِ ، انْطَلَقَتْ
قَذِيفَتَانِ أُخْرَيَانِ ، أَصَابَتْ إِحْدَاهُمَا رَأْسَ الْمَصَابِ ، وَأَصَابَتْ الْأُخْرَى
جَانِبَ الْخَنْدَقِ ، بِجَوَارِ دَارْتَانِيَانِ .

كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ - بِنَاءً عَلَى اتِّجَاهِ الْقَذِيفَتَيْنِ - أَنَّهُمَا لَا
يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَا مِنَ الْقَلْعَةِ . وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، تَذَكَّرَ دَارْتَانِيَانِ
الْجُنْدِيَيْنِ اللَّذَيْنِ حَاوَلَا الْاِعْتِدَاءَ عَلَى حَيَاتِهِ فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ السَّابِقِ ؛
فَاعْتَزَمَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَنْ يَكْتَشِفَ أَمْرَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . فَوَقَعَ فَوْقَ
جِسْمِ الْحَارِسِ الصَّرِيحِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَصِيبَ هُوَ نَفْسَهُ .

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى ظَهَرَ رَأْسَانِ حَوْلَ زَاوِيَةِ جَانِبِ
الْخَنْدَقِ ، وَكَانَا رَأْسَي الْجُنْدِيَيْنِ . لَمْ يُخْطِئِ دَارْتَانِيَانِ فِي حَدْسِهِ ؛ إِذْ
انْتَهَزَ الرَّجُلَانِ فُرْصَةَ الْخُرُوجِ مَعَ دَارْتَانِيَانِ ؛ أَمِلِينَ فِي أَنَّهُمَا إِنَّ قِتْلَاهُ

بَدَأَ أَنَّ الْعَدُوَّ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ، وَإِذَا جُرِحَ ، أَتَاهُمَا فِيمَا بَعْدَ ، وَلِذَا
تَقَدَّمَا نَحْوَهُ لِيَتَأَكَّدَا مِمَّا حَدَّثَ لَهُ . وَلَكِنْ ، لِسُوءِ حَظِّهِمَا ،
خَادَعَتْهُمَا حِيلَةُ دَارْتَانِيَانِ ؛ إِذْ لَمْ يُعِيدَا شَحْنَ بِنْدَقَيْتَيْهِمَا . وَكَانَ
دَارْتَانِيَانِ قَدْ احْتَاطَ أَلَّا يَتْرَكَ سَيْفَهُ ، فَلَمَّا صَارَا عَلَى مَقَرَّةٍ
بِضَعِ خُطَوَاتِ مِنْهُ ، هَبَّ وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ .

وَأَدْرَكَ الْقَاتِلَانِ عَلَى الْفَوْرِ ، أَنَّهُ مِنَ الْعَبَثِ أَنْ يَفِرَّ إِلَى الْمَعَسِكَرِ
دُونَ أَنْ يَنَالَا مِنْهُ ، فَإِنْ أَخْفَقَا فِي ذَلِكَ انْضَمَّ إِلَى قُوَاتِ الْعَدُوِّ .

وَهَوَى أَحَدُهُمَا بِنِدْقِيَّتِهِ عَلَى دَارْتَانِيَانِ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا تَحَاشَى
الضَّرْبَةَ الْهَائِلَةَ بِأَنْ قَفَرَ جَانِبًا بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ ، تَارِكًا بِعَمَلِهِ هَذَا مَمْرًا
لِلْجُنْدِيِّ الْآخَرِ ، الَّذِي اُنْدَفَعَ هَارِبًا فِي اتِّجَاهِ الْقَلْعَةِ ، فَأُطْلِقَ حُرَاسُ
الْقَلْعَةِ النَّارَ ظَانِّينَ إِيَّاهُ جُنْدِيًّا مَلَكِيًّا ، فَسَقَطَ وَقَدْ خَلَعَتْ كَتِفُهُ .

فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ ، هَجَمَ دَارْتَانِيَانِ عَلَى الْجُنْدِيِّ الْآخَرِ ، فَلَمْ
يَسْتَغْرِقِ الْقِتَالُ مَعَهُ سِوَى بَضْعِ لِحَظَاتٍ ، خَرَّ بَعْدَهَا الْجُنْدِيُّ بِضَرْبَةِ
سَيْفٍ فِي فَخِذِهِ .

صَاحَ الْجُنْدِيُّ مُسْتَرْحِمًا حِينَ سَلَّطَ دَارْتَانِيَانِ طَرْفَ سَيْفِهِ عَلَى
رَقَبَتِهِ ، قَائِلًا : « لَا تَقْتُلْنِي ! اصْفَحْ عَنِّي ! سَامِحْنِي ، وَسَاعَتْرِفْ لَكَ
بِكُلِّ شَيْءٍ . »

قال دارتانيان : « لماذا ؟ هل سِرُّكَ عَظِيمٌ الأَهميَّةُ بِحَيْثُ يَمْنَعُنِي قَتْلُكَ ؟ »

« أَجَلُ ، إِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الحَيَاةَ تُساوي شَيْئًا لِشَابٍّ شُجاعٍ وَوَسِيمٍ مِثْلِكَ . »

صاح دارتانيان : « يا لَكَ مِنْ وَغْدٍ ! تَكَلِّمْ في الحالِ ! مَنْ الَّذِي اسْتَأْجَرَكَ لِقَتْلِي ؟ »

« لَا أَعْرِفُ مَنْ هِيَ ، سِوَى أَنَّهَا تُدْعَى ميلادي . »

« إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهَا ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ اسْمَهَا ؟ »

« خَاطَبَهَا صَدِيقِي بِهَذَا الاسْمِ ، وَهُوَ الَّذِي اتَّفَقَ مَعَهَا . وَالوَاقِعُ أَنَّ فِي جَيْبِهِ خِطَابًا مِنْهَا . »

« كَيْفَ اشْتَرَكْتَ في هَذَا العَمَلِ ؟ »

« اقْتَرَحَ عَلَيَّ زَمِيلِي أَنْ أَنْضِمَ إِلَيْهِ ، فَوَاقَفْتُ . »

« مَاذَا كُنْتَ سَتَرَبِحَ بِعَمَلِكَ هَذَا ؟ »

« مِئَةُ لُويِس^(١) نَقَّسِمُهَا فِيمَا بَيْنَنَا . »

(١) اللويس عُمْلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فَرَنَسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ ، حُلَّ مَحَلِّهَا الْوُتُو في سنة ١٧٩٥ .



قال دارتانيان ضاحكاً : « إِذَا فَهِيَ تَعْتَقِدُ أَنِّي أَساوي شَيْئاً ! مِثْلُ
لُؤَيْسِ إِغْرَاءَ قَوِيٍّ لِخَسِيسِينَ مِنْ أَمْثَالِكُمَا . رَغْمَ هَذَا ، سَأَبْقِي عَلَى
حَيَاتِكَ ، بِشَرْطِ وَاحِدٍ . »

سأله الجُنْدِيُّ بِقَلْبِي : « مَا هُوَ ؟ »

« أَنْ تَذْهَبَ وَتَحْضِرَ الْخِطَابَ الَّذِي تَدْعِي أَنَّهُ فِي جَيْبِ زَمِيلِكَ . »
صاح : « لا ، لا ، لا ! لَيْسَ هَذَا سِوَى طَرِيقَةٍ أُخْرَى لِقَتْلِي ! سَيُطْلَقُ
جُنُودُ الْقَلْعَةِ النَّارَ عَلَيَّ ، أَنَا أَيْضاً . »
« هَيَّا ! فَكَّرْ فِي الْأَمْرِ . اذْهَبْ وَأَحْضِرِ الْخِطَابَ ، وَإِلَّا دَفَعْتُ
سَيْفِي فِي جِسَدِكَ . »

صاح الرَّجُلُ جَانِياً : « اُعْفُ عَنِّي ، يَا سَيِّدِي ! أَشْفَقُ عَلَيَّ ! »

صاح دارتانيان وَهُوَ يَهْجُمُ عَلَى الرَّجُلِ بِوَحْشِيَّةٍ : « لَا بُدَّ لِي مِنْ
ذَلِكَ الْخِطَابِ . »

صاح الرَّجُلُ مَدْعُوراً مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ آخِرَ لَحْظَةٍ فِي
عُمُرِهِ : « سَأَذْهَبُ ، سَأَذْهَبُ . »

زَحَفَ الرَّجُلُ الْجَرِيحُ نَحْوَ زَمِيلِهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ فَرَقاً مِنَ الْمَوْتِ ؛ فَلَمَّا
أَبْصَرَ دَارْتَانِيَانَ الرَّعْبَ يُطِلُّ مِنْ عَيْنِي ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَالْدَّمُ الَّذِي

يَنْزِفُ مِنْهُ ؛ أَشْفَقَ عَلَيْهِ .

قال دارتانيان وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ شَزْراً : « قِفْ ، سَأُرِيكَ الْفَرْقَ بَيْنَ
الشُّجَاعِ وَالْجَبَانِ . اِبْقَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَسَأَحْمِلُ عَنْكَ عِبَاءَ هَذِهِ
الْمَخَاطَرَةِ . »

أَخَذَ دَارْتَانِيَانُ يُرَاقِبُ بِحَذَرٍ حَرَكَةَ الْحُرَاسِ ، مُتَّخِذاً مِنَ الْحُفْرِ
وَالصُّخُورِ سَاتِراً لَهُ ، حَتَّى وَصَلَ فِي أَمَانٍ إِلَى حَيْثُ يَرُفُّدُ الْجُنْدِيُّ
الثَّانِي .

كَانَ عَلَى دَارْتَانِيَانَ أَنْ يَعْمَلَ أَحَدَ شَيْئَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُفْتَشَّ الرَّجُلَ
حَيْثُ هُوَ ، وَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَعُودَ بِهِ ، مُتَّخِذاً إِيَّاهُ دِرْعاً ، ثُمَّ يُفْتَشَّهُ
فِي الْخَنْدَقِ .

وَبِدُونِ تَرَدُّدٍ ، قَرَّرَ دَارْتَانِيَانُ الْخُطَّةَ الثَّانِيَةَ . وَبَعْدَ أَنْ رَفَعَ الرَّجُلَ
عَلَى كَتِفِيهِ ، بِلَحْظَةٍ ، أَطْلَقَ الْحُرَاسُ النَّارَ .

شَعَرَ دَارْتَانِيَانُ بِثَلَاثِ طَلَقَاتٍ ، عَلَى الْأَقْلَ ، تُصِيبُ الرَّجُلَ ،
وَبِذَا انْقَدَّتْ حَيَاتُهُ مَنْ كَانَ سَيَفْقِدُهُ إِيَّاهَا .

عَادَ دَارْتَانِيَانُ إِلَى الْخَنْدَقِ سَلِيماً ، فَأَنْزَلَ الْجُثَّةَ ، وَفَتَشَ فِي
جُيُوبِهَا .

وَجَدَ دَارْتَانِيَانَ الْخِطَابَ فِي جَيْبٍ دَاخِلِيٍّ ، فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا بِهِ :

لا تترك ذلك الرجل ، إذ لو تركته ، فأنت تعرف
أن يدي تمتد إلى مسافة بعيدة ، وأنتك ستدفع
الثمن غاليا نظير المنة لويس ، التي أخذتها مني

لم يكن بالخطاب توقيع ، إلا أنه لم يكن ثمة شك في أن
المرسل هو ميلادي . طوى دارتانيان هذا الخطاب ووضعه بعناية في
جيبه ، إذ هو دليل مادي قوي لإدانتها .

استدار دارتانيان نحو الرجل الجريح ، ومد إليه يده قائلاً : « هيا ،
لا يمكنني أن أدعك هنا بحالتك هذه . اتكئ على ذراعي ، وهيا
بنا نعد إلى المعسكر . »

جثا الرجل على ركبتيه ، وأنحنى ليقبل قدمي دارتانيان ، متوسلاً
إليه : « أشفق علي ! إنك ستعود بي إلى المعسكر ليشنقوني ! دعني
أمت هنا ! رحماك بي ! »

قال دارتانيان غاضباً من فرط جبن الرجل : « إنهض ، فقد
حصلت على وعدي . للمرة الثانية ، سأبقي على حياتك . »

وصل الحارس الآخر إلى المعسكر بسلام ، وأعلن عن موت
الأربعة الآخرين من قريته . ولذا فقد دهش من بالمعسكر دهشة
بالغة ، وابتهجوا عندما شاهدوا دارتانيان يعود سليماً معافى .

حكى دارتانيان أنهم هاجموا العدو فيما بعد للحصول على
مزيد من المعلومات ، وأن العدو تمكن من قتل اثنين ، وجرح
الجندي الذي عاد معه .

أثنى الجيش كله على دارتانيان ثناءً عظيماً ، ولم يكن ثمة
حديث طوال ذلك اليوم إلا في هذا الموضوع . وحتى دوق
دورليان ، امتدحه بحرارة بعد أن سمع تقريره .

والآن ، وقد قتل أحد أعداء دارتانيان ، وصار كل همّ عدوه
الآخر ، هو أن يكون في خدمة دارتانيان ، أحس هذا الأخير براحة
بال عظيمة .

وقد أثبتت راحة البال هذه ، أن دارتانيان أساء الحكم على
ميلادي .

لك اثنتي عشرة راحة منه : ففعلت .

« وتفضل ، يا سيدي ، بقبول عظيم الاحترام .

« فادلك المتواضع المطيع

هــوـوـو .

صاح دارتانيان قائلاً : « هذا رائع ! لقد فكروا في أثناء مسراتهم ، مثلما فكرت فيهم أثناء متاعبي ، إلا أنني لن أشرب نخبهم وحدي .

أسرع دارتانيان ، من فورهِ ، يبحث عن اثنين بذاتهما من رجال الحرس ، كان على صلة جد طيبة بهما . كان أحدهما في نوبته هذه الليلة ، والآخر نوبته في الليلة التالية . فاتفقوا على أن يتناولوا العشاء معاً في الليلة التالية لنوبة الثاني ، ويشربوا نخب أصدقائهم الغائبين .

عهد دارتانيان بزجاجات العصير الاثنتي عشرة ، إلى خادمه بلانشيه ، وأصدر إليه التعليمات بإعداد عشاء خاص .

ابتهج بلانشيه ، وبدأ يعمل بنفس راضية ، على ثقة بأن سيده لا بد سيُعْطيه كأساً من العصير . وكان يُساعده في هذا العمل الجندي الزائف ، الذي كان ، في ذلك الوقت ، في خدمة

الفصل التاسع عشر

عصير أنجو

تعاقت الأيام ، ولم يصل الملك بعد ، كما كان متوقعاً ، ويبدو أنه أصيب بوعكة بسيطة ، أدت إلى هذا التأخير .

استمر دارتانيان في عمله هائئ البال ، كما هي الحال عندما ينجو إنسان من خطر مُحْدِق ، غير أن كل ما كان يقلقه هو عدم ورود أخبار عن أصدقائه الثلاثة .

وكم كانت فرحته عظيمة ، عندما تسلم الخطاب التالي بعد بضعة أسابيع :

« السيد دارتانيان

« تشرفت بدعوة السادة اثوس وپورثوس وأراميس إلى منزلي لتناول الشراب ، وقد أعجبه هؤلاء كثيراً بعصير أنجو ، حتى إنهم طلبوا مني أن أرسل

دارتانيان . كَمَا حَصَلَ عَلَى مُسَاعَدَةِ قُورُو خَادِمِ أَحَدِ الضَّيْفَيْنِ .

وَحَانَ وَقْتُ الْعِشَاءِ ، فَاتَّخَذَ الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ أَمَاكِنَهُمْ ، وَصَفَّتِ
الْأَطْبَاقُ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَقَامَ بِلَانْشِيهِ بِالْخِدْمَةِ ، وَفَتَحَ قُورُو زُجَاجَاتِ
العَصِيرِ ، وَصَبَّ الْجُنْدِيُّ بَرِيزْمُونِ الْعَصِيرِ فِي الْكُتُوسِ . وَرَجَّ قُورُو
أَوَّلَ زُجَاجَةٍ عِنْدَ فَتْحِهَا ، فَإِذَا بِالْعَصِيرِ عَكِرَ . وَسَمِعَ دَارْتَانِيَانِ
لِلْجُنْدِيِّ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَمَلَأُ الْكُتُوسَ مِنْ زُجَاجَاتِ أُخْرَى .

تَنَاولَ الضَّيْفَانِ حَسَاءَهُمَا ، وَكَانَا مُوشِكَيْنِ عَلَى أَنْ يَرْفَعَا
كَأْسَيْهِمَا لِيشْرَبَا نَحْبَ مَضِيْفِهِمَا ، فَإِذَا بِهِمَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ
انْطِلَاقِ الْمَدَافِعِ ، فَخَشِيَ الثَّلَاثَةُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ هُجُومٌ مُفَاجِئٌ ،
فَاسْتَلَوْا سِيُوفَهُمْ وَخَرَجُوا إِلَى مَوَاقِعِهِمْ .

وَمَا كَادُوا يُغَادِرُونَ الْحُجْرَةَ ، حَتَّى سَمِعُوا الْهَتَافَاتِ : « يَحْيَا
الْمَلِكُ . يَحْيَا الْكَارْدِينَالُ . » إِذَا فَقَدْ أَطْلَقَتِ الْمَدَافِعُ نَحِيَّةَ
لِقُدُومِ الْمَلِكِ .

أَخِيرًا وَصَلَ الْمَلِكُ ، مَعَ قُرْسَانِهِ وَعَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ . وَإِذْ كَانَ
دَارْتَانِيَانِ عَلَى رَأْسِ ضِيُوفِهِ ، فَسَرَّعَانَ مَا أَبْصَرَهُ أَصْدِقَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ .
وَأَنْتَهَى بِسُرْعَةٍ حَفْلُ الْاسْتِقْبَالِ ، وَاجْتَمَعَ شَمْلُ الْأَصْدِقَاءِ الْأَرْبَعَةِ
مُجَدِّدًا .

صَاحَ دَارْتَانِيَانِ مُبْتَهَجًا وَهُوَ يَقْدِمُ أَصْدِقَاءَهُ إِلَى الْحَارِسَيْنِ : « مَا
كُنْتُمْ لِتَصِلُوا فِي فُرْصَةٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ . يُمَكِّنُكُمُ الْآنَ أَنْ تَشْتَرِكُوا
مَعَنَا فِي احْتِسَاءِ عَصِيرِكُمْ . »

قَالَ آتُوسُ دَهْشًا : « عَصِيرُنَا ! »

« نَعَمْ ، الْعَصِيرُ الَّذِي أَرْسَلْتُمُوهُ إِلَيَّ . »

« الْعَصِيرُ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكَ ؟ »

« طَبْعًا ، عَصِيرُ أَخْوِ الَّذِي تُغْرَمُونَ بِهِ كَثِيرًا . »

قَالَ آتُوسُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَرَامِيسَ بِخَجَلٍ : « هَلْ أَرْسَلْتَ عَصِيرًا ،
يَا أَرَامِيسَ ؟ »

« لَا ! »

اسْتَطَرَدَّ آتُوسُ يَقُولُ : « وَلَا أَنْتَ ، يَا پُورْثُوسُ ؟ »

« لَمْ يَحْدُثْ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « حَيْثُ إِنَّكُمْ لَمْ تُرْسِلُوهُ ، فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنْ جُودُو
قَدْ أَرْسَلَهُ بِاسْمِكُمْ . »

قَالَ پُورْثُوسُ : « مَهْمَا يَكُنْ مَصْدَرُهُ ، فَهِيَ نَحْتَسِبُهُ . »

قَالَ آتُوسُ بِإِصْرَارٍ : « لَا ، لَنْ نَشْرَبَ بِغَبَاءِ عَصِيرٍ لَا نَعْرِفُ

قَالَ دَارْتَانِيَان : « أَلَمْ تَطْلُبُوا مِنْ جُودُو أَنْ يُرْسِلَ لِي بَعْضَ الْعَصِيرِ ؟ »

« نَعَمْ ، لَمْ نَطْلُبْ . وَلِمَاذَا تَطْلُبْنَا مِنْهُ ذَلِكَ ؟ »

أَطْلَعَهُمْ دَارْتَانِيَان عَلَى الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ يَقُولُ : « هَا هُوَ الْخِطَابُ الَّذِي جَاءَ مَعَ الْعَصِيرِ . »

قَالَ آثُوس بِصَوْتٍ مُضْطَرِبٍ : « لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخِطَابُ مِنْهُ . أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ ، أَنَّنَا لَمْ نَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ مَعَهُ مِنْذُ عِدَّةِ شُهُورٍ . إِذَا ، فَهَذَا الْخِطَابُ زَائِفٌ ! »

صَمَتَ الْأَرْبَعَةُ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَجُولُ بِخَاطِرِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ أَفْكَارٍ . وَكَانَ دَارْتَانِيَان هُوَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ عَنْ صَمْتِهِ ، فَصَاحَ قَائِلًا : « مِيلَادِي ! أَيْمَكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ مُؤَامَرَةً أُخْرَى عَلَى حَيَاتِي ؟ » قَالَ هَذَا ، وَانْطَلَقَ فَجَاءَهُ إِلَى حُجْرَةِ الْمَائِدَةِ ، يَتْبَعُهُ أَصْدِقَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ وَالضَّيْفَانِ .

كَانَ أَوَّلُ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُ دَارْتَانِيَان حِينَ دَخَلَ الْحُجْرَةَ ، بَرِيزْمُون وَهُوَ يَتَدَحْرَجُ عَلَى الْأَرْضِ فِي أَلَمٍ مُمِضٍ ، عَلَى حِينِ يُحَاوِلُ كُلُّ مَنْ بِلَانْشِيهِ وَفُورُو إِسْعَافَهُ ، وَهُمَا شَاحِبَا اللَّوْنِ يَرْتَجِفَانِ . وَلَكِنْ

مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ يُحْتَضِرُ .

تَأَوَّهَ بَرِيزْمُون حِينَ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى دَارْتَانِيَان ، وَقَالَ : « رَبَّاهُ ! بَعْدَ أَنْ تَظَاهَرْتَ بِالْعَفْوِ عَنِّي ، هَانَتْذَا تَقْتُلَنِي بِالسُّمِّ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « مَاذَا تَقُولُ ، أَيُّهَا الْخَسِيسُ ؟ »

قَالَ : « أَعْطَيْتَنِي الْعَصِيرَ ، وَطَلَبْتَ مِنِّي أَنْ أُشْرِبَهُ . أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِكَ ! »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « أَقْسِمُ بِشَرَفِي أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ الْعَصِيرَ مَسْمُومٌ ! »

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ فَائِدَةٍ مِنْ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَوْلِهِ هَذَا ؛ إِذْ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ قَوْرِهِ .

اسْتَدَارَ دَارْتَانِيَان نَحْوَ ضَيْفَيْهِ ، وَقَالَ : « أَرْجُوكُمَا أَلَا تَتَفَوَّهَا بِشَيْءٍ مِمَّا حَدَثَ . قَدْ تَكُونُ لَأَنَاسٍ ذَوِي سُلْطَانٍ عَظِيمٍ يَدُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَمِنْ الْأَسْلَمِ لَكُمَا أَلَا تَكُونُ لَكُمَا صِلَةٌ بِهِ . »

وَعَدَّ الْحَارِسَانِ بِأَلَا يَذْكُرَا هَذَا الْأَمْرَ لِأَيِّ إِنْسَانٍ ، ثُمَّ لَمَّا رَأَىا رَعْبَةَ الْأَصْدِقَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي الْإِنْفِرَادِ مَعًا ، اسْتَأْذَنَا وَانْصَرَفَا .

قَالَ آثُوس : « فَلَنْتَرِكَ هَذِهِ الْحُجْرَةَ ، وَنَأْكُلُ فِي مَكَانٍ آخَرَ ؛

فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَحَبِّ وَجُودُ الْمَوْتَى عِنْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ !»

قَالَ دَارْتَانِيَانُ وَهُوَ مُغَادِرٌ : « أَيُّ بِلَانْشِيَه ، أَتَرَكَ جُثَّةَ هَذَا الرَّجُلِ فِي عَهْدِكَ . اسْتَدْعِ أَحَدًا وَادْفِنْهُ . إِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ اقْتَرَفَ جَرِيمَةً ، وَلَكِنَّهُ نَدِمَ عَلَيْهَا . »

وَجَلَسَ الْأَرْبَعَةُ فِي حُجْرَةٍ بِالطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ ، وَتَنَاوَلُوا طَعَامًا شَهِيًّا قَدَّمَهُ لَهُمْ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ ، وَشَرَبُوا الْمَاءَ الَّذِي أَحْضَرَهُ لَهُمْ آثُوسُ بِنَفْسِهِ ، مِنْ الْبُئْرِ الَّتِي خَلَفَ الْفُنْدُقِ .

وَبَيْنَمَا يَتَنَاوَلُونَ وَجِبَتَهُمُ الْبَسِيطَةَ ، رَوَى دَارْتَانِيَانُ لِأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ ، مَا حَدَّثَ فِي الْمَحَاوَلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ ، مِنْ إِطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهِ .

الفصل العشرون

فُنْدُقُ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ

بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةِ لَيَالٍ ، كَانَ آثُوسُ وَبُورْثُوسُ وَأَرَامِيسُ مُمْتَطِينَ جِيَادَهُمْ وَيَسِيرُونَ الْهُوْبَنِي فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْمَعْسَكِرِ مِنْ فُنْدُقٍ فِي الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، فَإِذَا بِهِمْ يَسْمَعُونَ وَقَعَ حَوَافِرِ خَيُْولٍ قَادِمَةٍ . وَكَانُوا ثَلَاثَتَهُمْ مُسَلَّحِينَ تَسْلِيحًا كَامِلًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا إِذَا كَانَ الرََّّاكِبُونَ الْقَادِمُونَ أَصْدِقَاءَ ، أَوْ أَعْدَاءَ . فَتَوَقَّفُوا عَنِ السَّيْرِ وَأَنْضَمُّوا مَعًا فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أَضَاءَ الْقَمَرُ مِنْ خَلْفِ سَحَابَةٍ فَأَبْصَرُوا فَارِسَيْنِ . وَفِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا ، أَبْصَرَ الْقَادِمَانِ الرَّفَاقَ الثَّلَاثَةَ فَتَوَقَّفَا ، وَبَدَا أَنَّهُمَا لَمْ يَقَرَّرَا بَعْدَ مَاذَا سَيَفْعَلَانِ : هَلْ يَسْتَمِرَّانِ فِي طَرِيقِهِمَا أَمْ يَعُودَانِ ؟

وَبِالطَّبَعِ ، كَانَ هَذَا التَّرَدُّدُ كَافِيًا لِإِيقَاضِ الشُّكُوكِ فِي نَفُوسِ الْفَرَسَانِ الَّذِينَ لَا يَهَابُونَ شَيْئًا ، فَصَاحَ آثُوسُ عَلَى الْفُورِ : « مَنْ

هَنَّاكَ ؟ » فَأَجَابَ أَحَدَ الرَّاكِبِينَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

قَالَ آثُوسُ : « لَيْسَ هَذَا رَدًّا ! مَنْ الَّذِي يَسِيرُ هُنَّاكَ ؟ أَجِيبَا ، وَإِلَّا فَسَنَهْجُمُ عَلَيْكُمَا . »

رَدَّ صَوْتٌ بَدَأَ أَنَّهُ مُعْتَادٌ مِثْلَ تِلْكَ الْأُمُورِ : « يَجِبُ أَنْ تَأْخُذُوا حِذْرَكُمْ ، أَيُّهَا السَّادَةُ . »

قَالَ آثُوسُ لِرَفِيقَيْهِ : « مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ هَذَا ضَابِطًا ذَا رُتَبَةٍ رَفِيعَةٍ يَقُومُ بِالتَّقْقِيشِ لَيْلًا . مَاذَا تَقْتَرِحَانِ أَنْ نَفْعَلَ ؟ »

كَرَّرَ الصَّوْتُ الْآخِرُ قَوْلَهُ : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ أَجِيبُوا وَإِلَّا فَسَتَنْدَمُونَ عَلَى عَصِيَانَتِكُمْ ! »

قَالَ آثُوسُ وَقَدْ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ لِهَذَا الْمُتَكَلِّمِ حَقَّ السُّؤَالِ أَكْثَرَ مِنْهُمْ : « فُرْسَانُ الْمَلِكِ . »

« مِنْ آيَةِ فِرْقَةٍ ؟ »

« مِنْ فِرْقَةِ السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي . »

« تَقَدَّمُوا وَأَخْبِرُونِي مَاذَا تَعْمَلُونَ هُنَا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ؟ »

تَقَدَّمَ الرِّفَاقُ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْأَمَامِ قَلِيلًا وَفِي بَطْنٍ ، فَرَأَوْا الْمُتَكَلِّمَ عَلَى بُعْدٍ بِضَعِ خُطُواتِ أَمَامِ زَمِيلِهِ ، فَأَشَارَ آثُوسُ إِلَى يُونِثُوسَ وَأَرَامِيسَ

بِأَنَّهُ يَتَوَقَّفَا ، وَسَارَ بِجَوَادِهِ ، وَحَدَّهُ ، إِلَى الْأَمَامِ .

قَالَ آثُوسُ : « عَفْوًا ، يَا سَيِّدِي ! لَمْ نَعْرِفْ مَنْ أَنْتَ . لَقَدْ كُنَّا نَقُومُ بِالْحِرَاسَةِ . »

سَأَلَهُ الضَّابِطُ الَّذِي احْتَفَظَ بِجُزْءٍ مِنْ وَجْهِهِ مُغَطًى بِمِعْطَفِهِ : « مَا اسْمُكَ ؟ »

قَالَ آثُوسُ ، وَقَدْ ضَايَقَهُ السُّؤَالُ : « وَلَكِنْ مَنْ أَنْتَ ؟ أَحَبُّ أَنْ أَعْرِفَ مَا إِذَا كَانَ لَكَ الْحَقُّ فِي أَنْ تَسْأَلَنِي أَوْ لَا . »

كَشَفَ الرَّابِيبُ وَجْهَهُ ، وَقَالَ : « مَا اسْمُكَ ؟ »

صَاحَ آثُوسُ دَهْشًا : « سَيِّدِي الْكَارْدِينَالُ ! »

كَرَّرَ الْكَارْدِينَالُ ، لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ : « مَا اسْمُكَ ؟ »

قَالَ : « آثُوسُ . »

نَادَى الْكَارْدِينَالُ تَابِعَهُ ، وَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : « يَجِبُ أَنْ تَتَّبَعَنِي هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ . لَا أُرِيدُ أَنْ يُعْرِفَ أَنَّي غَادَرْتُ الْمَعْسَكَرَ ، فَإِذَا تَبِعُونَا ، تَأْكُدُنَا مِنْ عَدَمِ إِبْلَاغِهِمْ أَيَّ شَخْصٍ . »

قَالَ آثُوسُ : « نَحْنُ رِجَالٌ ، يَا سَيِّدِي . خُذْ مِنَّا كَلِمَةً شَرَفٍ ، وَلَا تَخَفْ ! فَإِنَّا نَحْفَظُ السِّرَّ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ يَقِينًا . »

نَظَرَ الكَارْدِينَالُ إِلَى آتُوسَ لِحُظَّةٍ ، وَقَالَ : « لَكَ أَذَنٌ حَادَّةٌ
السَّمْعَ ، يَا سَيِّدُ آتُوسَ ! لَا أَرِيدُكُمْ أَنْ تَتَّبَعُونِي لِأَنِّي لَا أَتَّقِي بِكُمْ ،
وَلَكِنْ زُبْمًا أَحْتَاجُ إِلَى حِمَايَتِكُمْ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ زَمِيلِيكَ هُمَا السَّيِّدَانِ
يُورْتُوسَ وَآرَامِيسَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ آتُوسَ : « بَلَى ، يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الكَارْدِينَالُ : « أَعْرِفُكُمْ ، أَيُّهَا السَّادَةُ . وَيُؤَسِّفُنِي أَنَّكُمْ لَسْتُمْ
مِنْ زُمْرَةِ أَصْدِقَائِي الْخُلَصِّ . وَلَكِنَّكُمْ ، عَلَى الْأَقْلَى ، رَجَالٌ صِنَادِيدٌ
وَمُخْلِصُونَ . وَأَنَا أَضَعُ فِيكُمْ ثِقَتِي . اتَّبَعُونِي مِنْ فَضْلِكُمْ . »

قَالَ آتُوسَ : « خَيْرًا تَفْعَلُ ، يَا سَيِّدِي ، بِأَنْ تَطْلُبَ مِنَّا مُرَافَقَتَكَ ؛
فَقَدْ رَأَيْنَا فِي الطَّرِيقِ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ يُنْبِئُ مَظْهَرَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ
أَشْرَارٌ ، وَتَعَارَكُنَا مَعَ أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ فِي فُنْدُقِ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ . »

صَاحَ الكَارْدِينَالُ : « عِرَاكَ ! لِمَاذَا ، أَيُّهَا السَّادَةُ ؟ تَعْلَمُونَ أَنَّنِي
لَا أَحِبُّ الْمَشَاعِيبَ ! »

« لِهَذَا السَّبَبِ ، يَا سَيِّدِي ، لِي شَرَفٌ إِخْبَارِكَ بِهِ ؛ إِذْ قَدْ يَشُوهُ
لَكَ الْحَقَائِقُ غَيْرُنَا ، فَتَلَوْمُنَا . »

سَأَلَ الكَارْدِينَالُ عَابِسًا : « مَاذَا إِذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الْعِرَاكِ ؟ »

« جُرْحٌ صَدِيقِي آرَامِيسَ جُرْحًا بَسِيطًا فِي ذِرَاعِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ

الْوُقُوفَ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ غَدًا ، إِنْ اقْتَضَى الْأَمْرُ . »

قَالَ الكَارْدِينَالُ : « إِنَّكُمْ لَمْ تَتَّعِدُوا السَّمَاحَ لِأَحَدٍ بِأَنْ يُصِيبَكُمْ
هَكَذَا . كُونُوا صُرَحَاءَ ، يَا سَادَةُ . أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ بِشَارِكُمْ مِنْ
شَخْصٍ مَا . »

قَالَ آتُوسَ : « نَحْنُ يَا سَيِّدِي ؟ لَا ، فَلَمْ نَسْتَلْ سَيْوفَنَا عَلَى
الإِطْلَاقِ ، بَلْ لَمْ أَفْعَلْ سِوَى أَنْ أَمْسَكْتُ بِالرَّجُلِ الْآثِمِ وَقَذَفْتُ بِهِ
مِنَ الشَّبَاكِ ، وَيَبْدُو ... » ثُمَّ صَمَتَ قَلِيلًا ، وَاسْتَطَرَدَّ يَقُولُ مُتَرَدِّدًا :
« وَيَبْدُو أَنَّهُ كَسَرَتْ سَاقَهُ نَتِيجَةَ لِسُقُوطِهِ . »

قَالَ الكَارْدِينَالُ : « رَبَاهُ ! وَمَاذَا فَعَلْتَ ، يَا سَيِّدُ يُورْتُوسَ ؟ »
« لَمَّا كُنْتُ أَعْلَمُ ، يَا سَيِّدِي ، أَنَّ الْمُبَارَزَةَ مُحَرَّمَةٌ ، أَمْسَكْتُ
مُسْعَدًا خَشِيئًا وَهَوَيْتُ بِهِ عَلَى أَحَدِ الْأَشْخَاصِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الضَّرْبَةَ
كَسَرَتْ كَتِفَهُ . »

« وَمَاذَا فَعَلْتَ ، يَا سَيِّدُ آرَامِيسَ ؟ »

« كَمَا تَعْلَمُ ، يَا سَيِّدِي ، أَنَا رَجُلٌ جَدُّ صَبُورٍ وَمُحِبٌّ لِلْعَمَلِ
وَأَمَقْتُ الْعِرَاكَ . وَحَدَّثْتُ أَنْ هَاجَمَنِي أَحَدُ أَوْلِيكَ الرِّجَالِ الْأَشْرَارِ ،
فَجَرَحَ ذِرَاعِي الْيُسْرَى ، فَفَقَدْتُ صَبْرِي ، وَاسْتَلَيْتُ سَيْفِي ،
وَوَضَعْتُهُ أَمَامَ جِسْمِي دِفَاعًا عَنْ نَفْسِي ، فَانْقَضَ عَلَيَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ

بِوَحْشِيَّةٍ ، فَاخْتَرَقَ السَّيْفُ جَسَدَهُ مُبَاشَرَةً . وَلَا أَعْلَمُ يَقِينًا مَا حَدَثَ لَهُ ، سِوَى أَنَّهُ سَقَطَ . وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ زَمِيلِيهِ حَمَلَاهُ بَعِيدًا .»

« يَا لِرَحْمَةِ السَّمَاءِ ! لَقَدْ أَصِيبَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ فِي الْعِرَاكِ بِمَا يُشَبِّهُ الْعَجْزَ ! حَقًّا إِنَّكُمْ تُؤْذُونَ وَاجِبِكُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ ! وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ الْعِرَاكِ ؟»

قال آثوس : « كَانُوا مَخْمُورِينَ ، يَا سَيِّدِي ، وَخَلْنَاهُمْ قَدْ يُسَبِّبُونَ مُضَايِقَةً لِلْسَيِّدَةِ الَّتِي قَدِمَتْ إِلَى الْفُنْدُقِ فِي هَذَا الْمَسَاءِ .»

« مَا شَكُلُ هَذِهِ السَيِّدَةِ ؟»

أجاب آثوس : « لَمْ نَرَهَا ، يَا سَيِّدِي .»

قال الكاردينال بِحِدَّةٍ : « لَمْ تَرَوْهَا ! إِذَا فَقَدْ فَعَلْتُمْ خَيْرًا بِالِدِّفَاعِ عَنْ سَيِّدَةٍ . وَأَنَا ، بِالضُّدَّةِ ، فِي طَرِيقِي إِلَى فُنْدُقِ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ ، وَسَأَتَحَقَّقُ مِنْ أَقْوَالِكُمْ .»

قال آثوس مَرْهُوًّا : « سَبَقَ أَنْ قُلْتُ لِسَيَادَتِكَ إِنَّا رِجَالٌ ! نَحْنُ لَا نَكْذِبُ لِكَيِّ نَحْمِي أَنْفُسَنَا .»

قال الكاردينالُ : « رَبَّاهُ ! أَنَا لَا أُرْتَابُ فِي كَلَامِكُمْ لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَلَكِنْ ، هَلْ كَانَتْ هَذِهِ السَيِّدَةُ وَحْدَهَا ؟»

« لَا ، عَلَى مَا يَبْدُو أَنَّ شَخْصًا مَا قَدْ زَارَهَا ، وَلَكِنَّهُ ، رَغْمَ الضُّوْضَاءِ ، لَمْ يَظْهَرْ . وَعَلَى ذَلِكَ ، فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ جَبَانٌ .»

قال الكاردينالُ : « لَا تَتَسَرَّعْ فِي الْحُكْمِ ! اتَّبِعُونِي .»

وَفِي دَقَائِقَ وَصَلُوا إِلَى فُنْدُقِ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ ، وَبِالْقُرْبِ مِنَ الْبَابِ ، أَمَرَ الْكَارْدِينَالُ خَادِمَهُ وَالْفَرَسَانِ بِالتَّوَقُّفِ ، وَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، مِنْ بَابٍ جَانِبِيٍّ ، وَطَرَقَ ثَلَاثَ طَرَقَاتٍ بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ يَرْتَدِي مِعْطَفًا فَضْفَاضًا ، وَتَحَدَّثَ إِلَى الْكَارْدِينَالِ لِبُضْعِ لِحْظَاتٍ ، ثُمَّ قَفَزَ فَوْقَ حِصَانِهِ الَّذِي كَانَ مُنْتَظِرًا هُنَاكَ ، وَانْطَلَقَ بِهِ .

قال الكاردينالُ بَعْدَ انْصِرَافِ ذَلِكَ الْفَارِسِ الْغَرِيبِ : « اقْتَرِبُوا ، يَا سَادَّةَ . لَقَدْ نَطَقْتُمْ بِالصِّدْقِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ خَطْئِي ، إِذَا كَانَتْ نَتَائِجُ اجْتِمَاعِنَا فِي هَذَا الْمَسَاءِ فِي غَيْرِ صَالِحِكُمْ ، فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ .»

تَرَجَّلَ الْكَارْدِينَالُ وَأَمَرَ الْآخَرِينَ بِأَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ ، ثُمَّ سَلَّمَ عِنَانَ فَرَسِهِ لِخَادِمِهِ ، وَرَبَطَ الْفَرَسَانِ الثَّلَاثَةَ أَعِنَّةَ خِيُولِهِمْ فِي السِّيَاحِ .

مِنْ الْجَلِيِّ أَنَّ صَاحِبَ الْفُنْدُقِ ، الَّذِي جَاءَ إِلَى الْبَابِ بِنَفْسِهِ ، كَانَ يَتَوَقَّعُ مَجِيءَ ضَاطِطٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ .

سَأَلَهُ الْكَارْدِينَالُ : « هَلْ عِنْدَكَ حُجْرَةٌ بِمِدْفَأَةٍ فِي الدَّوْرِ الْأَرْضِيِّ ، لِيَبِيتَ فِيهَا هَؤُلَاءِ السَّادَّةُ وَيَسْتَمْتِعُوا بِالِدِّفَاعِ ؟»

انحنى صاحب الفندق ، وقادهم إلى حُجْرَةٍ فَسِيحَةٍ اسْتَبْدِلَ فِيهَا
بِالْمَوْقِدِ الْحَدِيدِيِّ الْقَدِيمِ ، مَوْقِدَ آخَرٍ كَبِيرٍ تَضْطَرُّمُ بِدَاخِلِهِ نَارٌ .

أَبْدَى الكَارْدِينَالُ اسْتِحْسَانَهُ قَائِلًا : « هَذِهِ حُجْرَةٌ رَائِعَةٌ ! ادْخُلُوا ،
يَا سَادَةَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَنْتَظِرُوا هُنَا ؛ فَلَنْ أَتَاخَّرَ عَنْكُمْ طَوِيلًا . »

دَخَلَ الْفَرَسَانُ الثَّلَاثَةُ ، عَلَى حِينِ صَعَدَ الكَارْدِينَالُ إِلَى الطَّابَقِ
الْعُلَوِيِّ مُبَاشَرَةً ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ جَيِّدًا .

جَلَسَ پُورْتُوْس وَأَرَامِيس إِلَى مَائِدَةٍ بِقُرْبِ الْمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ آثُوس
يَذْرَعُ أَرْضَ الْحُجْرَةِ جِيئَةً وَذَهَابًا ، مُفَكِّرًا فِيمَنْ سَيُشْرِفُهُ الكَارْدِينَالُ
بِمِثْلِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الْخَاطِئَةِ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ هَكَذَا فِي الْحُجْرَةِ ،
كَانَ يَمُرُّ مِرَارًا بِالْمَوْقِدِ الْقَدِيمِ غَيْرِ الْمُسْتَعْمَلِ . وَكَانَتْ أَنْبُوبَةُ الْمِدْخَنَةِ
الْمَكْسُورَةُ تَخْتَرِقُ السَّقْفَ وَتَتَّصِلُ بِمِدْفَأَةِ فِي الْحُجْرَةِ الْعُلْيَا .

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَمُرُّ فِيهَا آثُوس بِالْأَنْبُوبَةِ ، يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ
تَمْتَمَةَ أَصْوَاتٍ ، لِذَا تَوَقَّفَ عِنْدَهَا مُتَنَصِّتًا . وَقَدْ أَمْتَعَهُ مَا سَمِعَهُ ؛ إِذْ
أَشَارَ لِصَدِيقَيْهِ بِالتِّزَامِ الصَّمْتِ وَالتَّقَدُّمِ مِنْ أَنْبُوبَةِ الْمِدْخَنَةِ الْمَكْسُورَةِ .

سَمِعُوا الكَارْدِينَالُ يَقُولُ : « اِسْمَعِي ، يَا مِيلَادِي ، فَهَذَا الْأَمْرُ
بِالْغُ الْأَهْمِيَّةِ . »

فَكَّرَ آثُوس فِيمَا سَمِعَ ، وَصَاحَ فِي نَفْسِهِ مُتَعَجِّبًا : « رَبَاهُ !



ميلادي !» وأَقْتَرَبَ بِأُذُنِهِ وَوَضَعَهَا عَلَى الْأَنْبُوبَةِ ، وَبِذَا أُمَكَّنَهُ أَنْ يُمَيِّزَ بوضوحٍ كثيراً مِنَ الْمَحَادَثَةِ .

بَعْدَ لِحَظَاتٍ قَلِيلٍ ، أَخَذَ بِأَيْدِي صَدِيقَيْهِ وَقَادَهُمَا إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْحُجْرَةِ .

قال پورثوس : « ما الأمر ؟ لِمَ لَا تُصْغِي لِنَهَايَةِ الْحَدِيثِ ؟ »

قال آثوس هاميساً : « صَهْ ! لَقَدْ سَمِعْتُ كُلَّ مَا أُرِيدُ سَمَاعَهُ . وَفَضْلاً عَنْ هَذَا ، يَجِبُ أَنْ أَنْصَرِفَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْكَارْدِينَالُ . »

قال پورثوس : « وَمَاذَا نَقُولُ لَهُ إِنْ سَأَلَ عَنْكَ ؟ »

قال : « لَا تَنْتَظِرَاهُ حَتَّى يَسْأَلَ . تَكَلَّمَا أَوَّلًا . أَخْبِرَاهُ بِأَنِّي خَرَجْتُ لِأَفُحِّصَ الْمُنْطَقَةَ الْمُحِيطَةَ بِالْفُنْدُقِ ؛ إِذْ لَدَيَّ سَبَبٌ يَجْعَلُنِي أَرْتَابٌ فِي الطَّرِيقِ . وَسَأُخْبِرُ رَجُلَ الْكَارْدِينَالِ بِالشَّيْءِ نَفْسِهِ وَأَنَا مُغَادِرٌ . لَا تَقْلَقَا عَلَيَّ وَلَا عَلَى مَا سَأَفْعَلُهُ . »

رَجَعَ پورثوس وَأَرَامِيسُ إِلَى مَكَانَيْهِمَا قُرْبَ الْمِدْفَأَةِ ، يَسْتَمْتِعَانِ بِدُفْعَتِهَا .

خَرَجَ آثُوسُ ، فَحَلَّ عِنَانَ جَوَادِهِ وَشَرَحَ لِتَابِعِ الْكَارْدِينَالِ سَبَبَ مُغَادِرَتِهِ قَبْلَ زَمِيلَيْهِ . وَامْتَطَى صَهْوَةً فَرَسِهِ ، وَأَنْطَلَقَ بِسَيْفٍ مُسَلَّوٍ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْمَعْسَكِ .

الفصل الحادي والعشرون

ميلادي تَسْتَقْبِلُ زَائِراً غَيْرَ مُتَوَقَّعٍ

لَمْ يَكُنْ آثُوسُ يَتَعَدُّ بِحِصَانِهِ كَثِيراً ، حَتَّى اسْتَدَارَ بَعِيداً عَنِ الطَّرِيقِ ، وَأَنْبَرَى عَائِداً ، حَتَّى صَارَ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ فُنْدُقِ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ ، فَتَرَجَّلَ وَاخْتَبَأَ خَلْفَ سِيَاجٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ الْمَتَسَلِّقَةِ ، لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنِ الطَّرِيقِ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ هُنَاكَ طَوِيلًا حَتَّى أَبْصَرَ الْكَارْدِينَالَ وَجَمَاعَتَهُ يَمْرُونَ فِي طَرِيقِهِمْ عَائِدِينَ إِلَى الْمَعْسَكِ ، فَتَرَكَهُمْ يَمْرُونَ بِخِيُولِهِمْ حَتَّى اخْتَفَوْا عَنْ نَاضِرِيهِ ، وَامْتَطَى جَوَادَهُ وَأَسْرَعَ عَائِداً إِلَى الْفُنْدُقِ .

فَتَحَّ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ الْبَابَ ، فَعَرَفَهُ عَلَى الْفَوْرِ . وَبَادَرَهُ آثُوسُ : « أُرْسَلَنِي الضَّابِطُ الَّذِي زَارَ السَّيِّدَةَ بِالْدَّوْرِ الْعُلُويِّ ، بِرِسَالَةٍ نَسِي أَنْ يُعْطِيَهَا يَاهَا . »

رَدَّ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ : « السَّيِّدَةُ لَا تَزَالُ فِي حُجْرَتِهَا . اصْبَعُدْ إِلَيْهَا . »

صَعِدَ آثُوسُ مِنْ قُوْرِهِ ، مُحَازِرًا وَهُوَ يَسِيرُ بِخِفَةٍ قَدْرَ الْإِمْكَانِ ،
فَأَبْصَرَ مِيلَادِي مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ تَلْبَسُ قُبْعَتَهَا ، فَتَسَلَّلَ إِلَى
الْحُجْرَةِ ، وَأَقْفَلَ الْبَابَ خَلْفَهُ بِالْمِزْلَاجِ ، فَالْتَفَتَتْ مِيلَادِي عَلَى
صَوْتِ الْمِزْلَاجِ .

وَقَفَ آثُوسُ عِنْدَ الْبَابِ مُتَلَفِّعًا بِمِعْطَفِهِ وَيُخْفِي عَيْنَيْهِ بِقُبْعَتِهِ
وَدَهَلَتْ مِيلَادِي لِهَذَا الشَّخْصِ الصَّامِتِ السَّاكِنِ الَّذِي لَا يَتَحَرَّكُ ،
كَأَنَّهُ تِمَثَالٌ .

صَاخَتْ تَسْأَلُهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ مَاذَا تُرِيدُ ؟ »

رَدَّدَ آثُوسُ لِنَفْسِهِ قَائِلًا : « نَعَمْ ، إِنَّهَا هِيَ . »

وَأَطْلَقَ مِعْطَفَهُ ، وَخَلَعَ قُبْعَتَهُ ، وَخَطَا نَحْوَهَا قَائِلًا : « أَعْرِفِينِنِي ،
يَا سَيِّدَتِي ؟ »

تَقَدَّمَتْ مِيلَادِي خُطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ ، ثُمَّ تَقَهَّقَتْ إِلَى الْخَلْفِ
مَدْعُورَةً وَكَأَنَّهَا أَبْصَرَتْ أَفْعَى .

تَمَتَّمَتْ تَقُولُ وَقَدْ امْتَنَعَ لَوْنُهَا : « الْكُونْتُ دِي لَا فِير ! »

قَالَ آثُوسُ : « نَعَمْ ، الْكُونْتُ دِي لَا فِير بِشَخْصِيهِ - زَوْجُكِ !
فَلْنَقُلْ كَمَا قَالَ الْكَارْدِينَالُ مُنْذُ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ : اجْلِسِي وَدَعِينَا



جَلَسَتْ ميلادي مُرْتَبِعَةً ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْسَ بِنْتَ شَفَةِ .

قَالَ آتُوس : « لَمْ يَدُرْ بِخُلْدِي قَطُّ أَنْ تَوْجَدَ امْرَأَةً شَرِيرَةً مِثْلَكَ !
هَا قَدْ اعْتَرَضَتْ طَرِيقِي مَرَّةً أُخْرَى . ظَنَنْتُكَ شُنِقْتَ وَتَخَلَّصَ الْعَالَمُ
مِنْكَ . لَكِنْ يَبْدُو أَنَّكَ كُنْتَ مَخْدُوعًا ، إِلَّا إِذَا كُنْتَ قَدْ عُدْتَ إِلَى
الْحَيَاةِ ثَانِيَةً مِنَ الْجَحِيمِ ! »

رَفَعَتْ ميلادي رَأْسَهَا حِينَ سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الَّتِي ذَكَرَتْهَا
بِأَحْدَاثِ الْمَاضِي الْأَلِيْمَةِ .

اسْتَطَرَدَّ آتُوس ، يَقُولُ : « نَعَمْ ، مَنَحْتُكَ الْجَحِيمَ الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ ،
وَمَنَحْتُكَ ثُرُوءًا وَاسْمًا آخَرَ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَمَحُو عَنْكَ سَوَادَ
رُوحِكَ ، وَلَا عَلَامَةَ الْعَارِ مِنْ كَيْفِكَ . »

هَبَّتْ ميلادي وَاقْفَةً فَجَاءَتْ ، وَعَيْنَاهَا تَقْدَحَانِ بِشَرَرِ الْغَضَبِ ، غَيْرَ
أَنَّ آتُوس ظَلَّ جَالِسًا لَا يَتَحَرَّكُ .

اسْتَأْنَفَ آتُوس كَلَامَهُ : « ظَنَنْتَنِي مِتُّ ، كَمَا ظَنَنْتُكَ أَنَا كَذَلِكَ .
لَقَدْ أَخْفَى اسْمُ آتُوس الْكُونَتِ دِي لَا فِير ، مِثْلَمَا أَخْفَى اسْمُ لِيْدِي
وَيَنْتَرُ اسْمُ أَنْ دِي بَرِيي . أَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَزَوَّجَ ؟ »

قَالَتْ ميلادي بِصَوْتٍ وَاهِنٍ مُضْطَرِبٍ : « مَاذَا جَاءَ بِكَ إِلَيَّ ؟ »

« أَرِيدُكَ أَنْ تَعْلَمِي أَنَّهُ رَغِمَ غِيَابُكَ عَنْ نَظَرِي ، فَإِنَّ حَيَاتَكَ
كَانَتْ ظَاهِرَةً لِي كَكِتَابٍ مَفْتُوحٍ أَمَامِي . »

« مَاذَا تَعْرِفُ عَنِّي ؟ »

« بُوَسْعِي أَنْ أَخْبِرَكَ بِكُلِّ شَيْءٍ اقْتَرَفْتَهُ ، يَوْمًا بِيَوْمٍ ، مِنْذُ دُخُولِكَ
فِي خِدْمَةِ الْكَارْدِينَالِ ، حَتَّى هَذَا الْمَسَاءِ . »

ابْتَسَمَتْ ميلادي ابْتِسَامَةً شَاحِبَةً ، وَهِيَ تَسْتَعِيدُ بَعْضَ الثِّقَةِ ؛ إِذْ
خَالَتَهُ يُبَالِغُ فِي قَوْلِهِ .

أَضَافَ آتُوس بِحِدَّةٍ : « اسْمَعِي ! لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتُ لَأَسْرِدَ عَلَيْكَ
قَائِمَةً بِكُلِّ جَرَائِمِكَ ، أَوْ أَصِفَ لَكَ حَيَاتَكَ الشَّرِيرَةَ . وَرَغِمَ
ذَلِكَ ، اكْتَشَفَ دَارْتَانِيَانِ سِرَّكَ الْمَخْزِي . هَلْ تُنْكِرِينَ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَ
رَجُلَيْنِ لِيَتَّبِعَاكَ ، وَعِنْدَمَا أَخْطَأَتْهُ قَذَائِفُهُمَا ، مَرَّتَيْنِ ، أُرْسَلَتْ لَهُ نَبِيذًا
مُسْمُومًا ، مَعَ خِطَابٍ زَائِفٍ ؟ ثُمَّ .. وَمِنْذُ بَضْعِ دَقَائِقٍ فَقَطُّ ، فِي
هَذِهِ الْحُجْرَةِ ، ارْتَبَطْتُ بِعَهْدٍ مَعَ الْكَارْدِينَالِ عَلَى أَنْ تَقْتُلِي دُوقَ
بِكَنْجَهَام ، وَتُظَيِّرَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ ، سَيَسْمَحُ لَكَ الْكَارْدِينَالُ
بِقَتْلِ دَارْتَانِيَانِ . وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلْتَهَا :
« حَيَاةٌ بِحَيَاةٍ ، وَرَجُلٌ بِرَجُلٍ . » أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

صاحت ميلادي ، التي غدا وجهها شاحباً شحوب الموت : « لا
بد أنك الشيطان نفسه ! »

قال آئوس : « ربّما ، ولكن أصغي تماماً وبإمعان إلى ما سأقول .
يمكنك أن تفعلي ما تشائين فيما يختص بدوق بكنجهام - تغتالينه
أو تعملين على اغتياله ، هذان سيان بالنسبة لي ، ولكنك إن
لمست بطرف إصبعك شعرة واحدة من رأس دارتانيان ، فإنني أقسم
برأس أبي على أن هذه الجريمة ستكون آخر عهدك بالحياة ! »

بقي آئوس صامتاً ليضع لحظات ، وقد ثبتت عينيه على ميلادي ،
وصار وجهه صلباً ينم عن عزم ومضاء . ونهض بطيئاً من مقعده
وأخرج مسدسه من جرابه . وشحب وجه ميلادي شحوب الموتى ،
وبدت كأنها تحولت إلى تمثال حجري . وحاولت أن تصرخ ،
ولكن تجمدت الأصوات في حلقها .

رفع آئوس المسدس ببطء ، ومد ذراعه ، وصوبه نحوها ، وهو
يتحدث بصوت مرعب ، تدل لهجته على الحسم وقوة العزيمة ،
قائلاً : « أعطيني ، في الحال ، تلك الورقة التي وقعها الكاردينال
معك ، وإلا نسفت رأسك ! »

كان من الممكن أن ترتاب ميلادي في أي رجل آخر ، أما



بالنسبة لآئوس ، فلا . كانت تعرف أنه رجل الكلمة ، وقرأت في
وجهه الدال على الإصرار وقوة العزيمة ، أنه يوشك على أن يطلق
النار ، فأخرجت الورقة من جيبتها سريعاً ، وقدمتها إليه .

فص آئوس الورقة ، وقرأ :

٣ من ديسمبر سنة ١٦٢٧

إنه بأمرى ولصالح الدولة فعل حاصل
هذه ما فعله .

ريشليه

غَادَرَ آثُوسَ الْحُجْرَةَ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ خَلْفَهُ . وَفِي الْخَارِجِ كَانَ ثَمَّةُ
فَارِسَانِ ، وَحِصَانُ أَرْسَلَهُ الْكَارْدِينَالُ لِيَحْمِلَ مِيلَادِي إِلَى الْمِينَاءِ فِي
الْإِنْتِظَارِ .

يَمَّمُ آثُوسُ نَحْوَ الْفَارِسِيِّنَ ، وَقَالَ : « أَيُّهَا السَّيِّدَانِ ، لَا تَنْسِيَا أَنْ
الْأَوَامِرَ الَّتِي لَدَيْكُمَا هِيَ مُرَافَقَةُ السَّيِّدَةِ قَوْرًا إِلَى الْمِينَاءِ ، وَالْأَ
تَرَكَاهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصْعَدَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ . »

كَانَتْ هَذِهِ التَّعْلِيمَاتُ هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي تَلَقَّاهَا الْفَارِسَانِ مِنْ قَبْلُ .
فَحَيَّا الرَّجُلَانِ آثُوسَ عَلَامَةً عَلَى الْإِذْعَانِ .

قَفَزَ آثُوسُ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِهِ ، وَرَكَضَ بِهِ . وَبَدَلًا مِنَ السَّيْرِ فِي
الشَّارِعِ ، اخْتَصَرَ الطَّرِيقَ عَبْرَ الْحُقُولِ . وَتَوَقَّفَ مَرَّتَيْنِ وَأَصْغَى ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . أَمَّا فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، فَسَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ خَيُْولِ
مُقْبِلَةٍ فَتَيَقَّنَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا خَيُْولُ الْكَارْدِينَالِ وَجَمَاعَتِهِ ؛ فَتَحَاشَاهُمْ
وَسَبَقَهُمْ بِحِصَانِهِ إِلَى مَكَانٍ بِجَوَارِ الْمُعَسْكَرِ قَبْلَهُمْ بِمَسَافَةٍ مَا .

وَهُنَاكَ أَسْرَعَ فَمَسَحَ الْعَرَقَ الْمُتَصَبِّبَ مِنْ جِسْمِ جَوَادِهِ ، وَاتَّخَذَ
مَكَانًا فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ ، وَانْتَظَرَ .

عِنْدَمَا اقْتَرَبَ الرُّكْبَانُ ، صَاحَ آثُوسُ : « مَنْ هُنَاكَ ؟ »

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « أَ هَذَا فَارِسُنَا الشُّجَاعُ ؟ »

قَالَ پُورْتُوسُ : « أَجَلٌ ، يَا سَيِّدِي . إِنَّهُ هُوَ . »

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « أَشْكُرُ لَكَ حِرَاسَتَكَ الْمُتَيَقِّظَةَ يَا سَيِّدُ آثُوسِ . »

وَحِينَ بَلَغُوا مَدْخَلَ الْمُعَسْكَرِ ، حَيَّا الْكَارْدِينَالُ الْأَصْدِقَاءَ الثَّلَاثَةَ ،
وَأَسْتَمَرَ فِي طَرِيقِهِ مَعَ تَابِعِهِ .

حِينَ ابْتَعَدَ الْكَارْدِينَالُ مَسَافَةً كَافِيَةً ، صَاحَ آثُوسُ : « بِحَوَظَتِي
الْوَرَقَةَ الَّتِي وَقَعَ عَلَيْهَا . »

لَمْ يَتَفَوَّهِ الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهُمْ فِي
طَرِيقِهِمْ إِلَى مَقَرِّهِمْ ، إِلَّا بِإِعْطَاءِ أَفْرَادِ الْحِرَاسَةِ كَلِمَةَ السَّرِّ .

كَانَ أَهَمُّ مَا دَارَ حَوْلَهُ الْحَدِيثُ ، هُوَ الْهَجُومُ الَّذِي شَنَّ عَلَى الْقَلْعَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ ، وَطَرَّدَ جُنُودَ رُوشِيلَ ، عَلَى حِينِ غَادَرَ جُنُودُ الْمَلِكِ الْقَلْعَةَ ؛ خَشْيَةً أَنْ تَسْقُطَ جُدْرَانُهَا عَلَيْهِمْ .

قَالَ آثُوسُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ ضَبَّاطِ الْحَرَسِ : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، لَدَيَّ رَهَانٌ أُرِيدُ أَنْ أَعْقِدَهُ مَعَكُمْ : أَرَاهِنُ عَلَى أَنْ أَتَنَاوَلَ ، أَنَا وَرَفَاقِي الثَّلَاثَةَ طَعَامَ الْإِفْطَارِ فِي الْقَلْعَةِ . وَسَنَمَكُّثُ هُنَاكَ سَاعَةً كَامِلَةً ، رَغْمَ مَا قَدْ نَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْعَدُوِّ لِاجْبَارِنَا عَلَى تَرْكِهِ . »

نَظَرَ يُونُوسُ وَأَرَامِيسُ ، كُلُّهُمَا إِلَى الْآخِرِ ، نَظَرَةً ذَاتَ مَغْزَى .

قَالَ السَّيِّدُ دِي بُوسِينِي ، وَهُوَ أَحَدُ الضَّبَّاطِ : « إِذَا ، فَلْنَحْدُدْ قِيَمَةَ الرَّهَانِ . »

قَالَ آثُوسُ : « أَنْتُمْ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ ، وَنَحْنُ أَرْبَعَةٌ ، وَمِنْ ثَمَّ ، فَلْتَكُنْ قِيَمَةُ الرَّهَانِ الْعِشَاءُ هُنَا فِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ ؟ أَمْ هَذَا يَكْفِي ؟ »

وَأَفَقَ الضَّبَّاطُ الْأَرْبَعَةُ ، عَلَى الْفَوْرِ .

نَادَى آثُوسُ خَادِمَهُ جَرِيمُو ، وَأَشَارَ إِلَى سَلَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي الرُّكْنِ .

فَهَمَّ جَرِيمُو أَنْ سَيِّدَهُ يُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَضَعَ فِي السَّلَّةِ طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، الَّذِي أَحْضَرَهُ صَاحِبُ الْفُنْدُقِ . وَبَعْدَهَا يَنْطَلِقُ الْأَصْدِقَاءُ الْأَرْبَعَةُ ،

الفصل الثاني والعشرون

عَقْدُ رَهَانٍ سَخِيفٍ عَلَى عَمَلٍ خَطِيرٍ

مَا إِنْ وَصَلَ الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ إِلَى مَقَرِّهِمْ ، حَتَّى أُرْسَلَ آثُوسُ فِي طَلَبِ دَارْتَانِيَانِ .

رَأَى آثُوسُ أَنَّ مِنْ الْخَطَرِ الْكَلَامَ بِحُرِّيَّةٍ حَيْثُ هُمْ ، لِذَا قَرَّرُوا تَنَاوَلَ طَعَامَ الْإِفْطَارِ مُبَكَّرًا فِي فُنْدُقِ الْقَرْيَةِ ، حَيْثُ يَخْتَلِفُونَ مَعًا . رَفَضَ آثُوسُ أَنْ يُفْصَحَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَلَفَّحُوا مَكَانًا يُمْكِنُهُمْ التَّحَدُّثُ فِيهِ دُونَ أَنْ يَتَنَصَّصَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ، وَحَيْثُ يَبْدُو اجْتِمَاعُهُمْ طَبِيعِيًّا .

وَلَسَوْءَ حَظُّهُمْ ، وَجَدَ أَنَّ الْفُنْدُقَ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلْحَدِيثِ الْخَاصِّ ، إِذْ دَائِمًا مَا يَأْتِي إِلَى هُنَاكَ أَفْوَاجٌ مِنْ رِجَالِ الْحَرَسِ ، وَالْفُرْسَانِ ، وَالْجُنُودِ لِطَلَبِ الْمُرْطَبَاتِ . لِذَا طَرَحُوا فِكْرَةَ الْمُنَاقَشَةِ الْخَاصَّةِ مُؤَقَّتًا ، وَأَنَّهُمْ كَوُوا فِي حَدِيثٍ عَامٍّ .

يَتَّبِعُهُمْ جَرِيمُو بِالسَّلَّةِ إِلَى الْقَلْعَةِ .

وَعِنْدَمَا غَادَرُوا الْمَعْسَكَرَ ، اسْتَدَارَ دَارْتَانِيَانِ نَحْوَ آثُوسَ قَائِلًا :
« أَخْبِرْنِي ، يَا آثُوسَ ، إِلَى أَيْنَ نَحْنُ ذَاهِبُونَ ؟ »

« لَا دَاعِيَ لِهَذَا السُّؤَالِ ؛ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَرَى بِوُضُوحٍ أَنَّنَا ذَاهِبُونَ
إِلَى الْقَلْعَةِ . »

« نَعَمْ ، وَلَكِنْ مَاذَا سَنَعْمَلُ هُنَاكَ ؟ »

« نَتَنَاوَلُ الْإِفْطَارَ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ بِضَيْقٍ : « وَلِمَ لَا نُفْطِرُ فِي الْفُنْدُقِ ؟ أَنْتَ غَامِضٌ
فِي هَذَا الصَّبَاحِ ، يَا آثُوسَ ! »

قَالَ آثُوسَ : « لَدَيْنَا أَشْيَاءٌ هَامَّةٌ يَجِبُ مُنَاقَشَتُهَا . وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ
أَنْ نَتَكَلَّمَ وَلَوْ لِدَقِيقَتَيْنِ فَقَطْ فِي الْفُنْدُقِ ، دُونَ مُقَاطَعَةٍ . أَمَّا فِي
الْقَلْعَةِ ، فَسَنَسْتَطِيعُ عَلَى الْأَقْلَى أَنْ نَتَكَلَّمَ بِحُرِّيَّةٍ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « يَبْدُو لِي أَنَّهُ كَانَ بَوَسْعِنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِحُرِّيَّةٍ فِي
الْحُقُولِ ، أَوْ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . »

قَالَ آثُوسَ : « هُنَاكَ سَوْفَ يُلَاحِظُونَنَا ، نَحْنُ الْأَرْبَعَةُ ، فِي الْحَالِ ،
وَبَعْدَ رُبْعِ السَّاعَةِ يَصِلُ الْخَبْرُ إِلَى الْكَارْدِينَالِ عَنْ طَرِيقِ عُيُونِهِ ، بِأَنَّنَا

لَعَقِدُ جَلْسَةَ سِرِّيَّةٍ . »

اسْتَطَرَدَ آثُوسَ قَائِلًا : « عَقَدْنَا رَهَانًا ، وَاتَّحَدَى أَيُّ شَخْصٍ غَيْرِنَا ،
أَنْ يُخَمِّنَ الْغَرَضَ الْحَقِيقِيَّ مِنْ هَذَا الرَّهَانِ . وَلَكِنِّي نَكْسِبُهُ ، سَنَبْقَى
دَاخِلَ الْقَلْعَةِ سَاعَةً كَامِلَةً ، سِوَاءِ هُوجِمْنَا أَوْ لَمْ نُهَاجَمْ ؛ فَهَذَا
لَا يَهْمُ . سَيَكُونُ لَدَيْنَا مَتَسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِلْحَدِيثِ ، وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ
مِنْ أَنَّ تِلْكَ الْحَوَائِظَ لَيْسَ لَهَا آذَانٌ ! فَإِذَا هُوجِمْنَا ، فَلَا يَزَالُ
بِمَقْدُورِنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ فِي شُؤْنِنَا . أَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّنَا فِي دِفَاعِنَا عَنْ
أَنْفُسِنَا ، نُجَلِّلُ أَنْفُسَنَا بِالْمَجْدِ وَالْفَخَارِ . وَهَكَذَا تَرَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
فِي صَالِحِنَا . »

قَالَ دَارْتَانِيَانِ : « نَعَمْ ، وَلَكِنْ مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا سَنَكُونُ هَدَفًا
لِقَذَائِفِ الْعَدُوِّ . »

قَالَ آثُوسَ : « هَذَا مُمَكِّنٌ جِدًّا ، وَلَكِنَّكَ تَعْرِفُ ، كَمَا أَعْرِفُ
أَنَا ، أَنَّ الْقَذَائِفَ الَّتِي تُخْشَى أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ، لَا تَأْتِي مِنَ
الْعَدُوِّ ! »

قَالَ پُورْتُوسَ : « كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّحَ أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ
الْخَطِيرِ . »

رَدَّ آثُوسَ : « سَيَكُونُ هَذَا عَيْبًا عَدِيمَ الْجَدْوَى . أُنَسِيتَ مَا

أَخْبَرْنَا بِهِ دَارْتَانِيانَ عَنِ الْهَجُومِ الَّذِي حَدَثَ بِالْأَمْسِ ؟

سَأَلَهُ پُورْتُوسُ بِحِدَّةٍ : « مَاذَا قَالَ ؟ »

أَجَابَ آتُوسُ : « فِي هَجُومِ الْأَمْسِ ، قُتِلَ ثَمَانِيَّةُ جُنُودٍ أَوْ عَشْرَةٍ فِي الْقَلْعَةِ ، وَمِثْلُهُمْ مِنْ رِجَالِ رُوشِيلِ . »

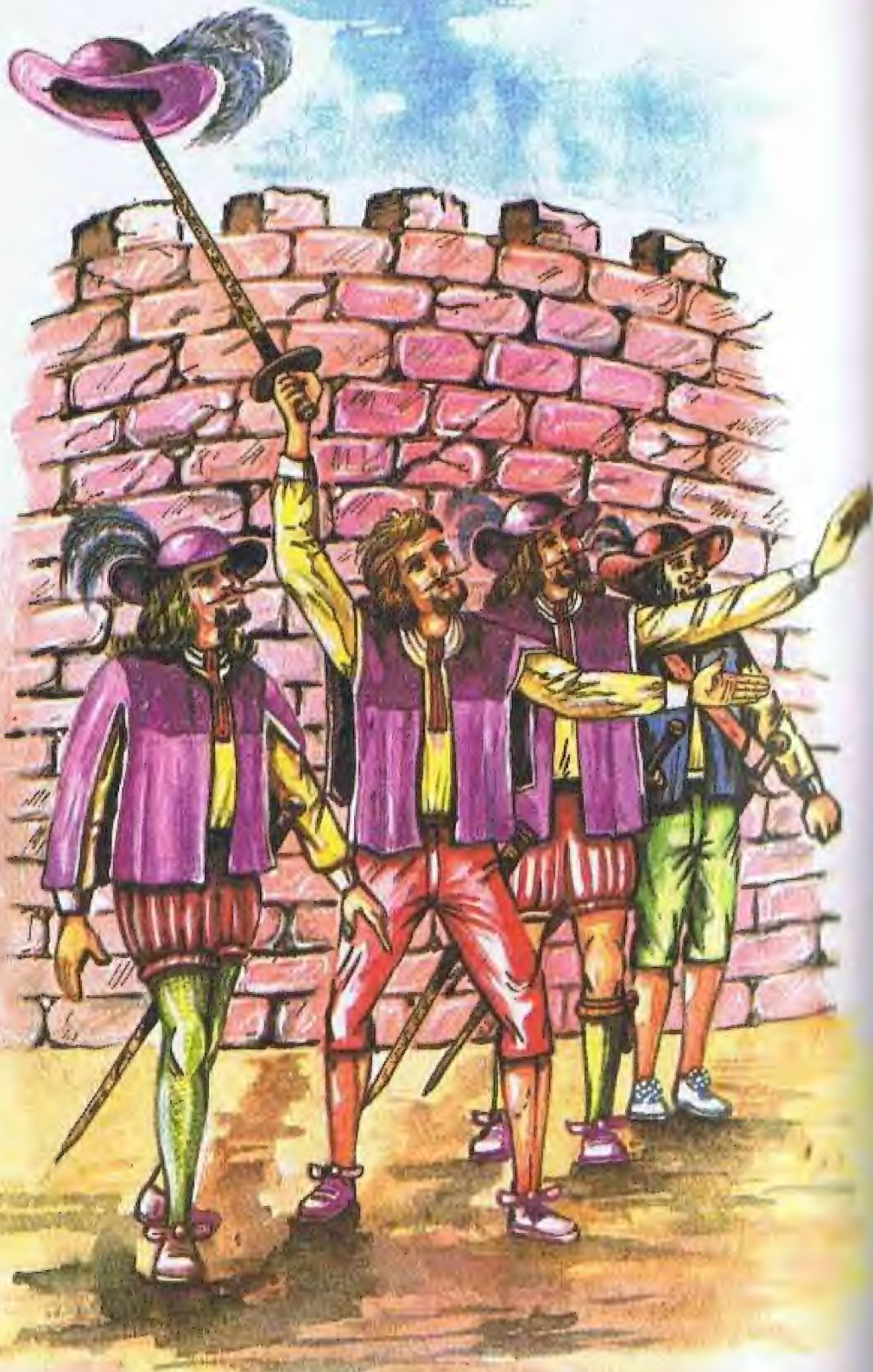
« وَبَعْدُ ؟ »

رَدَّ آتُوسُ : « لَمْ يُدْفَنُوا ، وَلَمْ تُؤْخَذْ أَسْلِحَتُهُمْ ؛ لِذَا سَتَجِدُ بِنَادِقَهُمْ وَبَارُودَهُمْ وَخِرَاطِيَشَهُمْ . »

عِنْدَ ذَلِكَ وَصَلَ الْأَرْبَعَةُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَتَطَلَّعُوا فِيمَا حَوْلَهُمْ ، فَوَجَدُوا ثَلَاثِمِئَةَ جُنْدِيٍّ عَلَى الْأَقْلَى ، فِي جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ ، عَلَى طُولِ حُدُودِ الْمُعَسَّكَرِ . وَفِي إِحْدَى تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ ، تَعَرَّفُوا عَلَى السَّيِّدِ دِي بُوسِينِي ، وَأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ .

خَلَعَ آتُوسُ قُبْعَتَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى طَرَفِ سَيْفِهِ ، وَلَوَّحَ بِهَا فِي الْهَوَاءِ .

وَعِنْدَمَا دَخَلَ الْأَرْبَعَةُ الْقَلْعَةَ ، أَمَكَّنَهُمْ سَمَاعُ هَتَافَاتِ الْجُنُودِ مِنْ بَعِيدٍ .



قَاطَعَهُ آثُوسَ قَائِلًا : « صَبْهُ ! أُنَسِيتَ أَنَّ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ لَا يَعْلَمَانِ
شَيْئًا عَنْ شَعْنُونِي الْعَائِلِيَّةِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ مِيلَادِي . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « أَيْنَ ؟ »

« فِي فُنْدُقِ بُرْجِ الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « إِذَا ، فَقَدْ ضِيعَتْ ! »

قَالَ آثُوسُ : « لَا ! لَيْسَ الْأَمْرُ سَيِّئًا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ،
يَا صَدِيقِي . رُبَّمَا تَكُونُ مِيلَادِي قَدْ غَادَرَتْ الشَّوْاطِئَ الْفَرَنْسِيَّةَ ،
الْآنَ . »

تَنَفَّسَ دَارْتَانِيَانُ الصُّعْدَاءَ .

سَأَلَ پُورْتُوسَ بِصَوْتِهِ الْعَمِيقِ : « وَمَنْ هِيَ مِيلَادِي هَذِهِ ؟ »

قَالَ آثُوسُ : « امْرَأَةٌ فَاتِنَةٌ . امْرَأَةٌ بِالْغَةِ الْفِتْنَةِ . يَبْدُو أَنَّهَا مُغْرَمَةٌ
بِدَارْتَانِيَانٍ كَثِيرًا ، لِدَرَجَةٍ أَنَّهَا اسْتَأْجَرَتْ رَجُلَيْنِ لِيَغْتَالَاهُ ، فَحَاوَلَا
ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَكِنَّهُمَا أَخْفَقَا . ثُمَّ أَرْسَلَتْ لَهُ هَدِيَّةَ قِيحَةٍ مِنَ الْعَصِيرِ
الْمُسْمُومِ ، وَالَّذِي كُنَّا نُوْشِكُ عَلَى أَنْ نُشَارِكَهُ إِيَّاهُ . وَفِي اللَّيْلَةِ
الْمَاضِيَةِ ، طَالَبَتِ الْكَارْدِينَالَ بِرَأْسِهِ . »

صَاحَ دَارْتَانِيَانُ ، وَقَدْ شَحَبَ لَوْنُهُ : « مُسْتَحِيلٌ ! »

الفصل الثالث والعشرون

انْعِقَادُ مَجْلِسِ الْأَرْبَعَةِ فِي ظِلِّ ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ

كَمَا كَانَ مُتَوَقِّعًا ، وَجَدَ الْمَغَامِرُونَ الْأَرْبَعَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جَنَّةً
دَاخِلَ الْقَلْعَةِ ، فَجَمَعُوا بِنَادِقِهِمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِي الْحَالِ ، وَشَحَنُوهَا
تَحْسَبًا لِأَيِّ هُجُومٍ يَحْدُثُ .

افْتَرَشَ الْأَرْبَعَةُ الْأَرْضَ ، حَوْلَ طَعَامِ الْإِفْطَارِ الَّذِي وُضِعَ عَلَى
مِفْرَشٍ أَبْيَضٍ . وَأَعْطَى آثُوسُ خَادِمَةً نَصِييًّا مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَمَرَهُ
بِالْحِرَاسَةِ .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « لَا خَوْفَ الْآنَ مِنْ أَنْ يَسْمَعَنَا أَحَدٌ ، وَعَلَى هَذَا ،
فَارْجُو أَنْ تُطْلِعَنِي سَرِيعًا عَلَى سِرِّكَ . »

قَالَ آثُوسُ : « السِّرُّ هُوَ أَنَّنِي زُرْتُ مِيلَادِي فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ . »

« زُرْتُ زَوْجًا ! »

قال پورثوس : « نَعَمْ ، هَذَا جِدُّ صَاحِبِ ، لَقَدْ سَمِعْتُهَا بِأَذْنِي » .

قال أراميس : « وَأَنَا أَيْضًا » .

رَدَّ دَارْتَانِيَان ، وَقَدْ ثَبَّتَ عَزِيمَتَهُ تَمَامًا : « إِذَا ، فَلَا جَدْوَى لِي
مِنَ النَّضَالِ بَعْدَ ذَلِكَ . يُمَكِّنْنِي أَنْ أَنْسِفَ رَأْسِي ، فَيَنْتَهِيَ كُلُّ
شَيْءٍ » .

قال آثوس : « هَذَا عَبَاءٌ مَحْضٌ طَالَمَا لَا عِلَاجَ لِدَلِكِ يَا لِرَحْمَةِ
السَّمَاءِ ! يُشِيرُ جَرِيْمُو بِالِاسْتِعْدَادِ لِاسْتِقْبَالِ زَائِرِينَ » .

لَقَدْ أَنْبَاهَهُمْ جَرِيْمُو ، بِأَنَّ الْعَدُوَّ يَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْقَلْعَةِ .

قال آثوس : « كَمْ رَجُلًا ؟ »

« عِشْرُونَ » .

« وَمَا نَوْعُهُمْ ؟ »

« سِتَّةَ عَشَرَ عَامِلًا ، وَأَرْبَعَةَ جُنُودٍ » .

نَهَضَ آثُوسُ ، وَالتَقَطَ بِنَدَقِيَّةٍ مَحْشُورَةٍ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ فَتْحَةٍ فِي
الْحَائِطِ ، وَحَذَا پُورْثُوسَ وَأَرَامِيسَ وَدَارْتَانِيَانَ حَذْوَهُ . وَوَقَفَ جَرِيْمُو
خَلْفَهُمْ تَمَامًا ، عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِإِعَادَةِ شَحْنِ بِنَادِقِهِمْ بِمَجَرَّدِ إِطْلَاقِهَا .
تَقَدَّمَ الْعَدُوُّ دَاخِلَ خَنْدَقٍ يَرْتَبِطُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْقَلْعَةِ ، وَوَقَفَ آثُوسُ

مَكْشُوفًا تَمَامًا لِيُرَاقِبَهُمْ .

صَاحَ دَارْتَانِيَان : « خُذْ حِذْرَكَ ، يَا آثُوسُ ! أَلَا تَرَاهُمْ يُصَوِّبُونَ
بِنَادِقَهُمْ نَحْوَكَ ؟ »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أَطْلَقَ الْجُنُودُ الْأَرْبَعَةُ بِنَادِقَهُمْ فَأَصَابَتْ
طَلْقَاتُهُمُ الْحَائِطَ قَرِيبًا مِنْ آثُوسَ .

وَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ أَرْبَعُ طَلْقَاتٍ مُسَدَّدةٍ بِأَحْكَامٍ ، فَسَقَطَ ثَلَاثَةُ جُنُودٍ
قَتْلَى ، وَجُرِحَ جُنْدِيٌّ .

وَبَسْرَعَةٍ تَمَّ تَغْيِيرُ الْبِنَادِقِ ، وَأَنْطَلَقَتْ مَرَّةً أُخْرَى ، فَسَقَطَ الْجُنْدِيُّ
الْجَرِيحُ ، وَاثْنَانِ مِنَ الْعُمَّالِ قَتْلَى . وَعِنْدَئِذٍ فَرَّ بَقِيَّةُ الرُّجَالِ هَارِبِينَ .

صَاحَ آثُوسُ : « وَالْآنَ ، هَيَّا بِنَا نَطَارِدُهُمْ ، يَا سَادَةَ » .

انْدَفَعَ الْأَرْبَعَةُ خَارِجِينَ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ
سَرَّعَانَ مَا اقْتَنَعُوا بِأَنَّ الْعَدُوَّ لَنْ يَتَوَقَّفَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَوْضِعِ الْأَمَانِ
فِي الْمَدِينَةِ . وَلِذَا جَمَعُوا بِنَادِقَ الْجُنُودِ الْأَرْبَعَةِ الْقَتْلَى ، وَعَادُوا إِلَى
الْقَلْعَةِ ظَافِرِينَ .

قال دَارْتَانِيَان : « أَتَذْكُرُ أَنَّكَ قُلْتَ إِنَّ مِيلَادِي سَتَكُونُ الْآنَ قَدْ
غَادَرَتْ شَوَاطِئَ فَرَنْسَا ؛ فَإِلَى أَيْنَ سَتَذْهَبُ ؟ »

« إلى إنجلترا . »

« وما هدفها ؟ »

أجاب آئوس : « هدفها أن نغتال دوق بكنجهام ، أو نعمل على اغتياله . ولكن هذا لا يهمني في قليل أو كثير . »

استدار آئوس نحو خادمه ، وقال : « أي جريمو ، اربط قوطه مائدة في ساق خشبية ، وضعها بحيث ترفرف فوق القلعة ؛ فيبين هذا للعدو ، أنهم يتعاملون مع جنود صناديد مخلصين من جنود الملك . »

أطاع جريمو الأمر ، وسرعان ما كان العلم الأبيض يرفرف عالياً فوق الأبطال الأربعة ، فاستقبل ظهور العلم بهتافات عالية من المعسكر .

استمر الأصدقاء الأربعة في تناول طعام الإفطار ، والتحدث عن ميلادي . وارتجفت يدا دارتانيان حين فتح آئوس الورقة التي أجبر ميلادي على أن تسلمه إياها .

قال دارتانيان ، وكأنما في هذه الورقة الحكم بإعدامه : « يجب تمزيق هذه الورقة ! »

قال آئوس : « لا ، فلهاذه الورقة أهمية أكثر مما تظن . »

سأله دارتانيان : « ولكن ، ماذا هي فاعلة الآن ؟ »

رد آئوس : « لا شك في أنها ستكتب للكاردينال ، تبلغه أن فارساً ملعوناً اسمه آئوس أجبرها على أن تسلمه الورقة التي تحميها . ومن المحتمل أن تشير عليه ، في الوقت نفسه ، بالتخلص من صديقه أراميس ويورثوس . وعندئذ يتذكر الكاردينال أننا اعترضنا طريقه أكثر من مرة . وفي صباح جميل مشرق ، عندما يقبض على دارتانيان ، ويلقى في غياهب السجن ، سيرسلوننا إليه لنؤنس وحدته ! »

صاح دارتانيان : « عندي فكرة . »

بادره الثلاثة الآخرون ، في صوت واحد ، قائلين : « ما هي ؟ »

قاطعهم صياح جريمو بقوله : « إلى السلاح ! »

هب الشبان الأربعة المغامرون ، وأمسكوا بنادقهم .

كان العدو القادم ، في هذه المرة ، أكثر عدداً ، كانوا ما بين عشرين وخمسة وعشرين رجلاً . وكانوا كلهم جنوداً مسلحين .

قال يورثوس : « فلنعد إلى المعسكر ، إذ لا أظن أن الجانبين متعادلين تماماً . »

رَدَّ آثُوسُ : « لَنْ يَحْدُثَ هَذَا ؛ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ : أَوَّلًا ، لَمْ نُنْهِ
إِفْطَارَنَا ، وَثَانِيًا ، لَدَيْنَا أُمُورٌ هَامَّةٌ جِدًّا تَجِبُ مُنَاقَشَتَهَا ، وَثَالِثًا ،
لَا يَزَالُ أَمَامُنَا عَشْرُ دَقَائِقَ لِنُكْمِلَ مُدَّةَ السَّاعَةِ ! »

قَالَ أَرَامِيسُ : « فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ، فَلْنَعِدْ خُطَّةً لِلْقِتَالِ . »

قَالَ آثُوسُ : « لَا شَيْءَ أَسْهَلَ مِنْهَا ؛ فِيمَجَرَّدِ اقْتِرَابِ الْعَدُوِّ ،
حَتَّى يَصِيرَ عَلَى مَرْمَى أَسْلِحَتِنَا ، نُطْلِقُ النَّارَ . فَإِنْ اسْتَمَرَّ فِي
الرَّحْفِ ، أَعَدْنَا الْكُرَّةَ ، مَرَّةً وَمَرَاتٍ ، مَا دَامَتْ لَدَيْنَا بِنَادِقُ
مَحْشُوءَةٌ . فَإِنْ اسْتَمَرَّ الْبَاقُونَ فِي هُجُومِهِمْ ، فَلْنَسْتَدْرِجْهُمْ إِلَى
الْخَنْدَقِ أَسْفَلَنَا ، ثُمَّ نَدْفَعُ فَوْقَهُمُ الْجِدَارَ الَّذِي لَا يَزَالُ قَائِمًا
بِمُعْجَزَةٍ . »

أَثْنَى الْجَمِيعُ عَلَى هَذِهِ الْخُطَّةِ ، قَائِلِينَ بِأَنَّهَا رَائِعَةٌ ، وَصَوَّبَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَدَقِيَّتِهِ نَحْوَ جُنْدِيٍّ .

صَاحَ آثُوسُ : « أَطْلِقُوا النَّارَ ! »

وَأُطْلِقَتْ أَرْبَعُ بِنَادِقَ ، فَسَقَطَ أَرْبَعَةُ جُنُودٍ صَرَعى .

وَدَقَّ الْعَدُوُّ طَبُولَهُ بِسُرْعَةٍ أَكْثَرَ ، فَتَقَدَّمَتِ الْفِرْقَةُ الصَّغِيرَةُ عَدُوًّا .
وَاسْتَمَرَّ الْأَرْبَعَةُ فِي إِطْلَاقِ النَّارِ ، وَأَخَذَ الْجُنُودُ فِي السَّقُوطِ ، عَلَى
حِينَ اسْتَمَرَّ الْبَاقُونَ يَتَقَدَّمُونَ .

وَأَخِيرًا ، وَصَلَ اثْنَا عَشَرَ جُنْدِيًّا إِلَى الْخَنْدَقِ أَسْفَلَ جُدْرَانِ
الْحِصْنِ . وَبَدُونِ تَوَقُّفٍ ، أَخَذُوا يَسْتَعِدُّونَ لِلتَّسَلُّقِ ..

صَاحَ آثُوسُ : « وَالْآنَ ، الْجِدَارُ ، الْجِدَارُ ! »

انْقَضَ الْأَرْبَعَةُ ، يُسَاعِدُهُمْ جَرِيْمُو ، عَلَى الْجِدَارِ الضَّخْمِ الَّذِي
يَمِيلُ إِلَى الْخَارِجِ ، فَدَفَعُوهُ بِنَادِقِهِمْ ؛ فَهُوَى إِلَى الْخَنْدَقِ مُحْدَثًا
دَوْنًا هَائِلًا ، وَإِذَا بِصَرَخَاتِ الْجُنُودِ الْمَحْبُوسِينَ فِي الْخَنْدَقِ تَتَعَالَى ،
وَارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الْغُبَارِ ، وَبَدَا السُّكُوتُ الَّذِي أُعْقِبَ
هَذَا ، غَيْرَ عَادِيٍّ .

قَالَ آثُوسُ : « لَسْتُ أَدْرِي ، مَا إِذَا كُنَّا قَدْ أَبَدْنَاهُمْ جَمِيعًا أَوْ

لَا . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « يَبْدُو أَنَّ أَبَدْنَاهُمْ جَمِيعًا . »

صَاحَ آثُوسُ : « لَا ، فَهُنَاكَ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ يَزْحَفُونَ إِلَى

الْخَارِجِ . »

وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَرْبَعَةَ جُنُودٍ ، سَيَّئِي الْحِظِّ ، مُسْرَبِلِينَ بِالتُّرَابِ وَالدَّمِّ ،
كَانُوا فِي طَرِيقِهِمْ دَاخِلَ الْخَنْدَقِ عَائِدِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . كَانُوا هُمْ
وَحْدَهُمُ الْأَحْيَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ الْمُهَاجِمَةِ .

بِالْخَطَرِ ، فِي الْمَدِينَةِ .

قَالَ آثُوس : « يَبْدُو أَنَّهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ لِإِرْسَالِ فِرْقَةٍ كَامِلَةٍ لِقِتَالِنَا .
فَلْيَأْتُوا إِذَا ، فَسَوْفَ تَسْتَغْرِقُ مَسِيرَتُهُمْ رُبْعَ السَّاعَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى
هُنَا ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ، نَكُونُ بِالتَّأَكِيدِ قَدْ فَكَّرْنَا فِي خُطَّةٍ مَا . فَإِنْ
غَادَرْنَا هَذَا الْمَكَانَ ، فَلَنْ نَجِدَ مَكَانًا آخَرَ مُنَاسِبًا . آه ! انْتَظِرُوا لِحُظَّةٍ ؛
فَلَدَيَّ فِكْرَةٌ . »

نادى آثُوس خَادِمَهُ جَرِيمُو ، وَأَشَارَ أَوَّلًا ، إِلَى جُثِّ الْجُنُودِ
الْقَتْلَى فِي الْقَلْعَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْحَوَائِطِ ، وَأَخِيرًا إِلَى قُبُعَاتِهِمْ
وَيَنَادِيهِمْ ، فَصَاحَ دَارْتَانِيَان : « يَا لَكَ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ ! لَقَدْ فَهِمْتُ
الآن . »

قَالَ بُوْرثُوس : « أَحَقًّا ؟ »

قَالَ أَرَامِيس : « هَلْ فَهِمْتُ ، يَا جَرِيمُو ؟ »

وَكَانَ جَرِيمُو مُنْهَمِكًا فِي الْعَمَلِ .

قَالَ آثُوس : « وَالْآنَ ، هِيَا لِنُنْفِذِ الْفِكْرَةَ . هَذِهِ الْمَخْلُوقَةُ ، هَذِهِ
الْمَرَأَةُ الشَّرِيرَةُ الَّتِي تُدْعَى مِيلَادِي ، أَلَيْسَ لَهَا أَخُو زَوْجٍ ،
يَا دَارْتَانِيَان ؟ »

« بَلَى ، وَأَعْرِفُهُ جَيِّدًا ، كَمَا أَعْرِفُ أَيضًا أَنَّ عِلَاقَتَهُ بِأَرْمَلَةِ أَخِيهِ

الفصل الرابع والعشرون خَاتَمٌ يَحُلُّ مُشْكِلَةَ خَطِيرَةٍ

قَالَ آثُوس : « سَادَتِي ، لَنَا الْآنَ سَاعَةٌ كَامِلَةٌ دَاخِلَ الْقَلْعَةِ ، لِذَا
فَقَدْ كَسَبْنَا الرُّهَانَ ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ الْمَغَادَرَةَ حَتَّى يُخْبِرَنَا دَارْتَانِيَان
بِفِكْرَتِهِ . »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « فِكْرَتِي ، أَنْ نَذْهَبَ إِلَى إِنْجِلْتِرَا وَنَحْذِرَ
بِكِنْجَهَام . كُنْتُ هُنَاكَ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَأَتْنِي عَلَى هَذَا الدُّوْقِ كَثِيرًا عَنْ
دُورِي فِي مَاسَاتِ الْمَلِكَةِ . »

قَالَ آثُوس : « لَا ، لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ، يَا دَارْتَانِيَان !
فَعِنْدَمَا ذَهَبْتَ إِلَى إِنْجِلْتِرَا ، قَبْلَ الْيَوْمِ ، لَمْ نَكُنْ فِي حَرْبٍ مَعَهَا .
أَمَّا الْآنَ ، فَنَحْنُ فِي حَرْبٍ مَعَهَا ، وَبِكِنْجَهَامِ عَدُوْنَا ، وَزِيَارَتِكَ إِيَّاهُ
تَعْدُ خِيَانَةً عَظْمَى ! »

لَمْ يَمُضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى قَطَعَ حَدِيثَهُمْ صَفَارَةُ الْإِنْدَارِ الْعَامِ

لَيْسَتْ كَمَا يَجِبُ .»

عَقَّبَ آثُوسُ بِقَوْلِهِ : « إِنْ كَانَ يَمَقُّتُهَا ، فَهَذَا أَفْضَلُ .»

قَالَ پُورْثُوسُ : « رَغِمَ ذَلِكَ ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَا يَفْعَلُهُ جَرِيمُو .»

قَالَ أَرَامِيسُ : « اسْمَعْ ، يَا پُورْثُوسُ !»

قَالَ آثُوسُ : « مَا اسْمُ شَقِيقِ زَوْجِهَا هَذَا ؟»

« لُورْدُ وَيَنْتِرُ .»

« وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟»

« لَقَدْ عَادَ إِلَى إِنْجِلْتِرَا عِنْدَ أَوَّلِ إِشَارَةِ لِلْحَرْبِ .»

« حَسَنٌ ، فَلْنَحْدِرْهُ ، وَنَخْبِرْهُ بِزِيَارَتِهَا وَهَدَفِهَا . وَبِقِينَا ، سَيَجِدُ لَهَا

مَكَانًا يُمْكِنُ أَنْ يَسْجُنَهَا فِيهِ ، وَعِنْدَئِذٍ نَحْطِي بِالْأَمَانِ .»

قَالَ پُورْثُوسُ : « رَغِمَ عَدَمُ قُدْرَتِنَا عَلَى تَرْكِ الْمَعْسَكِ لِلذَّهَابِ إِلَى

إِنْجِلْتِرَا ، فَيُوسَعُ رِجَالُنَا أَنْ يَفْعَلُوا .»

قَالَ أَرَامِيسُ : « بِالطَّبَعِ يَسْتَطِيعُونَ . فَلْنَكْتُبْ خِطَابًا ، وَنَزُوذْ

رَسُولَنَا بِالْمَالِ الْكَافِي ، وَبُوسَعِهِ أَنْ يَرْحَلَ الْيَوْمَ .»

قَالَ آثُوسُ : « مَالٌ ! هَلْ مَعَكُمْ أَيُّ مَالٍ ؟»

نَظَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ إِلَى الْآخَرِ بِوَجْهِ مُكْفَهَرٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّهُمْ هُمُ الْأَرْبَعَةُ جَمِيعًا ، لَا يُمَكِّنُهُمْ تَدْيِيرُ الْمَالِ الْكَافِي لِتِلْكَ
الرَّحْلَةِ .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ وَهُوَ يَقْفِزُ مُنْتَصِبًا عَلَى قَدَمَيْهِ : « احْتَرِسُوا ! لَقَدْ

تَكَلَّمْتُ عَنْ فِرْقَةٍ مِنَ الْجُنُودِ ، يَا آثُوسُ ، وَلَكِنْ هَا هُوَ ذَا جَيْشٌ

قَادِمٌ .»

قَالَ آثُوسُ : « أَقْسِمُ بِشَرَفِي إِنَّكَ لَعَلَى حَقٍّ . هَلِ انْتَهَيْتَ مِنْ

عَمَلِكَ ، يَا جَرِيمُو ؟»

أَشَارَ جَرِيمُو إِلَى الْاِثْنَيْ عَشْرَةَ جُثَّةِ الَّتِي صَفَّهَا عَلَى الْحَائِطِ :

بَعْضُهَا يَحْمِلُ بِنَادِقَ ، وَبَعْضُ آخَرٍ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ يَصُوبُهَا ، وَبِمَسِكَ

الْبَاقُونَ السُّيُوفَ فِي أَيْدِيهِمْ .

صَاحَ آثُوسُ : « مَرَحَى ! مَرَحَى ! هَذَا عَمَلٌ عَظِيمٌ يُشْرِفُكَ ،

يَا جَرِيمُو !»

قَالَ پُورْثُوسُ : « هَذَا رَائِعٌ ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَفْهَمَ !»

« فَلْنَنْصَرِفْ مِنْ هُنَا الْآنَ ، وَنَسْتَفْهَمْ فِيمَا بَعْدُ .»

كَانَ جَرِيمُو قَدْ انْصَرَفَ بِسَلَّةِ الْإِفْطَارِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي إِثْرِهِ

الأصدقاء الأربعة ، إلا أنهم بمجرد أن غادروا القلعة حتى توقف
آئوس .

سأله أراميس : « هل نسيت شيئاً ؟ »

« العلم ! يجب ألا نترك العلم في أيدي العدو ، حتى ولو كان
مجرد فوطه مائدة ! »

قال هذا ، وجرى عائداً إلى القلعة ، فتسلق إلى القمة ، وأنزل
فوطه المائدة . وفي تلك الآونة ، كان العدو على مرمى البنادق ،
فلما أبصر رجلاً يعرض نفسه لهم بغباء ، أطلق النار عليه .

لم يصب آئوس ، وكأنه يحمل تعويذة سحرية . ومع ذلك ،
فقد احترقت ثلاث طلقات الفوطه ، وجعلت منها علماً حقيقياً !

نزل آئوس ، وانضم إلى أصدقائه الذين كانوا ينتظرونه بهدوء ،
وأداروا ظهورهم إلى القلعة ، متجهين نحو المعسكر بخطى وثيدة .

بعد ذلك بلحظة ، سمعوا أصوات طلقات سريعة متلاحقة .

صاح بورثوس : « ما هذا ؟ على أي شيء يطلقون قذائفهم
الآن ؟ ما من قذائف تنفذ إلى هذه الناحية ، ولا يمكنني أن أرى
أحدًا . »

« إنهم يطلقون القذائف على الجثث التي في القلعة . »



« وَلَكِنَّ الْمَوْتَى لَا يُمَكِّنُهُمُ الرُّدُّ عَلَى نِيرَانِهِمْ ! »

« بِالطَّبَعِ لَا . وَلَكِنْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَكْتَشِفُ فِيهِ الْجَيْشُ
الْحِيلَةَ ، نَكُونُ نَحْنُ فِي أَمَانٍ بَعِيداً عَنْ مَدَى نِيرَانِهِمْ . وَلِهَذَا
السَّبَبُ ، لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْجَرِيِّ لِكَيْلَا نُصَابَ بِالْبَرْدِ . »

صَاحَ بُوْرْثُوسُ بِدَهْشَةٍ : « رَبَّاهُ ! الْآنَ فَهَمْتُ ! »

قَالَ آثُوسُ وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ بِطُءٍ : « أَخيراً ! »

إِلَّا أَنَّ الْقَذَائِفَ سَرَّعَانَ مَا أُطْلِقَتْ عَلَى الْمُغَامِرِينَ الْأَرْبَعَةَ ؛ فَقَدْ
اسْتَوْلَى الْعَدُوُّ عَلَى الْقَلْعَةِ .

قَالَ آثُوسُ : « أَقْسِمُ بِشَرَفِي ، إِنَّهُمْ جُنُودٌ مَسَاكِينُ ! لَسْتُ أَذْرِي
كَمْ قَتَلْنَا مِنْهُمْ ، رَبَّما اثْنَيْ عَشَرَ . »

« أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ . »

« وَكَمْ سَحَقْنَا تَحْتَ الْجِدَارِ ؟ »

« ثَمَانِيَةَ أَوْ عَشْرَةَ . »

« وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ، لَمْ نُصَبْ بِخَدَشٍ . وَلَكِنْ مَاذَا أَصَابَ يَدَكَ
، يَا دَارْتَانِيانُ ؟ يَبْدُو أَنَّهَا تَنْزِفٌ . »

قَالَ دَارْتَانِيانُ : « إِنَّهُ لَا شَيْءَ ، انْحَشَرَتْ أَصَابِعِي بَيْنَ حَجَرَيْنِ

فَقُطِعَ الْجِلْدُ . هَذَا هُوَ كُلُّ مَا حَدَثَ . »

عَقَّبَ آثُوسُ قَاتِلاً : « هَذَا نَتِيجَةُ لُبْسِ الْمَاسِ ، يَا صَدِيقِي
الصَّغِيرِ . »

صَاحَ بُوْرْثُوسُ : « أَيْوَجِدُ هَذَا الْمَاسَ وَنَشْغُلُ أَنْفُسَنَا بِمَوْضُوعِ
الْمَالِ ؟ »

قَالَ آثُوسُ : « هَذَا تَفْكِيرٌ صَائِبٌ ، يَا بُوْرْثُوسُ ! فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَكَ
فِكْرٌ يَعْتَدُّ بِهِ ! »

قَالَ بُوْرْثُوسُ مُبْتَهِجاً لِسَمَاعِ إِطْرَاءِ آثُوسِ عَلَيْهِ : « طَبْعاً ، طَالَمَا
تُوجَدُ مَاسَةً ، فَلَنَبْعَهَا . »

قَالَ دَارْتَانِيانُ : « وَلَكِنَّهَا الْمَاسَةُ الَّتِي أَعْطَتْنيهَا الْمَلِكَةُ ! »

قَالَ آثُوسُ : « هَذَا سَبَبٌ أَقْوَى لِبَيْعِهَا . أَلَنْ نُنْقِذَ بِهَا صَدِيقَ
الْمَلِكَةِ ، دُوقَ بَكِنْجَهَامِ ؟ مَا رَأَيْكَ يَا أَرَامِيسَ ، وَقَدْ أُعْطِيَ بُوْرْثُوسُ
رَأْيَهُ ؟ »

قَالَ أَرَامِيسُ ، فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ رَقِيقٍ : « حَيْثُ إِنَّ هَذَا الْخَاتَمَ
لَمْ يُعْطَ كَدَلِيلٍ لِلصَّدَاقَةِ ، بَلْ مُكَافَأَةً عَلَى خِدْمَاتٍ جَلِيلَةٍ ، فَلَا
أَرَى مَانِعاً مِنْ بَيْعِهِ . »

قال آئوس : « أَنْتَ تَتَكَلَّمُ كَوَاعِظِ الْمُسْتَقْبَلِ ، يَا عَزِيزِي أَرَامِيس .
نَصِيحَتُكَ ... ؟ »

قاطعه أراميس قائلاً : « يبيعوا الماسة . »

قال دارتانيان : « إِذَا ، فَلْنَبْعِ الْمَاسَةَ . »

قال آئوس : « نَحْنُ الْآنَ عَلَى مَشَارِفِ الْمَعْسَكِرِ ، يَا سَادَةُ ، فَلَا
تَتَقَوَّهُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ . »

الفصل الخامس والعشرون
دارتانيان يُحَقِّقُ أَعْظَمَ رَغْبَاتِهِ
وَأَرَامِيس يَخْطُ خِطَابًا صَعْبًا

تَجَمَّعَ آلافُ الْجُنُودِ عِنْدَ حُدُودِ الْمَعْسَكِرِ ، وَهُمْ يَمْلَأُونَ الْجَوَّ
صِيحًا حِينَ هَلَّ الْأَرْبَعَةُ مِنْ مُغَامَرَتِهِمُ الْمَجِيدَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ يَدُونَ
تَعْقِلُ . وَلَمْ يَفْطَنُ أَيُّ فَرْدٍ لِعَرْضِهَا الْحَقِيقِيِّ . وَلِبَعْضِ الْوَقْتِ مَا
كَانَ يُسْمَعُ سِوَى : « يَحْيَا الْفُرْسَانُ » وَ « يَحْيَا الْحَرَسُ » . وَالْوَاقِعُ أَنَّ
الْأَصْوَاتَ عَدَّتْ صَاحِبَةً ، حَتَّى إِنَّ الْكَارْدِينَالَ أَرْسَلَ قَائِدَ الْحَرَسِ
لِيَسْتَطْلَعَ مَا يَجْرِي هُنَاكَ .

لَمْ يَمُضِ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى رَجَعَ قَائِدُ الْحَرَسِ إِلَى الْكَارْدِينَالَ
بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ .

قال القائد : « تَرَاهُنَ ثَلَاثَةُ فُرْسَانٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْحَرَسِ التَّابِعِ لِلسَّيِّدِ
دِسَّارِ ، مَعَ السَّيِّدِ دِي بوسيني ، يَا سَيِّدِي ، عَلَى أَنَّ يَوْسَعِهِمْ أَنَّ
يَتَنَاوَلُوا إِفْطَارَهُمْ فِي الْقَلْعَةِ ، وَيَظْلُقُوا بِهِ مُدَّةَ سَاعَةٍ كَامِلَةٍ . وَيَبْدُو

أَنَّهُمْ مَكَثُوا فِي الْقَلْعَةِ قُرَابَةَ سَاعَتَيْنِ ، لَا سَاعَةً وَاحِدَةً . وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْقَلْعَةِ رَغْمَ عِدَّةِ هَجَمَاتٍ قَامَ بِهَا الْعَدُوُّ . وَقَتَلُوا عَدَدًا لَا أَسْتَطِيعُ حَصْرَهُ .

« هَلْ عَرَفْتَ أَسْمَاءَ أَوْلَيْكَ الْفُرْسَانِ الثَّلَاثَةِ ؟ »

« أَجَلٌ ، يَا سَيِّدِي . إِنَّهُمْ السَّادَةُ آثُوسَ وَيُورْثُوسَ وَأَرَامِيسَ . »

تَمَّتْ الْكَارْدِينَالُ : « أَوْلَيْكَ الثَّلَاثَةُ ، مَرَّةً أُخْرَى ؟ وَمَنْ الْحَارِسُ ؟ »

« السَّيِّدُ دَارْتَانِيَانُ ، يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الْكَارْدِينَالُ لِنَفْسِهِ : « آه ! الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ أَلْحِقَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ بِخِدْمَتِي . »

وَعِنْدَ الظُّهَيْرَةِ ، تَحَدَّثَ الْكَارْدِينَالُ إِلَى السَّيِّدِ دِي تَرِيفِي عَنْ مُغَامَرَةِ الصَّبَاحِ ، وَحَاوَلَ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِ أَلَّا يَكْثَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَنْهَا ، إِذْ كَانَتْ حَدِيثَ الْمُعْسَكِرِ كُلِّهِ . وَعَلِمَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي ، بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِ هَذَا الْأَمْرِ ، مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَنْفُسِهِمْ ، فَأَعَادَ الْقِصَّةَ لِلْكَارْدِينَالِ ، بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا ، وَلَمْ يَنْسَ دَوْرَ فُوطَةِ الْمَائِدَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا عِلْمًا .

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « هَذَا رَائِعٌ ! أَرْجُوكَ أَنْ تُرْسِلَ لِي فُوطَةَ الْمَائِدَةِ

بِكَ ، وَسَامُرُ بِأَنْ يُطَرِّزَ عَلَيْهَا بِخُيُوطِ الذَّهَبِ ، ثَلَاثَ زَهْرَاتِ نُرْجِسٍ ، ثُمَّ أَهْدِيهَا لِفُرْسَانِكَ كَعَلَمٍ فَخَارٍ لَهُمْ . »

قَالَ السَّيِّدُ دِي تَرِيفِي ، بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ : « لَنْ يَكُونَ هَذَا عَدْلًا لِرِجَالِ الْحَرَسِ ، يَا سَيِّدِي ! فَلَيْسَ السَّيِّدُ دَارْتَانِيَانُ تَابِعًا لِي ، بَلْ هُوَ مِنْ رِجَالِ الْحَرَسِ ، تَحْتَ إِمْرَةِ السَّيِّدِ دِيسَارِ . »

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « إِذَا ، فَسَأَجْعَلُهُ فَارِسًا ! فَعِنْدَمَا يَلْتَحِمُ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَعًا فِي صِدَاقَةٍ وَطِيدَةٍ ، فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يَعْمَلُوا مَعًا . »

حِينَ سَمِعَ دَارْتَانِيَانُ هَذَا النَّبَأَ أَحْسَّ بِفَرَحَةٍ عَارِمَةٍ تَجَنَّحَ كَيْانُهُ ؛ إِذْ كَانَ حَلُمَ حَيَاتِهِ أَنْ يَصِيرَ فَارِسًا . وَلَمْ يَكُنْ أَصْدِقَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ بِأَقْلٍ مِنْهُ فَرَحًا .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « يَا لِلسَّمَاءِ ! لَقَدْ أَتَتْ فِكْرَتُكَ يَا آثُوسَ ، بِأَعْظَمِ مِمَّا ظَنَنْتَ ؛ فَقَدْ اكْتَسَبْنَا بِالْمَجْدِ ، وَصِرْتُ فَارِسًا ، رَغْمَ سِرِّيَّةِ هَدَفِنَا . »

قَالَ آثُوسَ : « نَعَمْ ، وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ ، فَسَيَظِلُّ حَدِيثُنَا سِرِّيًّا ، دُونَ أَنْ يَشْتَبِهَ فِينَا أَحَدٌ ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَرَى فِيهَا مَعًا . »

فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، قَدَّمَ دَارْتَانِيَانُ نَفْسَهُ لِلْسَّيِّدِ دِيسَارِ ، قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى فِرْقَةِ الْفُرْسَانِ . وَكَانَ السَّيِّدُ دِيسَارُ يُجِلُّ دَارْتَانِيَانُ كَثِيرًا ، فَعَرَضَ

عَلَيْهِ نَقُودًا لِتَغْطِيَةَ نَفَقَاتِ حُلَّتِهِ الْجَدِيدَةِ ، وَالْمَطَالِبِ الْأُخْرَى الْلاَزِمَةَ لَهُ ، فَشَكَرَهُ دَارْتَانِيَانِ فِي أَدَبٍ جَمٍّ ، رَافِضًا قَبُولَ آيَةٍ مُسَاعَدَةٍ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ . إِلَّا أَنَّهُ انْتَهَزَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، وَطَلَبَ مِنَ السَّيِّدِ دِيسَارٍ أَنْ يَثْمَنَ لَهُ الْمَاسَةَ ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ بَيْعَهَا . وَبَعْدَ ظَهْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ، ذَهَبَ خَادِمُ السَّيِّدِ دِيسَارٍ إِلَى دَارْتَانِيَانِ ، فَسَلَّمَهُ كَيْسًا يَحْوِي سَبْعَةَ آلَافٍ جَنِيَّةٍ ، ثَمَّنَا لِخَاتَمِ الْمَلِكَةِ الْمَاسِيِّ .

بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةِ أَمْسِيَّاتٍ ، تَقَابَلَ الْأَصْدِقَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، لِيَكْمِلُوا حَدِيثَهُمُ الْخَاصَّ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكْتُبُوا الرِّسَالَةَ ، وَيَقْرَرُوا مَنْ مِنْ رِجَالِهِمْ سَيَحْمِلُهَا . وَبَعْدَ مُنَاقَشَةٍ طَوِيلَةٍ ، عَاهَدُوا بِكِتَابَةِ الرِّسَالَةِ إِلَى أَرَامِيسَ ، الْعَالِمِ ، وَوَاعَظَ الْمُسْتَقْبَلِ ، فَكَتَبَ الرِّسَالَةَ التَّالِيَةَ :

سَيِّدِي اللُّورد :

تَشْرَفُ كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ الْقَلِيلَةِ بِأَنْ تَبَارِرَ بَعْدَكَ فِي سَامَةِ مَسِيحَةِ فُلْفِ اللُّوْثَر . وَإِنْ أَقَرَرْتُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، أَنَّكَ صَدِيقُ هَذَا الشَّخْصِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ وَاجِبِهِ عَلَى طَرِيقِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ ، أَنْ يَرْسِلَ إِلَيْكَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ . لَقَدْ كَدْتُ ، زَانِ مَرَّةً ، أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّةَ إِهْدَى قَرِيبَاتِكَ ، الَّتِي تَعْتَقِدُ أَنَّهَا وَارِثَتُكَ الْوَهِيدَةَ ؛ لِأَنَّكَ تَجْهَلُ أَنَّهَا قَبْلَ



زواجها في إنجلترا ، كانت متزوجة في فرنسا
ولكنك قد تموت هذه المرة !

لقد غادرت قريبتك روشيل إلى إنجلترا ،
أثناء الليل ؛ فترقب وصولها ، لأن لديها هططا
عظمى رهيبية وإذا أردت أن تعرف ماهي
قادرة على فعله فاقرأ تاريخ ماضيها على كتفي
اليسرى !

وبعد الفراغ من الرسالة ، قرروا إرسال بلانشيه ، خادم دارتانيان ،
بها إلى لندن ، ونودي عليه ، وزود بالتعليمات ، مع سبعمئة جنيه
مصرفا للرحلة ، ووعد بسبعمئة جنيه أخرى عند عودته ظاهرا .

وقال له دارتانيان : « والآن ، أمامك ثمانية أيام لكي تصل إلى
لورد وينتر ، وثمانية أيام للعودة . فإذا لم ترجع في الساعة الثامنة
مساء ، بعد ستة عشر يوما من الغد ، حتى ولو تأخرت خمس
دقائق ، فلن يكون لك نقود أخرى ! »

قال بلانشيه : « إذا ، فلتشتري لي ساعة . »

قال أتوس ، وقد تفضل بإعطائه ساعتة : « إليك هذه . ولكن
تذكر أنك إن تفوّهت بشيء ، أو احتسيت خمرًا ، فستعرض حياة
سيدك للخطر . وتذكر أيضا ، أنه إذا أصاب دارتانيان أي سوء ، من

جاء خطأ منك ، فسأجذك أينما كنت ، وأقطعك إربا إربا ! »

وأضاف پورثوس ، وهو يدير عينيه النجلاوين : « وسأسلكك
حيًا ! »

وعقب أراميس ببطء ، بصوته الرقيق المألوف : « سأشويك فوق
نار هادئة ! »

افتاد دارتانيان خادمه خارجا ، وتحدث إليه بهدوء وجدية ،
قائلا : « إنك تعرف أصدقائي الثلاثة حق المعرفة . لقد تكلموا
معك بهذه الطريقة ، بدافع محبتهم لي . »

قال بلانشيه وقد اغرورقت عيناه بالدموع : « سوف أنجح ،
يا سيدي ، أو أقتل في هذه المحاولة . »

قال دارتانيان : « اذهب الآن واسترح ، واحفظ الرسالة عن ظهر
قلب ، ثم أخفها في بطانة سترتك . »

في الصباح التالي ، عندما كان بلانشيه موشكا على الخروج
في رحلته ، انتحى به دارتانيان جانبا ، وقال له : « اصنع إلي جيدا ،
يا بلانشيه . بعد أن تسلم الرسالة إلى لورد وينتر ، وبعد أن يقرأها ،
قل له أن يحرس صاحب السمو ذوق بكنجهام ، لأنهم يخططون
لاغتياله . هذه مسألة خطيرة ، يا بلانشيه ، سرية لدرجة أنها أئمن

مِنْ حَيَاتِي أَنَا ! فَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي أَعْهَدُ بِهَا إِلَيْكَ .
رَدُّ پلَانْشِيه : « تَأْكُدْ ، يَا سَيِّدِي ، مِنْ أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقَّتَكَ فِيمَنْ
تَجِدُّرُ الثَّقَّةَ بِهِ . »

الفصل السادس والعشرون الْعَدَالَةُ

فِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ تَمَامًا ، بَعْدَ الْيَوْمِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَحِيلِ
پلَانْشِيه ، عَادَ الرَّجُلُ وَقَدَّمَ نَفْسَهُ لِسَيِّدِهِ ، وَدَسَّ مَذْكُرَةً فِي يَدِهِ .

هَمَسَ دَارْتَانِيَانُ لِأَصْدِقَائِهِ قَائِلًا : « مَعِيَ الْمَذْكُرَةُ . »

قَالَ آئُوسُ : « هَذَا رَائِعٌ ! فَلْنَذْهَبْ إِلَى الْبَيْتِ وَنَقْرَأْهَا . »

كَانَ بَيْتُكَ الْمَذْكُورَةَ نِصْفُ سَطْرِ مُدَوَّنٍ بِخَطِّ إِنْجِلِيزِيٍّ وَاضِحٍ :

« شُكْرًا ، لَا تَقْلُقْ ! »

أَخَذَ آئُوسُ الْمَذْكُورَةَ وَأَحْرَقَهَا ، وَانْتَظَرَ حَتَّى تَمَّ احْتِرَاقُهَا تَمَامًا
وَصَارَتْ رَمَادًا .

قَالَ دَارْتَانِيَانُ لِپلَانْشِيه : « وَالْآنَ ، يَا رَجُلِي ، اذْهَبْ إِلَى الْفِرَاشِ
وَتَمَّ نَوْمًا عَمِيقًا . »

« نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي ، وَسَتَكُونُ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنَامُ فِيهَا ، طَوَالَ سِتَّةِ
عَشَرَ يَوْمًا . » فَقَالَ الْأَرْبَعَةُ مَعًا : « وَنَحْنُ أَيْضًا . »

تَسَلَّمَ اللُّوردُ وَيَشْرُ الرِّسَالَةَ الَّتِي حَمَلَهَا پلَانْشِيه ، وَكَانَ لَدَيْهِ
مَتَّسِعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِمُرَاقَبَةِ مِيلَادِي فِي جَمِيعِ الْمَوَاقِعِ الْجَنُوبِيَّةِ بِإِنْجِلْتَرَا .
وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ مِيلَادِي إِلَى شَاطِئِ إِنْجِلْتَرَا ، قُبِضَ عَلَيْهَا فِي
الْحَالِ ، وَسُجِنَتْ بِمُوَافَقَةِ ذُوقِ بَكِنْجْهَامِ ، فِي أَحَدِ قُصُورِ اللُّوردِ
وَيَشْرُ ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ النِّسَاءِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ . فَلَوْ
عَرَفَ ذَلِكَ ، لَمَا تَرَكَهَا بَعِيدًا عَنْ نَاضِرِيهِ لِلْحَفَظَاتِ ، وَلَقَيَّدَ يَدَيْهَا
وَقَدَمَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ ، وَلَرَبَطَهَا فِي جِدَارٍ ، وَاحْتَفَظَ بِمَفَاتِيحِ زَنْزَانَتِهَا
مَعَهُ هُوَ شَخْصِيًّا .

تَمَكَّنَتْ مِيلَادِي مِنَ الْهُرُوبِ ، بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ أُسْبُوعٍ ، وَاخْتَفَى
مَعَهَا سَجَانُهَا السَّيِّدُ فِيلْتُونُ ، وَهُوَ ضَاطِطٌ بِحَرِيٍّ سَابِقٍ ، صَغِيرُ
السِّنِّ . وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِيِ لِهُرُوبِهَا ، كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ سَفِينَةٍ
مُغَادِرَةٍ إِلَى فَرَنْسَا .

وَكَانَ اللُّوردُ وَيْتَرُ قَدْ عَهِدَ إِلَى فِيلْتُونِ بِأَسِيرَتِهِ الْجَمِيلَةِ . وَكَانَتْ وَظِيفَةُ هَذَا السَّجَّانِ ، الإِشْرَافَ عَلَى وَجَبَاتِ طَعَامِ السَّجِينَةِ ، وَمُلاحِظَةَ تَغْيِيرِ الحُرَّاسِ كُلِّ سَاعَتَيْنِ ، وَأَنْ يَحْتَفِظَ مَعَهُ دَائِمًا ، بِمِفْتَاحِ زَنْزَانَتِهَا . وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا اكْتَشَفَتْ مِيلَادِي أَنَّ فِيلْتُونِ يَمَقُّتُ دُوقَ بَكِنْجَهَامِ ، مَقْتَهُ السُّمُّ ؛ لِأَنَّهُ عَارِضَ فِي تَرْقِيَّتِهِ أَثْنَاءَ خِدْمَتِهِ فِي البَحْرِيَّةِ ، وَبِذَا أَجْبَرَهُ عَلَى الخِدْمَةِ عَلَى الشَّاطِئِ . وَسَرِيعًا مَا أَشْعَلَتْ مِيلَادِي نَارَ حَقْدِهِ ، فَاخْتَلَقَتْ بَعْضَ الأكَاذِيبِ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّهَا هِيَ أَيْضًا مِنْ ضَحَايَا ذَلِكَ الدُّوقِ . وَقَالَتْ إِنَّهَا اسْتَدْرَجَتْ إِلَى إِنْجِلْتِرَا بِخُدْعَةٍ ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهَا ، وَسُجِنَتْ زُورًا بِأَوَامِرِ الدُّوقِ ، لِأَنَّهَا رَفَضَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ سَجَنَهَا الدُّوقُ لِيُعَذِّبَهَا حَتَّى تَرْضَعَ لَهُ وَتَتَزَوَّجَهُ .

وَسَرَعَانَ مَا أَثَارَتْ مِيلَادِي عَطْفَ هَذَا السَّجَّانِ الصَّغِيرِ ، بِجَمَالِهَا وَدُمُوعِهَا وَأَكَاذِيبِهَا . بَعْدَ ذَلِكَ ، بِوَقْتِ قَصِيرٍ ، أَقْنَعَتْهُ بِأَنْ يَقْتُلَ الدُّوقَ الشَّرِيرَ ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ أَدَّى عَمَلًا نَبِيلًا ، إِذْ سَيِّقَلُ شَرَفَ فِتَاةٍ بَرِيئَةٍ مَهِيضَةِ الجَنَاحِ ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ ، يُخَلِّصُ إِنْجِلْتِرَا مِنْ رَجُلٍ قَاسٍ ظَالِمٍ .

تَأَخَّرَ إِنْخِطَارُ اللُّوردِ وَيْتَرِ ، لِيَضَعَ سَاعَاتٍ ، بِهَرُوبِ مِيلَادِي ، وَاخْتِفَاءِ فِيلْتُونِ الْمَفَاجِئِ . وَعَلَى الْفَوْرِ أُرْسِلَ الْخَبْرُ إِلَى بَكِنْجَهَامِ

لِتَحْذِيرِهِ مِنَ الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِهِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ ، إِذْ نَفَذَ الْقَاتِلُ فِيلْتُونُ جَنَايَتَهُ الشَّنِيعَةَ . وَهَكَذَا ، أَنْجَزَتْ مِيلَادِي الْمُهْمَةَ الْمُوَكَّلَةَ إِلَيْهَا ، رَغْمَ سَجْنِهَا . وَمِنْ ثَمَّ يَقَعُ إِنَّهُ هَذِهِ الْجَنَايَةُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْمُتَقَدَّةُ الْفَعْلِيَّةُ لِلجَرِيمَةِ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ ، سَافَرَ لُوردُ وَيْتَرُ إِلَى فَرَنْسَا لِيُطَارِدَ مِيلَادِي . وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبَعَ حَرَكَاتِ مِثْلِ هَذِهِ الْمُسَافِرَةِ الْحَسَنَاءِ ، الَّتِي كَانَتْ تَدْفَعُ أَجْرَ الخِدْمَاتِ بِالذَّهَبِ ، فِي مُخْتَلَفِ الْفَنَادِقِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهَا . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بِيْتُونِ ، لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا هُنَاكَ ، إِذْ كَانَتْ قَدْ رَحَلَتْ قَبْلَ وُصُولِهِ بِوَقْتِ قَصِيرٍ إِلَى أَرْمَانْتِيرِ . وَلَكِنْ ، وَكَأَنَّ يَدَ الْقَدَرِ قَدْ تَدَخَّلَتْ ، التَقَى هُنَاكَ آثُوسُ وَبُورْتُوسُ وَأَرَامِيسُ وَدَارْتَانِيَانُ ، الَّذِينَ تَصَادَفَ وُجُودُهُمْ فِي بِيْتُونِ لِأَمْرِ خَاصٍّ ، فَأَخْبَرَهُمْ لُوردُ وَيْتَرُ بِكُلِّ مَا حَدَثَ .

قَالَ اللُّوردُ وَيْتَرُ : « وَهَكَذَا تَرَوْنَ أَنَّهُ يَجِبُ اتِّخَاذُ الْخُطُوبِ اللَّازِمَةِ لِلْقَبْضِ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الشَّرِيرَةِ ، وَمُعَاقِبَتِهَا بِأَسْرَعِ مَا يُمَكِّنُ . هَذَا وَاجِبٌ يَنْبَغِي إِنْجَاؤُهُ ؛ إِذْ اكْتَشَفْتُ حَدِيثًا ، أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي مَوْتِ أَخِي ؛ بِأَنْ دَسَّتْ لَهُ السُّمُّ . »

هَبَّتْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَاصِفَةٌ هَوْجَاءُ ، غَيْرَ أَنَّهُ رَغْمَ الْوَابِلِ

الْمُنْهَمِر ، خَرَجَ آثُوسُ وَحْدَهُ فِي الظَّلَامِ ، وَقَامَ بِجَوْلَةٍ خَاطِفَةٍ فِي
تِلْكَ الْقَرْيَةِ .

تَأَخَّرَ الذَّهَابُ إِلَى أَرْمَانْتِير ، فِي الصَّبَاحِ التَّالِي لِبَعْضِ الْوَقْتِ ،
إِلَى حَيْنِ مَجِيءِ رَجُلٍ طَوِيلِ الْقَامَةِ ، مُقَنَّعٍ ، يَرْتَدِي مِعْطَفًا طَوِيلًا
أَحْمَرَ اللَّوْنِ . لَمْ يَتَبَيَّنْ أَيُّ فَرْدٍ مِنْ يَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، سِوَى آثُوسِ
الَّذِي كَانَ رَئِيسَ الْفِرْقَةِ .

وَلَمْ يَقُمْ آثُوسُ بِتَعَارُفِهِمْ ، لِذَا لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَسْئَلَةٍ . وَامْتَلَطُوا
جَمِيعًا خِيُولَهُمْ ، وَجَاسُوا فِي سُكُونٍ خِلَالَ الْوَحْلِ الْكَثِيفِ وَالْمَطَرِ
الغَزِيرِ .

انْتَهَتْ مُطَارَدَةُ مِيلَادِي فِي أَرْمَانْتِير ، فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ ذَلِكَ
الْمَسَاءِ . وَبَدَأَتْ مُحَاكَمَتُهَا عَلَى الْقَوْرِ ، بِدُونِ إِجْرَاءَاتٍ رَسْمِيَّةٍ ،
وَكَانَ الشُّهُودُ هُمْ آثُوسُ وَبُورْتُوسُ وَأَرَامِيسُ وَدَارْتَانِيَانُ وَلُورْدُ وَيَشْتَرُ
وَالرَّجُلُ الطَّوِيلُ الْمُقَنَّعُ . وَصَدَرَ الْحُكْمُ بِالْإِعْدَامِ بِيَدَيِ الْجَلَادِ
الْعَامِّ .

كَانَتْ السَّاعَةُ تَقْتَرِبُ مِنْ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ ، عِنْدَمَا خَرَجَ الْفَرِيقُ
وَمَعَهُمْ مِيلَادِي فِي آخِرِ رَحْلَةٍ لَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا . وَكَانَتْ
الْعَاصِفَةُ قَدْ هَدَأَتْ ، وَكَأَنَّ الطَّبِيعَةَ نَفْسَهَا قَدْ افْتَنَعَتْ أَخِيرًا بِوُجُوبِ
الْقِصَاصِ وَتَنْفِيدِ حُكْمِ الْعَدَالَةِ . وَكَانَ الْقَمَرُ الشَّاحِبُ فِي أَعْقَابِ

أَثَارِ الْعَاصِفَةِ قَدْ بَدَأَ أَحْمَرَ بِلَوْنِ الدَّمِ ، وَيُظْهَرُ مُنْخَفِضًا فِي السَّمَاءِ .
وَأَمَامَ خَلْفِيَّةٍ مِنَ الضُّوءِ الْبَاهِتِ ، بَدَتْ حُدُودُ الْبُيُوتِ فِي أَرْمَانْتِيرِ
بِحَيْثُ لَا تَكَادُ تُرَى ، وَلَا يُمَكِّنُ تَمَيُّيزُهَا .

عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ أَمَامَ هَذَا الْفَرِيقِ الصَّامِتِ ، كَانَتْ الْمِيَاهُ
الصَّامِتَةُ لِنَهَرٍ لَيْسَ ، تَتَدَفَّقُ فِي بُطْعٍ ، كَأَنَّهُ نَهْرٌ مِنَ الرُّصَاصِ .
وَعَلَى الشَّاطِئِ الْبَعِيدِ ، كَانَتْ تَلُوحُ حُدُودُ كُتْلَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ تَحْتَ
السَّمَاءِ الَّتِي لَا تَزَالُ مُزْدَحِمَةً بِالسُّحُبِ الْمُتَقَطِّعَةِ ، فَتَنْعَكِسُ عَلَيْهَا
أُسْعَةُ الْقَمَرِ ، وَتَخْلُقُ نَوْعًا مِنَ الشَّفَقِ الْمُخِيفِ .

وَفِي حَقْلٍ عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ ، تَقُومُ طَاحُونَةٌ هَوَاءٍ مَهْجُورَةٌ ،
ذَاتُ شِرَاعٍ وَاحِدٍ شَاحِبِ اللَّوْنِ ، مُعْطَلٍ ، وَيُشِيرُ إِلَى أَعْلَى ، يُشْبِهُ
مِنْ كَافَّةِ الْوُجُوهِ إِصْبَعَ اتِّهَامٍ ضَخْمَةٍ . وَمِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْأَنْقَاضِ ،
تُصْدِرُ بَوْمَةً وَحِيدَةً نَعِيْبَهَا الْمَحْزَنُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَعَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ وَيَسَارِهِ ، الَّذِي سَارَتْ فِيهِ الْجَمَاعَةُ الْمَكْتَتِبَةُ ،
بَدَتْ الشُّجَيْرَاتُ وَالْأَشْجَارُ الْمُبْتَوْرَةُ كَأَقْرَامٍ مَمْسُوحَةٍ ، تُرَاقِبُ بَعْيُونَ
مُتَسَائِلَةً ، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَجَاسَرُوا عَلَى الْخُرُوجِ لَيْلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ
السَّاعَةِ الْمَشْتُومَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ .

وَفِي فَرَاتٍ ، كَانَ الْبَرْقُ يُضِيءُ الْأَفْقَ بِكَامِلِهِ . وَكَانَ يَتَحَرَّكُ

دَهَابًا وَإِيَابًا فَوْقَ كُتْلَةٍ سَوْدَاءَ مِنَ الْأَشْجَارِ ، كَسَيْفٍ مُشْرِعٍ يَفْصِلُ
السَّمَاءَ عَنِ كُلِّ اتِّصَالٍ بِالْأَرْضِ . وَلَمْ تَهْبُ نَسْمَةٌ وَاحِدَةً مِنَ
الْهَوَاءِ ، فَتَعَكَّرَ صَفْوُ الْجَوِّ الْبَارِدِ الْمَطِيرِ . وَكَانَتِ الْأَرْضُ مُشْبَعَةً
بِالْمِيَاهِ ، وَتَتَالَقَ بِهَا قَطَرَاتُ الْمَطَرِ الَّتِي سَقَطَتْ حَدِيثًا . وَأُطْلِقَتْ
الشُّجَيْرَاتُ الْمُنْتَعِشَةُ وَالْحَشَائِشُ عَبِيرَهَا بِقُوَّةٍ .

تَوَقَّفَ الْجَمْعُ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى النَّهْرِ . وَكَبَّلَ الرَّجُلُ الْفَارِعَ
الْمَقْنَعُ يَدَيَّ مِيلَادِي فِي صَمْتٍ ، وَوَضَعَهَا فِي الْمَعْدِيَةِ وَعَبَّرَ بِهَا إِلَى
الضَّفَةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ النَّهْرِ .

وَبَدَا هَذَا الرَّجُلُ هُنَاكَ مُتَشِحًا بِالسَّوَادِ ، أَمَامَ هَالَةٍ مِنْ نَوْرِ الْقَمَرِ ،
حَيْثُ أَبْصَرَ الْجَمْعُ سَيْفَ الرَّجُلِ الْمَقْنَعِ ذَا الْمِقْبَضَيْنِ ، يَرْتَفِعُ ثُمَّ يَهْوِي
مَرَّةً وَاحِدَةً . كَانَ هَذَا هُوَ الْجَلَادُ الْعَامُّ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي - قَبْلَ
ذَلِكَ بِأَحَدِي عَشْرَةَ سَنَةً - وَسَمَ كَتِفَ مِيلَادِي بِسِمَةِ زَهْرَةِ الزُّنْبُقِ
- رَمَزُ الْعَارِ - ، فِي الْمَيْدَانِ الْعَامِّ لِمَدِينَةِ لَيْلٍ .

لَنْ تُفْلِتَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ !»

قال الرجلُ : « لَيْسَتْ هَذِهِ نِيَّتِي ، يَا سَيِّدِي . بَلْ أَنَا الَّذِي أَبْحَثُ عَنْكَ ، فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، لَأَقْبِضَ عَلَيْكَ بِاسْمِ الْمَلِكِ . »

صاحَ دارتانيان : « ماذا تقول ؟ »

« يَجِبُ أَنْ تُسَلِّمَنِي سَيْفَكَ دُونَ مُقَاوَمَةٍ ، يَا سَيِّدِي . وَأَحْذَرُكَ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ ، فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ بِالْعَنَةِ الْخَطُورَةِ . »

قالَ دارتانيان وَهُوَ يَخْفِضُ سَيْفَهُ ، دُونَ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِيَّاهُ : « إِذَا ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ »

« أَنَا فَارِسُ رُوشَقُور ، التَّابِعُ الشَّخْصِيُّ لِسُمُورِ الْكَارْدِينَالِ رِيشْلِييه . وَلَدَيَّْ أَمْرٌ بِاقْتِيادِكَ إِلَى سُمُورِهِ . »

قاطَعَهُ آثُوسُ بِقَوْلِهِ : « مِنْ الْمُصَادَقَةِ أَنَّنَا فِي طَرِيقِنَا إِلَى سُمُورِهِ ، يَا سَيِّدِي . وَلِذَلِكَ آمَلُ فِي أَنْ تَقْبَلَ كَلِمَةً شَرَفٍ مِنْ دَارْتَانِيان ، بِأَنَّهُ سَيَذْهَبُ مُبَاشَرَةً إِلَى هُنَاكَ وَيَقْدِمُ نَفْسَهُ . »

« لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَسَلِّمَهُ لِحَارِسٍ . »

قالَ آثُوسُ : « سَتَكُونُ نَحْنُ حَرَسُهُ ، يَا سَيِّدِي . نُقْسِمُ بِشَرَفِنَا كَرِّجَالٍ ! » ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً لَهَا مَغْزَى ، وَقَالَ : « وَبِشَرَفِنَا كَرِّجَالٍ ،

الفصل السابع والعشرون فَخَامَتُهُ يَتَعَرَّفُ عَلَى خَطِّ يَدِهِ وَيُصْدِرُ قَرَارًا حَكِيمًا

كَانَ مِنَ الْمُعْتَادِ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، عِنْدَمَا لَا يَكُونُ أَصْدِقَاؤُنَا الْأَرْبَعَةُ فِي صُحْبَةِ الْمَلِكِ ، أَنْ يَقْضُوا وَقْتَهُمْ فِي فُنْدُقِهِمُ الْمَفْضُلِ . وَهُنَاكَ ، لَا يَلْعَبُونَ الْوَرَقَ ، وَلَا يَحْتَسُونَ الْخُمُورَ ، وَإِنَّمَا يَتَحَدَّثُونَ فِي هُدُوءٍ ، مُحَاضِرِينَ أَلَا يَسْمَعَهُمْ أَحَدٌ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَهُمْ يَتَجَادَبُونَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ فِي هُدُوءٍ بِذَلِكَ الْفُنْدُقِ ، سَمِعَ دَارْتَانِيانُ شَخْصًا يَنْطِقُ اسْمَهُ .

تَظَلَّعَ دَارْتَانِيانُ حَوْلَهُ فَأَبْصَرَ رَجُلًا مَيُونَعًا الْمَجْهُولَ ؛ فَصَاحَ صَيِّحَةً الرُّضَا ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ الْبَابِ .

فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَحَاشَاهُ الرَّجُلُ ، تَرَجَّلَ عَنْ حِصَانِهِ ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ لِمُلَاقَاتِهِ .

قالَ دارتانيان : « هَيَّا ، يَا سَيِّدِي ! هَا نَحْنُ نَلْتَقِي أَحْيَرًا ، وَلَكِنَّكَ

أَيْضًا ، لَنْ يَتْرَكَنَا دَارْتَانِيَان .

نَظَرَ فَارِسُ رُوشْفُورَ خَلْفَهُ ، فَأَبْصَرَ يُوْرَثُوسَ وَأَرَامِيْسَ ، فَفَهِمَ أَنَّهُ
تَحْتَ رَحْمَةٍ هَؤُلَاءِ الرُّجَالِ الْأَرْبَعَةِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا السَّادَةُ ، إِذَا
سَلَّمَنِي السَّيِّدَ دَارْتَانِيَان سَيْفَهُ ، وَضَمَّ كَلِمَةً شَرَفَهُ إِلَى كَلِمَةٍ
شَرَفَكُمْ ، فَسَأَرْضِي بِوَعْدِكُمْ فِي اصْطِحَابِهِ إِلَى صَاحِبِ السُّمُو . »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « إِلَيْكَ كَلِمَةٌ شَرَفِي ، وَهَآكَ سَيْفِي . »

قَالَ الْفَارِسُ : « هَذَا يُرْضِينِي كَثِيرًا ، لِأَنِّي أُرِيدُ مُوَاصَلَةَ
رِحْلَتِي . »

قَالَ آئُوسُ ، فِي هُدُوءٍ : « إِذَا كُنْتَ تَوُمِّلُ فِي أَنْ تُقَابِلَ مِيلَادِي ،
فَأَنْتَ تُضَيِّعُ وَقْتَكَ سُدًى ، فَلَنْ تَجِدَهَا . »

سَأَلَهُمُ الْفَارِسُ بِلَهْفَةٍ قَائِلًا : « إِذَا ، مَاذَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ؟ »

« عُدْ مَعَنَا ، وَاسْتَعْرِفْ . »

بَيْنَمَا كَانَ الْكَارْدِينَالُ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى مَكْتَبِهِ فِي الْمَسَاءِ
التَّالِي ، وَجَدَ دَارْتَانِيَان يَنْتَظِرُ اسْتِدْعَاءَهُ . وَلاَحَظَ أَنَّهُ يَدُونِ سَيْفِهِ ،
وَلَاَحَظَ أَيْضًا أَنَّ الْقُرْسَانَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ يَحْرُسُونَهُ ، لَيْسُوا سِوَى الثَّلَاثَةِ
الَّذِينَ لَا يَنْفَصِلُونَ ؛ آئُوسُ وَيُوْرَثُوسُ وَأَرَامِيْسُ .

وَلَمَّا كَانَ مَعَ الْكَارْدِينَالِ عَدَدٌ مِنَ الْأَتْبَاعِ ، رَمَقَ دَارْتَانِيَان
بِحِدَّةٍ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ ، أَنْ يَتَّبِعَهُ ، فَأَطَاعَ دَارْتَانِيَان .

قَالَ آئُوسُ بِصَوْتٍ جَهَوْرِيٍّ يَسْتَطِيعُ الْكَارْدِينَالُ أَنْ يَسْمَعَهُ : « إِنَّا
فِي انْتِظَارِكَ ، يَا دَارْتَانِيَان . »

قَطَّبَ الْكَارْدِينَالُ أَسَارِيرَهُ ، وَتَرَدَّدَ قَلِيلًا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى مَكْتَبِهِ وَهُوَ
فِي حَالَةٍ تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ .

دَخَلَ الْكَارْدِينَالُ مَكْتَبَهُ ، وَأَمَرَ رُوشْفُورَ بِأَنْ يُحْضِرَ إِلَيْهِ الْفَارِسَ
الشَّابَّ .

سَرْعَانَ مَا وَجَدَ دَارْتَانِيَان نَفْسَهُ وَحِيدًا مَعَ الْكَارْدِينَالِ ، الَّذِي وَقَفَ
بِقُرْبِ الْمِدْفَأَةِ ، تَفَصَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَارْتَانِيَان مَائِدَةً .

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « قَبِضْ عَلَيْكَ بِأَمْرِي . أَتَعْرِفُ لِمَاذَا ؟ »

« لَا ، يَا صَاحِبَ السُّمُو ؛ إِذِ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يُمَكِّنُ
الْقَبْضَ عَلَيَّ ، غَيْرُ مَعْرُوفٍ لِسُمُوكُمْ حَتَّى الْآن . »

نَظَرَ الْكَارْدِينَالُ مَلِيًّا إِلَى هَذَا الشَّابِّ ، وَقَالَ دَهْشًا : « مَا مَعْنَى
هَذَا ؟ »

قَالَ دَارْتَانِيَان : « هَلْ تَتَفَضَّلُ ، سَمُوْكُمْ ، فَتَشْرَفَنِي أَوَّلًا ،

يَاخْبَارِي بِالْجَرَائِمِ الَّتِي أَنَا مُتَّهَمٌ بِهَا ؟

رَدَّ رِيشْلِييه : « أَنْتَ مُتَّهَمٌ بِجَرَائِمِ كَانَتْ السَّبَبَ فِي هَلَاكِ أَنَاسٍ أَكْثَرَ مِنْكَ أَهَمِّيَّةً ، يَا سَيِّدِي . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ بِهَدْوٍ أَذْهَلَ الْكَارْدِينَالَ نَفْسَهُ : « مَا هِيَ ، يَا صَاحِبَ السُّمُورِ ؟ »

« أَنْتَ مُتَّهَمٌ بِالتَّرَاسُلِ مَعَ أَعْدَاءِ فَرَنْسَا ، وَمُتَّهَمٌ بِإِفْشَاءِ أَسْرَارِ الدَّوْلَةِ ، وَمُتَّهَمٌ أَيْضًا بِمُحَاوَلَةِ إِفْسَادِ خُطَطِ قَائِدِكَ . »

وَمَا كَانَ مِنْ دَارْتَانِيَانٍ إِلَّا أَنْ سَأَلَ بِحِدَّةٍ ، وَهُوَ مُقْتَنِعٌ تَمَامًا بِأَنَّ هَذَا الْاِتِّهَامَ جَاءَ مِنْ لَدُنْ مِيلَادِي : « مَنْ الَّذِي يَتَّهَمُنِي بِهَذِهِ التُّهَمِ ، يَا صَاحِبَ السُّمُورِ ؟ أَمْ هِيَ امْرَأَةٌ مُوسُومٌ عَلَى كَتِفِهَا عَنْ طَرِيقِ الْعَدَالَةِ ؟ امْرَأَةٌ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا فِي فَرَنْسَا ، وَرَجُلًا آخَرَ فِي إِنْجِلْتِرَا ؟ امْرَأَةٌ قَتَلَتْ زَوْجَهَا الثَّانِيَ بِالسُّمِّ ؟ امْرَأَةٌ حَاوَلَتْ اغْتِيَالِي مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ حَاوَلَتْ أَخِيرًا قَتْلِي بِالسُّمِّ ؟ »

صَاحَ الْكَارْدِينَالُ دَهْشًا : « مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُهُ ، يَا سَيِّدِي ؟ وَعَنْ آيَةِ امْرَأَةٍ تَتَكَلَّمُ ؟ »

أَجَابَ دَارْتَانِيَانُ : « عَنْ مِيلَادِي وَيَنْتَر . لَا شَكَّ فِي أَنَّ سُمُوكَ تَجْهَلُ جَرَائِمَهَا ، بِدَلِيلِ أَنَّكَ شَرَّفْتَهَا بِوَضْعِ ثِقَتِكَ فِيهَا . »

قَالَ الْكَارْدِينَالُ : « إِذَا كَانَتْ مِيلَادِي وَيَنْتَرُ ، قَدْ اقْتَرَفَتْ كُلَّ هَذِهِ الْجَرَائِمِ الَّتِي تَتَّهَمُهَا بِهَا ، فَسَوْفَ تُعَاقَبُ . »

قَالَ دَارْتَانِيَانُ : « لَقَدْ عُوْقِبْتُ بِالْفِعْلِ ، يَا صَاحِبَ السُّمُورِ . » ثُمَّ أَخْبَرَ الْكَارْدِينَالَ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، بِمُحَاكَمَةِ مِيلَادِي السَّرِّيَّةِ ، وَإِعْدَامِهَا بَعْدَ الْمَحَاكَمَةِ مُبَاشَرَةً .

اسْتَطْرَدَ دَارْتَانِيَانُ قَائِلًا : « هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْبِرَكَ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ أَمْرَ الْعَفْوِ عَنْهُ فِي جَيْبِهِ . »

صَاحَ رِيشْلِييه وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ الدَّهْشَةُ : « الْعَفْوُ عَنْهُ ! وَمَنْ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ ؟ »

« مَوْقَعٌ عَلَيْهِ مِنْ سُمُوكَ . »

« أَنَا الَّذِي وَقَعْتُ عَلَيْهِ ؟ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ، يَا سَيِّدِي ! »

قَدَّمَ دَارْتَانِيَانُ إِلَى الْكَارْدِينَالِ قُصَاصَةَ الْوَرَقِ الثَّمِينَةِ ، الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا آتُوسُ مِنْ مِيلَادِي ، وَسَلَّمَهَا بِدَوْرِهِ إِلَيْهِ لِتَكُونَ دِرْعًا لَهُ ، وَقَالَ : « لَا شَكَّ فِي أَنَّ سُمُوكَ سَتَتَعَرَّفُ عَلَى خَطِّ يَدِكَ ! »

تَنَاولَ الْكَارْدِينَالُ قُصَاصَةَ الْوَرَقِ ، وَقَرَأَ بِصَوْتٍ مُتَنَاقِلٍ :

باسري ولصالح الدولة فعل هائل هذه ما فعله .

ريشلييه

بَعْدَ أَنْ قَرَأَ الكَارْدِينَالُ السُّطْرَيْنِ ، وَقَفَ يُفَكِّرُ مَلِيًّا . وَيَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يُقَرِّرْ مَاذَا يَفْعَلُ ، لَأنَّهُ أَخَذَ يُقَلِّبُ الْوَرَقَةَ فِي يَدِهِ .

وَأخِيرًا ، رَفَعَ الكَارْدِينَالُ رَأْسَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ دَارْتَانِيَانِ الَّذِي يَنْمُ عَنْ ذِكَاةٍ مُتَوَقِّدٍ ، وَفَكَرَ فِي مُسْتَقْبَلِ هَذَا الشَّابِّ ، وَتَأَمَّلَ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ نَشَاطُهُ وَجُرَّاتُهُ وَفَهْمُهُ .. فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ بَلَبْتَ جَرَائِمَ مِيلَادِي وَسَطَوْتِهَا وَشَرُّهَا عَقْلَ الكَارْدِينَالِ . وَإِذْ مَاتَ الْآنَ فَقَدْ أَحَسَّ بِالطَّمَأْنِينَةِ وَرَاحَةِ الْبَالِ .

وَصَلَ الكَارْدِينَالُ إِلَى قَرَارٍ ، فَمَزَقَ الْوَرَقَةَ بِرُوبِيَّةٍ قِطْعًا صَغِيرَةً ، وَذَهَبَ إِلَى مَكْتَبِهِ وَخَطَّ بِضَعَةِ أُسْطُرٍ عَلَى وَرَقَةٍ مَطْبُوعَةٍ قِيَمَةِ الْمُنْظَرِ ، وَوَقَعَ عَلَيْهَا .

قَالَ الكَارْدِينَالُ : « أَيُّهَا الشَّابُّ ، أَخَذْتُ مِنْكَ وَرَقَةً لِأَعْطِيكَ وَرَقَةً أُخْرَى بَدَلًا مِنْهَا . يَلْزِمُ تَوْقِيعَ عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَةِ الَّتِي أَعْطَيْكَهَا ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَوْقِعَهُ بِنَفْسِكَ . »

تَنَاولَ دَارْتَانِيَانِ الْوَرَقَةَ بِأَصَابِعِ مُضْطَرِبَةٍ ، وَقَرَأَهَا : كَانَتْ تَكْلِيفًا لِضَابِطٍ فِي الْفُرْسَانِ .

جَثَا دَارْتَانِيَانِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ قَائِلًا : « لَا أَسْتَحِقُّ هَذَا الْفَضْلَ ، يَا صَاحِبَ السُّمُو . لِي ثَلَاثَةُ أَصْدِقَاءَ ، هُمْ أَكْثَرُ مِنِّي اسْتِحْقَاقًا لَهُ . »

قَاطَعَهُ الكَارْدِينَالُ ، وَهُوَ سَعِيدٌ بِالتَّفَكِيرِ فِي أَنَّهُ ، أَخِيرًا ، قَدْ رَجَعَ إِلَى جَانِبِهِ ذَلِكَ الشَّابُّ الْعَسَقُونِيَّ الْمُتَوَثِّبَ الطَّبَاعِ ، قَائِلًا : « أَنْتَ شَابٌّ بَاسِلٌ . أَكْتُبْ أَيَّ اسْمٍ تَشَاءُ ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْ ، أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ هَذَا التَّكْلِيفَ . »

بَعْدَ ذَلِكَ ، اسْتَدْعَى الكَارْدِينَالُ رُوشْفُورَ ، الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُ خَارِجَ الْبَابِ ، وَقَالَ لَهُ : « يَا رُوشْفُورَ ، مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا ، أَنَا أَسْتَقْبِلُ السَّيِّدَ دَارْتَانِيَانِ كَصَدِيقٍ . وَلِيَصَافِحَ كُلُّ مِنْكُمَا الْآخَرَ ، وَتَصَرَّفَا بِتَعَقُّلٍ ، إِذَا رَغِبْتُمَا فِي الْإِحْتِفَازِ بِسَلَامَةِ رَأْسَيْكُمَا ! »

فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، اسْتَدْعَى دَارْتَانِيَانِ آثُوسَ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ التَّكْلِيفَ .

قَالَ آثُوسُ : « يَا صَدِيقِي ، الشَّرَفُ عَظِيمٌ جِدًّا لِآثُوسَ ، وَقَلِيلٌ جِدًّا لِلْكُونَتِ دِي لا فير ! اِحْتَفِظْ بِهَذَا التَّكْلِيفِ لِنَفْسِكَ ، فَهُوَ لَكَ . »

بَعْدَ ذَلِكَ ، ذَهَبَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى پُورْثُوسَ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ التَّكْلِيفَ وَلَكِنَّهُ رَفَضَ مُعْتَذِرًا بِأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ قَرِيبًا ، وَقَالَ : « سَأَكُونُ جِدًّا مُشْغُولًا »

بِشُّونِي وَمَمْتَلِكَاتِي ، وَلَنْ يُمَكِّنِي التَّمَتُّعُ بِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ الْمُمْتَازَةِ .
اِحْتَفِظْ بِالتَّكْلِيفِ ، يَا صَدِيقِي . اِحْتَفِظْ بِهِ لِنَفْسِكَ .

كَانَ أَرَامِيسُ مَشْغُولًا بِدِرَاسَاتِهِ وَبُحُوثِهِ حِينَ زَارَهُ دَارْتَانِيَانِ ، وَقَدَّمَ
لَهُ التَّكْلِيفَ .

قَالَ أَرَامِيسُ : « صَدِيقِي الْعَزِيزَ ، لَقَدْ كَرِهْتَنِي مُغَامَرَاتُنَا الَّتِي
خُضْنَاهَا مَعًا ، فِي الْحَيَاةِ الْعَسْكَرِيَّةِ . وَأَنَا مُوشِكٌ عَلَى تَرْكِ الْحَيَاةِ
الْعَسْكَرِيَّةِ . فَاحْتَفِظْ بِهَذَا التَّكْلِيفِ لِنَفْسِكَ ، يَا دَارْتَانِيَانِ ، فَوُظَيْفَةُ
حَمْلِ السَّلَاحِ تُنَاسِبُكَ تَمَامًا . »

عَادَ دَارْتَانِيَانِ إِلَى آثُوسَ ، وَأَخْبَرَهُ كَيْفَ رَفَضَ الْاِثْنَانِ الْآخَرَانِ
أَيْضًا هَذَا التَّكْلِيفَ ، وَكَانَ قَلْبُهُ مُفْعَمًا بِالْفَرَحِ ، وَعَيْنَاهُ مُغْرُورِقَتَيْنِ
بِالدُّمُوعِ ، اعْتِرَافًا بِجَمِيلِ زُمَلَائِهِ الثَّلَاثَةِ .

أَخَذَ آثُوسُ الْوَثِيقَةَ ، وَكَتَبَ بِيَدِهِ ثَابِتَةً اسْمَ دَارْتَانِيَانِ الْكَامِلَ ، فِي
الْمَكَانِ الْخَالِيِ بِهَا .

المغامرات المشيرة

- ١- مغامرة في الأدغال
- ٢ - مغامرة في الفضاء
- ٣ - مغامرة أسيرين
- ٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥ - مغامرة على الشاطئ
- ٦ - الجاسوس الطائر
- ٧ - لصوص الطريق
- ٨ - حمد الغواص الشجاع
- ٩ - اللسان الغيبان
- ١٠ - مطاردة لصوص السيارات
- ١١ - مغامرات السندباد البحري
- ١٢ - لعبة خطرة
- ١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤ - اللؤلؤة السوداء
- ١٥ - سر الجزيرة
- ١٦ - مغامرة في النهر
- ١٧ - شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨ - سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩ - الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠ - مغامرات نوم سوير
- ٢١ - المختطف
- ٢٢ - الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣ - الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤ - موسيقى الليل وقصتان أخريان
- ٢٥ - الناب الأبيض
- ٢٦ - موبى دك
- ٢٧ - سر القط الفرعوني
- ٢٨ - سجين زندا
- ٢٩ - مغامرات هاكلبري فن
- ٣٠ - الفرسان الثلاثة



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

01 C 198231

رقم الكمبيوتر